



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه  
صباح  
الرمضان

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

# ومضات السيط

عليه السلام

الجزء الاول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# ومضات السبب عليه السلام

كاتب:

نبيل قدورى الحسنى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

5	الفهرس
15	ومضات السبط عليه السلام المجلد 1
15	اشارة
15	اشارة
19	مقدمة الشعبة الدراسات والبحوث
21	مقدمة المؤلف
23	الخطبة الأولى: فى التوحيد
23	اشارة
25	نص الخطبة
25	اشارة
26	المعنى العام
29	التحذير من الفكر المنحرف
30	الشبه بين المارقين وبين الكافرين
32	ما هو التشبيه؟
35	التشبيه محال عقلاً
36	التشبيه لا يصح ولا يجوز فى القرآن الكريم
39	التشبيه لا يجوز ولا يصح نقلاً فى السنة النبوية
46	هل أن الله تعالى شىء؟
50	السميع البصير اسمان من أسمائه تعالى
51	الوصفان فى القرآن الكريم
51	السميع
53	البصير
57	الوصفان فى حديث أهل البيت عليهم السلام

57	السميع
60	سمعه لا كسمعنا .....
61	البصير .....
67	هل هما من صفات الذات؟ .....
67	فى السمع .....
68	البصر .....
69	سؤال مهم .....
69	اشارة .....
69	ألف .....
70	باء .....
71	لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار .....
71	امتناع الرؤية .....
72	الآيات الكريمة .....
73	الأحاديث الشريفة .....
78	الرؤية القلبية .....
81	ما هو سبب شبهة الرؤية؟ .....
84	معنى الإدراك الإلهى .....
85	وهو اللطيف الخبير .....
85	اللطيف .....
87	الخبير .....
88	استخلص الوجدانية والجبروت .....
93	معنى الجبروت .....
96	المشيئة والإرادة .....
98	حقيقة الإرادة الإلهية .....
100	أسئلة مهمة فى الإرادة .....

106	..... قدرة الله تعالى
106	..... اشارة
107	..... ألف: دليل الفطرة
108	..... باء: دليل النظام فى الخلقة
109	..... جيم: قدرة المخلوق دليل على قدرة الخالق
114	..... أسئلة فى القدرة
122	..... (وهو الواحد الصمد)
122	..... معنى الواحد
123	..... معنى الصمد
126	..... التصور والتصديق
127	..... الوهميات
133	..... الخطبة الثانية: وفيها يوصى بتقوى الله، وينذر من عقابه
133	..... اشارة
135	..... نص الخطبة
135	..... اشارة
136	..... المعنى العام
138	..... بحث أخلاقى
138	..... التقوى ميزان القرب الإلهى
141	..... آثار التقوى فى الدنيا
144	..... آثار التقوى فى الآخرة
145	..... التقوى ضرورة لابد منها
147	..... رفع التوهم
147	..... اشارة
148	..... مسألة: منزلة المتقين وصفاتهم
153	..... الطرق الموصلة إلى التقوى

155	..... ما يمنع التقوى
156	..... أسئلة مهمة
158	..... بحث أخلاقي
158	..... النصيحة علامة المحب
159	..... النصيحة لمن؟
161	..... فوائد
161	..... اشارة
162	..... لا تنسى نفسك
163	..... أسئلة مهمة
166	..... وقفة وتأمل
167	..... بحث عقائدي
167	..... الحياة البرزخية
168	..... أحوال البرزخ
173	..... أسئلة مهمة
183	..... تذكير
189	..... الخطبة الثالثة: في مكارم الأخلاق
189	..... اشارة
191	..... نص الخطبة
191	..... اشارة
192	..... المعنى العام
194	..... بحث أخلاقي
194	..... صنع المعروف
198	..... لمن يبذل المعروف؟
200	..... إشكال وتوجيه
203	..... آثار فعل المعروف



204	..... الآثار فى الآخرة
206	..... فؤاند
208	..... صفات أهل الفضل
211	..... الخطبة الرابعة: فى مكارم الأخلاق
211	..... اشارة
213	..... نص الخطبة
213	..... اشارة
213	..... بحث أخلاقى
213	..... مكارم الأخلاق شيمة المؤمنین
214	..... الخلق وعاء الدين
216	..... مكارم الأخلاق فى نظر أهل البيت عليهم السلام
218	..... نصائح
220	..... أسئلة مهمة
222	..... ثمرات حسن الخلق
222	..... اشارة
223	..... سوء الخلق فى نظر أهل البيت عليهم السلام
224	..... آثار سوء الخلق
224	..... اشارة
225	..... الحلم
226	..... بحث عقائدى
226	..... غضب وحلم الله تعالى
231	..... الحلم فى نظر أهل البيت عليهم السلام
231	..... اشارة
232	..... آثار الحلم
233	..... أسئلة مهمة

235	.....	الوفاء
237	.....	سؤال مهم
237	.....	وقفة
237	.....	اشارة
239	.....	نصيحة معصومية
239	.....	الاستكبار
239	.....	اشارة
241	.....	فوائد
244	.....	السفه
245	.....	أسئلة مهمة
246	.....	بحث عقائدى
246	.....	الغلو
247	.....	الإمام الحسين عليه السلام يحذر من الغلو
248	.....	الشيعة براء من الغلو
249	.....	سؤال مهم
251	.....	بحث أخلاقى
251	.....	الفسق
251	.....	اشارة
253	.....	الفسق والفاسق فى نظر أهل البيت عليهم السلام
254	.....	آثار الفسق
257	.....	الخطبة الخامسة: وفيها يذمّ الدّنيا ويحذّر منها
257	.....	اشارة
259	.....	نص الخطبة
259	.....	اشارة
259	.....	المعنى العام

260	..... بحث أخلاقي .....
260	..... ذم الدنيا .....
262	..... أسئلة مهمة .....
262	..... إشارة .....
273	..... نصيحة معصومية .....
277	..... صور حوارية ومواعظ .....
278	..... الصورة الثانية .....
280	..... الصورة الثالثة .....
281	..... الصورة الرابعة .....
282	..... الصورة الخامسة .....
282	..... بحث عقائدي .....
282	..... الرضا بقضاء الله تعالى .....
283	..... أسئلة مهمة .....
283	..... إشارة .....
289	..... نصيحة يجب أن تسمعها .....
289	..... التزود بالأعمال الصالحة .....
290	..... العمل مفتاح السعادة .....
291	..... آثار وثمرات العمل الصالح في الدنيا .....
291	..... إشارة .....
292	..... آثار العمل الصالح في الآخرة .....
294	..... نصائح .....
296	..... أسئلة مهمة .....
303	..... نصائح ضرورية .....
304	..... الخطبة السادسة: وفيها يُذكر بفضائل أهل البيت عليهم السلام ويأمر باتّباعهم .....
304	..... إشارة .....

306	نص الخطبة .....
306	إشارة .....
309	___ فضل أهل البيت عليهم السلام .....
310	___ فضلهم فى القرآن الكريم .....
317	___ فضلهم عليهم السلام فى السنة النبوية .....
320	___ بحث عقائدى .....
320	___ العدل الثانى .....
327	1_ صحيح الترمذى .....
327	2_ القاموس المحيط .....
328	3_ مسند أحمد .....
328	4_ الطبقات الكبرى لابن سعد .....
328	5_ المعجم الكبير للطبرانى .....
329	6_ جامع الأصول .....
330	7_ مسند عبد بن حميد .....
331	8_ الدر المنثور .....
331	9_ الجامع الصغير .....
331	10_ مصنف ابن أبى شيبة .....
332	11_ المستدرک على الصحيحين .....
332	12_ كتاب السنة .....
333	13_ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .....
333	الجامع الصغير بشرح المناوى .....
335	فيض القدير .....
337	رواة حديث الثقلين (الصحابه) .....
339	رواة حديث الثقلين (التابعين) .....
341	طاعة الشيطان .....

- 341 ..... اشارة
- 345 ..... آثار طاعة الشيطان
- 348 ..... أسئلة مهمة
- 354 ..... وقفة تأمل
- 357 ..... الخطبة السابعة
- 357 ..... اشارة
- 359 ..... نص الخطبة
- 359 ..... اشارة
- 361 ..... المعنى العام
- 363 ..... صفات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم
- 363 ..... الآيات الكريمة
- 365 ..... رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصف نفسه
- 367 ..... أمير المؤمنين عليه السلام
- 367 ..... اشارة
- 368 ..... بعض كمالاته
- 369 ..... معاوية
- 370 ..... أولاً: العامل التربوي
- 370 ..... اشارة
- 370 ..... هند
- 371 ..... أم جميل
- 371 ..... الحكم بن أبي العاص
- 371 ..... أبو جهل
- 371 ..... عتبة والوليد
- 371 ..... ثانياً: العامل الاقتصادي
- 372 ..... ثالثاً: العامل الأخلاقي

372 ..... اشارة

373 ..... القول القاصم

374 ..... تدليس معاوية

375 ..... عمرو بن العاص

378 ..... عاقبة الظالمين

378 ..... اشارة

380 ..... آثار الظلم فى الدنيا

382 ..... آثار الظلم فى الآخرة

385 ..... المحتويات

400 ..... تعريف مركز

رقم الإيداع فى دار الكتب والوثائق ببغداد

لسنة 2011 \_\_ 159

الفتلاوى، على، 1960 - م.

ومضات السبب (ع): البعد العقائدى والأخلاقى فى خطب الإمام الحسين عليه السلام / تأليف على الفتلاوى؛ تقديم نبيل الحسنى - كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة، 1432ق. = 2011م.

2 ج. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة؛ 53)

المصادر.

1. الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4-61ق. - الخطب - دراسة وتعريف. 2. الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4-61ق. - نظرية فى العقائد. 3. الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4-61ق. نظرية فى الأخلاق الإسلامية. 4. واقعة كربلاء، 61ق. - أسباب ونتائج. 5. أهل البيت (ع) - فضائل. 6. الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4-61ق. الخطب - اللغة. 7. الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4-61ق. أصحاب. ألف. الحسنى، نبيل، 1965 - م.، مقدم. ب. العنوان. ج. العنوان: البعد العقائدى والأخلاقى فى خطب الإمام الحسين عليه السلام

8 و 2ف / 41 / BP

تمت الفهرسة فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

ص: 1





ص: 3

ومضات السبب

البعد العقائدى والأخلاقى

فى خطب الإمام الحسين عليه السلام

تأليف الشيخ على الفتلاوى

الجزء الأول

إصدار

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فى العتبة الحسينية المقدسة

وحدة الدراسات التخصصية فى الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

ص: 4

الطبعة الأولى

1433هـ \_ 2012م

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

العراق: كربلاء المقدسة \_ العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية \_ هاتف: 326499

Web: [www.imamhussain-lib.com](http://www.imamhussain-lib.com)

E-mail: [info@imamhussain-lib.com](mailto:info@imamhussain-lib.com)

## مقدمة الشعبة الدراسات والبحوث

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها وتمام منن والاهها، جم عن الاحصاء عددها ونأى عن الجزاء أمدتها وتفاوت عن الإدراك أبدها.

والصلاة والسلام على خير الأنام وكاشف الظلام وعلى آله الهداة إلى الإسلام وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

لم يزل الإمام الحسين عليه السلام منهلاً عذباً لأصحاب الفكر والتأمل ومورداً خصباً لأهل البحث والتدقيق والدراسة، تحل في فناء روضته العلماء وتغدوا إلى درسه الأجلاء، فهم بين مستمع ومفكر ومتعلم قد تزاومت ركبهم في محضره وتناسقت الأنفاس بمجلسه حتى كأن الطير على رؤوسهم.

من هنا:

نلمس ان عطاء المعين النبوى لا ينفد والفكر الحسينى لا يتوقف حتى كان الناظر إلى هذا العطاء يخال نفسه واقفاً أمام نواة الحياة ومشدوداً إلى سخاء الشمس ونورها، فما طعم العيش والمرء معصوب العينين عن كلام ابن بنت سيد النبيين وأبو الأئمة الميامين.

من هنا أيضاً:

انبرى سماحة حجة الإسلام الشيخ على الفتلاوى دام توفيقه إلى الارتحال إلى معين أبي الأئمة ومرفئ العلم، ومنبع الدمعة لترسو به الوسيلة إلى بحر من بحور النبوة ليغرف من لنالئ بحر الخلق النبوى وجواهر بحر التوحيد العلوى فيضعها فى كتابه الموسوم «ومضات السببط عليه السلام» كى يزدان بها المؤمن ويختزنها المتأمل ويتزودها المتقى.

فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى

وسيجد القارئ أن الكتاب مشبع بالأحاديث الشريفة والآيات الكريمة، والنكت العلمية الظريفة، ففضيلة الشيخ يميل إلى بهذا اللون من الكتابة الذى يعتمد سلاسل العبارة وغزارة المعلومة ومخاطبة كل الفئات حتى كأنك تخال نفسك فى واحة من رياحين علوم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إذ لا يخفى على اللبيب ما للبعد الأخلاقى والعقائدى من الريادة فى المكتبة الإسلامية وما له من الحظوة عند علماء الإمامية حتى ملئوا المكتبات بهذا النتاج الفكرى.

نسأل الله القبول والخلف على باذل هذا الجهد فإنه خير زاد ليوم المعاد.

السيد نبيل الحسنى

مسؤول شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

فى العتبة الحسينية المقدسة

## مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى رزقنا موالاة محمد وآل محمد والذى دلنا على هداهم فأنعم علينا بنعمة ولايتهم، وأنار عقولنا بنور كلامهم، وطمأن نفوسنا بإتباع نهجهم، والصلاة والسلام على السراج المنير والبشير النذير وعلى آله الأخيار والأئمة الأبرار لاسيما سفينة النجاة ومصباح الهدى سيد الشهداء ورمز الفداء الإمام الحسين عليه السلام.

أما بعد:

لقد أطلعنا على كتب كثيرة تعنى بشخص الإمام السبط عليه السلام وصفاته وثورته وجهاده ومواقفه وكلامه ورسائله وخطبه وكتبه ونصائحه، إلا- أننا لم نعثر بعد تفتيش وفحص دقيقين على شروح تتناسب وكثرة ما تفوه به سيد شباب أهل الجنة عليه السلام إلا أن هناك بعض المؤلفات التى تعد على أصابع اليد الواحدة قد سلط الضوء على بعض أقواله بشكل موجز ونافع، فرأينا من الواجب علينا أن نضيف تأليفا على ما سبق من المؤلفات، كما ندعوا أن يتصدى غيرنا لإضافة تأليفات أخرى ليتناسب ذلك مع ما صدر من كلام لإمامنا الحسين عليه السلام، سيما أن المكتبة الإسلامية بحاجة إلى إصدارات تشرح خطب ومواعظ الإمام السبط عليه السلام وتسلط الأضواء على الأبعاد الفقهية والعقائدية والأخلاقية فضلا عن الأبعاد الأخرى فى كلامه الشريف.

ومن هذا المنطلق أخذنا على عاتقنا بيان البعدين العقائدي والأخلاقي في خطبه فقط دون سائر أقواله، وبيان المعنى اللغوي في هذه الخطب ليتسنى لمن يريد الاستفادة منها منبريا أو ثقافيا.

ولكى تسهل الإحاطة بنصوص الخطبة ومعانيها، وتيسير الاطلاع على البعدين العقائدي والأخلاقي فيها ارتأينا أن نذكر نص الخطبة أولا ثم نبدأ شرح الخطبة ببيان المعنى اللغوي لكل فقرة تحتاج إلى بيان ثم نتعرض إلى بيان البعد العقائدي في الخطبة ويتلو ذلك بيان البعد الأخلاقي فيها.

الشيخ على الفتلاوى

ص: 9

الخطبة الأولى: في التوحيد

إشارة





## نص الخطبة

## إشارة

«أيها الناس، اتقوا هؤلاء المارقة الذين يشبهون الله بأنفسهم، يُضاهئون (1) قول الذين كفروا من أهل الكتاب، بل هو الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف وهو الخبير.

استخلص الوجدانية والجبروت، وأمضى المشيئة والإرادة والقدرة والعلم بما هو كائن، لا منازع له في شيء من أمره، ولا كفاء له يُعادلُه، ولا ضد له يُنازعه، ولا سمي له يُشابهه، ولا مثل له يُشاكله، لا تتداوله الأمور، ولا تجرى عليه الأحوال، ولا تنزل عليه الأحداث، ولا يقدر الواسع فون كنه عظمته، ولا يحظر على القلوب مبلغ جبروته، لأنه ليس له في الأشياء عديل، ولا تدركه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكير بتفكيرهم إلا بالتحقيق (2) إيقاناً بالغيب، لأنه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين، وهو الواحد الصمد، ما تصوّر في الأوهام فهو خلافه، ليس برّب من طرح تحت البلاغ، ومعبود من وجد في هواء أو غير هواء، هو في الأشياء كائن لا كينونة محظور (3) بها عليه، ومن الأشياء بائن لا بينونة

1- ضاهاه: شابهه، وفعل مثل فعله.

2- اللب: العقل. والتحقيق: التصديق.

3- المحظور: الممنوع.

غائب عنها، لَيْسَ بِقَادِرٍ مَن قَارَنَهُ ضِدُّهُ أَوْ سَاوَاهُ زَيْدٌ، لَيْسَ عَنِ الدَّهْرِ قِدْمُهُ وَلَا بِالتَّاحِيَةِ أُمَّهُ (1)، اِحْتَجَبَ عَنِ العُقُولِ كَمَا اِحْتَجَبَ عَنِ الأَبْصَارِ، وَعَمَّنَ فِي السَّمَاءِ اِحْتِجَابُهُ كَمَنْ فِي الأَرْضِ، قُرْبُهُ كَرَامَتُهُ وَبُعْدُهُ أَهَانَتُهُ، لَا تُحَلَّةُ (فِي) وَلَا تُوقَّتُهُ (إِذ) وَلَا تُؤَامِرُهُ (إِنْ)، عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ (2)، وَمَجِيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَنْقُلٍ، يُوجِدُ المَفْقُودَ وَيُقَدِّدُ المَوْجُودَ، وَلَا تَجْتَمِعُ لِغَيْرِهِ الصِّفَتَانِ فِي وَقْتٍ، يُصِيبُ الفِكْرَ مِنْهُ الإِيمَانُ بِهِ مَوْجُوداً وَوُجُودُ الإِيمَانِ لَا وُجُودُ صِفَةٍ، بِهِ تُوصَفُ الصِّفَاتُ لَا بِهَا يُوصَفُ، وَبِهِ تُعْرَفُ المَعَارِفُ لَا بِهَا يُعْرَفُ، فَذَلِكَ اللهُ لَا سَمِيَّ لَهُ، سَبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ».

## المعنى العام

(أيها الناس، اتَّقُوا هَؤُلَاءِ المَارِقَةَ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللهَ بِأَنْفُسِهِمْ، يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ).

وجه الإمام الحسين عليه السلام خطابه إلى عامة الناس سواء كانوا موالين أو غير موالين، أرشدهم فيه إلى التحرز والتحذر من فئة خرجت من الدين كما خرج السهم من الرمية (أى مرقت) خرجت بسرعة كما يمرق السهم من القوس، وما كان هذا التحذير إلا لانحرافهم عن التوحيد حيث إنهم يشبهون ويمثلون الله تعالى بخلقه، فقولهم هذا يشابه قول الكافرين من أهل الكتاب.

(بَلْ هُوَ اللهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ، لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ، وَهُوَ اللَّطِيفُ وَهُوَ الخَبِيرُ).

ويرد الإمام عليه السلام قوله بقوله إن الله تعالى الذى احتارت فيه عقول العقلاء لا يمكن أن يشابه شيئاً من خلقه، فهو محيط بالأسماع والمسموعات والأبصار

1- التَّد: المثل والنظير. وأممه: قصده.

2- تَوَقَّلَ فِي الجبل: صعَّد فيه.

والمبصرات، وممتنع على إدراك وإحاطة أبصار خلقه، وهو (اللطيف) الرفيق بعباده (الخبير) والعالم والعارف بكل صغيرة وكبيرة من خلقه.  
(استخلص الـوحدانيَّة والجبروت، وأمضى المـشيئة والإرادة والقدرة العـلم بما هو كائن).

اختص الله سبحانه بأنه قاهر منفرد بقهاريته، وأنفذ الحكم والقدرة والعلم بالأشياء.

(لا مُنازَع لهُ في شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَلَا كُفَاءَ لهُ يُعَادِلُهُ، وَلَا ضِدَّ لهُ يُنَازِعُهُ، وَلَا سَمَّى لهُ يُشَابِهُهُ، وَلَا مِثْلَ لهُ يُشَاكِلُهُ).

لا معطل ولا مفسد ولا مخاصم لما أراد هو سبحانه في خلقه، ولا نظير له ولا مساوي يعادله، ولا مخالف له يخالفه أو يخاصمه ويمنعه، ولا يوجد من اسمه اسم الله تعالى لعدم انطباق الاسم على المسمى في المخلوق، ولا نظير له يماثله ويشابهه.

(لا تَتَدَاوَلُ الْأُمُورُ، وَلَا تَجْرِي عَلَيْهِ الْأَحْوَالُ، وَلَا تَنْزِلُ عَلَيْهِ الْأَحْدَاثُ، وَلَا يَقْدِرُ الْوَاصِدُ فُورَنَ كُنْهَ عَظَمَتِهِ، وَلَا يَخْطُرُ عَلَى الْقُلُوبِ مَبْلَغُ جَبْرُوتِهِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِي الْأَشْيَاءِ عَدِيلٌ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْعُلَمَاءُ بِالْبَابِهَا، وَلَا أَهْلُ التَّفَكِيرِ بِتَفْكِيرِهِمْ إِلَّا بِالتَّحْقِيقِ إِيقَانًا بِالْغَيْبِ، لِأَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهُوَ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ، مَا تُصَوَّرُ فِي الْأَوْهَامِ فَهُوَ خِلَافُهُ).

لا تحوِّله الأحوال من حال إلى حال، ولا تقع أو تتوالى عليه الأحوال والتغيرات، ولا تهبط أو تهطل عليه الأمطار، ولا يحيط الواصفون بقدر عظمته ولا يقع أو يمر في القلوب منتهى قاهريته وقدرته، لأن ليس له في الخلق مثيل أو نظير، ولا تعرفه أو تعقله العلماء بعقولها وبصائرهما، ولا يحيط به الذين يفكرون أي الذين يحلون العقل في المعلوم ليصلوا إلى المجهول وهم أهل النظر والتأمل إلا أنهم يعرفونه من خلال

التصديق بالغيب والإيقان به، لأنه لا ينعى بنعوت المخلوقين، وهو الفرد الذى يقصد فى الحاجات دون سواه، وما تشبه من صورة وما وقع فى الذهن من خاطر فهو خلافه وليس من الحقيقة بشىء.

(لَيْسَ بِرَبِّ مَنْ طَرَحَ تَحْتَ الْبَلَاغِ، وَمَعْبُودٍ مَنْ وَجَدَ فِي هَوَاءٍ أَوْ غَيْرِ هَوَاءٍ).

ليس بمدبر ومربى للخلائق من ألقى أو وضع تحت الشجر، وليس له حق العبادة من وجد فى ريح أو غيره.

(هُوَ فِي الْأَشْيَاءِ كَائِنٌ لَا كَيْنُونَةٌ مَحْظُورٍ بِهَا عَلَيْهِ، وَمِنَ الْأَشْيَاءِ بَائِنٌ لَا بَيْنُونَةٌ غَائِبٍ عَنْهَا، لَيْسَ بِقَادِرٍ مَن قَارَنَهُ ضِدُّهُ أَوْ سَاوَاهُ نَدُّ).

أى أنه سبحانه موجود وحاضر فى الأشياء دون أن يكون حادثا بحدث كما فى الخلائق لا امتناع ذلك عليه ولجريانه فى الممكنات فقط، وهو مبتعد ومنفصل عن الأشياء لا ابتعاد غائب عنها كما فى الممكنات، وليس بقادر من كان له قرين يخالفه أو نظير يساويه.

(لَيْسَ عَنِ الدَّهْرِ قِدْمُهُ وَلَا بِالنَّاحِيَةِ أَمَمُهُ، احْتَجَبَ عَنِ الْعُقُولِ كَمَا احْتَجَبَ عَنِ الْأَبْصَارِ، وَعَمَّنْ فِي السَّمَاءِ احْتِجَابُهُ كَمَنْ فِي الْأَرْضِ، قُرْبُهُ كَرَامَتُهُ وَبُعْدُهُ أَهَانَتُهُ، لَا تُحَلُّهُ (فِي) وَلَا تُوقَّتُهُ (إِذ) وَلَا تُؤَامِرُهُ (إِنَّ)).

استتر عن العيون النواظر، واستتر عن أهل السماء كما عن أهل الأرض، دنوه من العبد يظهر فى إكرامه له ونأبه وبعده يظهر فى احتقاره أو استضعافه، واستخدم الإمام عليه السلام أدوات لغوية، (فى) تشير إلى رفض حلوله فى الأشياء أى غير متحد مع شىء أو داخل فيه، (وإذ) تشير إلى رفض جريان الزمن عليه، (وإن) إشارة إلى امتناع كونه مأمورا.

(عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ، وَمَجِيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَنَقُّلٍ، يُوجِدُ الْمَفْقُودَ وَيُقَدِّدُ الْمَوْجُودَ، وَلَا تَجْتَمِعُ لِغَيْرِهِ الصِّفَتَانِ فِي وَقْتٍ).

ارتفاعه من غير صعود، وإقدامه وإتيانه من غير حركة وانتقال، يخلق ما لم يكن، ويفنى ما كان، وهاتان الصفتان لا يأتي بها أحد في آن واحد إلا الله تعالى.

(يُصِيبُ الْفِكْرَ مِنْهُ الْإِيمَانَ بِهِ مَوْجُوداً وَوَجُودَ الْإِيمَانِ لَا وَجُودَ صِفَةٍ).

لا يحصل الفكر منه إلا الإيمان به موجوداً حاضراً شاهداً وهذا الإيمان الموجود في الفكر حقيقة لا شك فيها.

(بِهِ تُوصَفُ الصِّفَاتُ لَا بِهَا يُوصَفُ، وَبِهِ تُعْرَفُ الْمَعَارِفُ لَا بِهَا يُعْرَفُ، فَذَلِكَ اللَّهُ لَا سَجِيَّ لَهُ، سُدِّحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

بالله تعالى تنعت النعوت وليست هي التي تثبت له نعتاً، وبه تعالى تعرف العلوم والمعارف وليست هي التي تعرفه وتشبهه، فهذا الموجود المحير للعقول الذي تكلمت عنه هو الله تعالى الذي ينفرد بهذا الاسم والذي ينطبق في اسمه الاسم على المسمى، تنزه عن كل نقص ليس له نظير يشابهه، وهو المحيط بالمسموعات والمبصرات.

### التحذير من الفكر المنحرف

(أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَؤُلَاءِ الْمَارِقَةَ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللَّهَ بِأَنْفُسِهِمْ، يُضَاهِئُونَ<sup>(1)</sup> قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ).

حذر الإمام المعصوم عليه السلام الأمة من الانجرار وراء الأفكار الضالة البعيدة عن سبيل الله تعالى وأرشد إلى التحرز من ترويجها وبثها وتبنيها بل حث الأمة على رفض أصحاب هذه الأفكار ومقتهم وعدم مخالطتهم والاقتراب منهم لخطورة ما ينطقون به من ترهات إذ إنهم يجعلون الله تعالى كأحدهم من خلال تشبيهه تعالى بأنفسهم ومن خلال فهمهم الخاطئ والقاصر لآيات القرآن الكريم والجمود على ظواهر

1- ضاهاه: شابهه، وفعل مثل فعله.

هذه الآيات وتعطيل دور العقل فى الوصول إلى الحقائق، فتراهم يقولون بالرؤية البصرية ويقولون بوجود يد لله تعالى أو رجل أو صورة ويجعلون له أبعاداً من طول وعرض وحجم وكتلة فى الوقت الذى يرفض القرآن الكريم هذا الفهم الخاطئ كما فى قوله تعالى:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) (1).

وقوله تعالى:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (2).

### الشبه بين المارقين وبين الكافرين

بعد أن أوردنا جهل وكفر أهل الكتاب الذين شبهوا الله تعالى بأنفسهم، صار لزوماً علينا أن نبين وجه الشبه بين قول المارقة الذين ذمهم الإمام عليه السلام وبين قول الكافرين من أهل الكتاب الذين كفروا لتشبيههم الله تعالى بخلقه، ولكى يتضح هذا الأمر نورد هذا التشابه فى أقوال الفريقين:

— ورد فى التوراة فى سفار الملوك الأول: الإصحاح الثانى والعشرون /19:

(قد رأيت الربّ جالساً على كرسيه وكلّ جند السماء وقوفٌ لديه عن يمينه وعن يساره، فقال الربّ من يغوى أخاب فيصعد ويسقط فى راموت جلعاد...) (3).

— وورد فى إنجيل يوحنا: الإصحاح العاشر /38:

(إن كنت لست أعمل أعمال أبى فلا- تؤمنوا بى، ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الأب فى وأنا فيه...).

1- سورة الأنعام، الآية: 103.

2- سورة الشورى، الآية: 11.

3- الفوائد البهية: ص134.

— وورد في صحيح البخارى:

حَدَّثَنَا عَوْفٌ عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ وَأَكْثَرُ مَا كَانَ يُوقِفُهُ أَبُو سَدِّ فَيَانِ: (يُقَالُ لِحَبَشَةٍ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلِ مِنْ مَرِيدٍ فَيَضَعُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدَمَهُ عَلَيْهَا فَتَقُولُ قَطٍ قَطٍ) (1).

وورد أيضا في صحيح البخارى:

حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ — قَالَ: (يُلْقَى فِي النَّارِ).

وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، وَعَنْ مُعْتَمِرِ بْنِ سَمْعَانَ أَبِي عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ — قَالَ:

(لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلِ مِنْ مَرِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضَهُمَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ قَدْ قَدِّبِعَرَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلَا تَزَالُ الْجَنَّةُ تَفْضَلُ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيَسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ) (2).

وورد أيضا:

حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ — قَالَ:

(اِخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا فَفَدَّالَتِ الْجَنَّةُ يَا رَبِّ مَا لَهَا لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا صَدَقَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، وَقَالَتِ النَّارُ — يَعْنِي — أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ أَنْتِ رَحْمَتِي، وَقَالَ لِلنَّارِ أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكَ مِنْ أَشَاءٍ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا

1- صحيح البخارى: ج 16، ص 153، ح 4849.

2- صحيح البخارى: ج 24، ص 216، ح 7384.

مِلُّوْهَا \_\_\_ قَالَ \_\_\_ فَأَمَّا الْجِنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ فَيُلْقُونَ فِيهَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، ثَلَاثًا، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَمْتَلِئُ وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَيَقُولُ قَطُّ قَطُّ قَطُّ(1).

فبعد هذا التشابه بين أقوال الذين كفروا من أهل الكتاب وبين أقوال الشبه المارقين تبين ضرورة الحيطة والحذر التي أمر بها الإمام عليه السلام الناس من الوقوع تحت تأثير هؤلاء المارقة.

### ما هو التشبيه؟

التشبيه في اللغة: التمثيل، تشابه الشيئان أشبه كل منها الآخر(2).

التشبيه في الاصطلاح: هو تشبيه ذات الله تعالى بشيء من مخلوقاته.

نشأت فكرة التشبيه عند ظهور أحاديث التشبيه التي بدأت في عهد عمر بن الخطاب واشتد انتشارها في عهد الدولة الأموية لأغراض سياسية إذ إنها لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي عهد أبي بكر بدليل الروايات الآتية:

(ورد في تنبيه الخاطر: روى عن ابن عباس أنه حضر مجلس عمر بن الخطاب يوماً \_ وعنده كعب الأحرار \_ إذ قال عمر: يا كعب! أحافظ أنت للتوراة؟

قال كعب: إني لأحفظ منها كثيرا، فقال رجل من جنبه: يا أمير المؤمنين! سله أين.

كان الله جل جلاله قبل أن يخلق عرشه؟ ومم خلق الماء الذي جعل عليه عرشه؟ فقال عمر: يا كعب! هل عندك من هذا علم؟

1- صحيح البخارى: ج24، ص301، ح7449.

2- المعجم الوسيط: ص471.



فقال كعب: نعم يا أمير المؤمنين! نجد في الأصل الحكيم أن الله تبارك وتعالى كان قديما قبل خلق العرش، وكان على صخرة بيت المقدس في الهواء، فلما أراد أن يخلق عرشه ثقل ثقله كانت منها البحار الغامرة واللجج الدائرة، فهناك خلق عرشه من بعض الصخرة التي كانت تحته، وآخر ما بقي منها لمسجد قدسه.

قال ابن عباس: وكان على بن أبي طالب عليه السلام حاضرا.. فعظم ربه وقام على قديمه، ونفض ثيابه، فأقسم عليه عمر عاد إلى مجلسه، ففعل.

قال عمر: غص عليها يا غواص، ما يقول أبو حسن فما علمتكم إلا مفجرا للغم؟ فالتفت على عليه السلام إلى كعب فقال:

«غلط أصحابك وحرفوا كتب الله، وقبحوا الفرية عليه، يا كعب! ويحك! إن الصخرة التي زعمت لا تحوى جلاله، ولا تسع عظمته، والهواء الذي ذكرت لا يجوز أقطاره، ولو كانت الصخرة والهواء قديمين معه لكانت لهما قدمته، وعز الله وجل أن يقال له مكان يومى إليه، والله ليس كما يقول الملحدون، ولا كما يظن الجاهلون، ولكن كان ولا مكان بحيث لا تبلغه الأذهان.

وقولى: (كان) لتعريف كونه، وهو مما علم من البيان، يقول الله عز وجل:

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (1).

فقولى له كان مما علمنى البيان لأنطق بحجة عظيمة المنان، ولم يزل ربنا مقتدرا على ما يشاء، محيطا بكل الأشياء، ثم كون ما أراد بلا فكرة حادثة له أصاب، ولا بشبهة دخلت عليه فيما أراد، وإنه عز وجل خلق نورا ابتدعه من غير شىء، ثم خلق منه ظلمة وكان قديرا أن يخلق الظلمة لا من شىء، كما خلق النور من غير شىء، ثم خلق من الظلمة نورا وخلق من النور ياقوته غلظها

كغلظ سبع سماوات وسبع أرضين، ثم زجر الياقوتة فما عت لهيبته فصارت مارا مرتعدا، ولا يزال مرتعدا إلى يوم القيامة، ثم خلق عرشه من نوره، وجعله على الماء، وللعرش عشرة آلاف لسان يسبح الله كل لسان منها بعشرة آلاف، ليس فيها لغة تشبه الأخرى، وكان العرش على الماء من دونه حجب الضباب، وذلك قوله:

(وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (1).

يا كعب! ويحك! إن من كانت البحار تقلته \_ على قولك \_ كان أعظم من أن تحويه صخرة بيت المقدس، أو يحويه الهواء الذي أشرت إليه أنه حل فيه..»

فضحك عمر بن الخطاب، وقال: هذا هو الامر، وهكذا يكون العلم لا كعلمك يا كعب، لا عشت إلى زمان لا أرى فيه أبا حسن (2).

ففى هذه الرواية يظهر أن عمر بن الخطاب هو من سمح لأفكار اليهود أن تدخل إلى الأمة الإسلامية من خلال رواية كعب الأحبار عما فى التوراة، كما أن اعتراض أم المؤمنين عائشة على من يقول برؤية الله تعالى فيه دلالة على أن الثقافة السائدة لم تكن تؤمن برؤية الله تعالى بل أن ثقافة الرؤية لم تكن سائدة أو منتشرة فى عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو فى خلافة أبي بكر وإلا لسمحت بها أم المؤمنين عائشة ولتبنت فكرتها ودافعت عنها، ولكن ما يظهر من الرواية الآتية لا يشير إلى ذلك.

جاء فى صحيح البخارى ( حدّثنا عبدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن أبي عبد الرحمن السلمى، عن أبي موسى الأشعري قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

1- سورة هود، الآية: 7.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج36، ص222، ح6.

«ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد، ثم يعافيههم ويرزقهم»(1).

أن التشبيه والتجسيم انتشر في الشام بل عملت الشام بقوة على نشره، ومما يدل على ذلك هذه الرواية التي يذكرها الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد.

عن أسد بن سعيد النخعي، قال: (أخبرني عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: قال محمد بن علي الباقر عليهما السلام:

«يا جابر ما أعظم فريضة أهل الشام على الله عز وجل، يزعمون أنّ الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس(2) ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجرة(3) فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذة مصلى يا جابر إنّ الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيهه، تعالى عن صفة الواصفين، وجلّ عن أوهام المتوهّمين، واحتجب عن أعين الناظرين لا يزول مع الزائلين، ولا يأفل مع الآفلين، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم»(4).

### التشبيه محال عقلاً

يتفق العقل مع الشرع على رفض التشبيه وإبطال التجسيم لما فيهما من جرأة على خالق الخلق ومدبر الأكوان ورب الأرباب، ولما فيهما من تحديد اللامحدود وإفقار للغنى المطلق، وجعل واجب الوجود ممكناً ضعيفاً تعثره الحوادث والمتغيرات وتحيط به الأماكن والأبعاد، وحيث إننا نريد أن نظل على قول العقل في تشبيه المخلوق بالخالق وتشبيه الممكن بالواجب وتحويل الإله الغنى المطلق إلى فقير محتاج.

1- صحيح البخارى: ج6، ص2687، باب قول الله تعالى: (إنّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين)، ح6943.

2- المقدّم والتالى كلاهما مزعومهم الباطل.

3- هو إبراهيم النبى على نبينا وآله وعليه السلام وضع قدمه على حجرة فى مكّة حين تفقد عن ابنه اسماعيل لتغسلها زوجته فبقى فيها نقش منها، وهى الآن فى المحلّ المعروف بمقام إبراهيم عليه السلام قرب الكعبة، وقصته طويّلة تطلب من مظانّها.

4- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص174 \_\_ 175، ح13.

فنقول: اتفق أهل الاختصاص على أن العقل يدرك أن المعقول إما أن يصح اتصافه بالوجود الخارجي أو لا، والذي يصح اتصافه بالوجود إما واجب أو لا، فالذى لا يصح اتصافه بالوجود الخارجي هو ممتنع الوجود، والذي يصح اتصافه بالوجود الخارجي يكون على قسمين: واجب الوجود وممكن الوجود، وواجب الوجود ما كان وجوده واجبا بذاته لذاته أى لا يحتاج فى وجوده إلى غيره بل أن وجوده من ذاته بذاته وهذا هو الله تعالى لا-غير، وأما ممكن الوجود من كان وجوده بغيره، أى يحتاج فى وجوده إلى غيره فيكون حينئذ وجوده متساوى النسبة إلى الوجود والعدم فيحتاج إلى موجود يوجده فإما أن يكون الموجد للممكن نفسه فيلزم الدور وإما يكون غيره فننتقل إلى ذلك الغير فيتسلسل الأمر وحيث إن التسلسل باطل ثبت أن الموجد للممكن لا بد أن يكون واجب الوجود، فيظهر مما تقدم أن واجب الوجود غنى مطلق وما سواه فقير محتاج مطلق، فلذا صار أن يتصف كل منهما بصفات تليق به، فإذا قلنا إن واجب الوجود يشبه ممكن الوجود فى بعض الصفات التى يتصف بها الممكن الفقير المحتاج المحدود الحادث الفانى يلزم من قولنا انقلاب واجب الوجود الغنى مطلقا إلى الممكن وهو لا-يزال واجب الوجود وهذا محال لاجتماع النقيضين، أى ما فرضناه غنيا لا يحتاج إلى غيره مطلقا انقلب فقيرا محتاجا مع وجوب وجوده وهذا محال.

### التشبيه لا يصح ولا يجوز فى القرآن الكريم

حسنا القرآن الكريم على التدبر فى آياته الكريمة لنفهم ما يمكن فهمه ونرد ما يصعب فهمه إلى أهله الذين خوطبوا به، ففى كل آية ظاهر أنيق وباطن عميق، ولكل آية تفسير وتأويل ولكن لا يعلم تأويله إلا الله تعالى وعباده الراسخون فى العلم إلا أن هذا لا يمنع أن نفهم ما يظهر من آياته التى تشير إلى عدم صحة وجواز التشبيه كما فى الآيات الآتية:

## 1\_ قوله تعالى:

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (1).

يظهر هنا أن اليهود والنصارى نسبت إليه تعالى الأبوة فجعلت عزيز وعيسى ولداً له تعالى، هذا قول يلزم منه مفسد كثيرة تدل على جراءة قائله وجهله بمقام ربه، ففي هذا القول الباطل يشيرون إلى أن الله تعالى يشبه خلقه في حاجته للولد، ويشبهه في التناسل والتوالد تعالى عن ذلك علواً كبيراً فهو تعالى كما وصف نفسه:

(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)

وهو تعالى منزّه عن كل صفات المخلوقين من حيث الحاجة والمحدودية والتجسيم والمكان والزمان وكل نقص، فلا يصح ولا يجوز ولا يمكن أن نجعل له ولداً أو امرأة ولا يمكن أن يكون له شبهة وهذا ما أكدته قوله تعالى:

(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (2).

فكيف بعزير وعيسى أن يكونا ولدين لله تعالى وهو الإله الغنى المطلق اللامحدود؟ وكيف يكون الولد الفقير المحتاج المحدود الممكن المركب العاجز الحادث شبيهاً لله تعالى الكامل المطلق؟ فهذا محال لانتفاء الشبه بين الولد المدعى وبين الله تعالى الأب كما يدعون، فإذا انتفى الشبه انتفت البنوة والأبوة معاً، بل لا شبيه له في الوجود إذ إنه تعالى الخالق وما سواه مخلوق حادث فقير محتاج.

1- سورة التوبة: 30.

2- سورة الأنعام، الآية: 101.

2\_\_ قوله تعالى:

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (1).

تؤكد هذه الآية الكريمة أن الله تعالى الذى خلق الخلق وبرا النسمة وفطر السموات والأرض ودير الكون واستوى على العرش، لا يمكن أن يكون رجلا- فقيرا محتاجا مولوداً من رحم امرأة، كما لا يمكن أن يكون هذا المولود الحادث الذى هو مسبق بوجود أمه، والمحتاج إلى رعايتها إلا غنيا أزليا قديما له كل صفات الكمال، بل يلزم من هذا القول الباطل الانقلاب الحال.

3\_\_ قوله تعالى:

(وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) (158) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (2).

تستتكر هاتان الآيتان الكريمتان أن يكون لله تعالى نسب كما لغيره من المخلوقات، وتؤكد أن على من يقول هذا القول فهو ممن يثبت الشبه بين الله تعالى الذى ليس كمثل شىء وبين خلقه الذى ينسب إلى غيره، فالجن ينتسب إلى الجن للتشابه بينهم، والإنسان ينسب إلى نوعه للتشابه بين أفراد النوع الواحد، وهكذا المخلوقات الأخرى تنتسب إلى جنسها ونوعها لاشتراكها فى صفات واحدة، وهذا مما لا ينطبق على الله تعالى إذ لا شبه بينه وبين أحد من مخلوقاته كما تقدم أعلاه.

4\_\_ وهناك آيات أخرى تنفى التشبيه بين الله المثل وبين خلقه، فآية تنفى رؤيته

1- سورة المائدة، الآية: 72.

2- سورة الصافات، الآيتان: 158 و159.

بالبصر كما فى قوله تعالى:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (1).

وقوله تعالى:

(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) (2).

وأخرى تنفى الحاجة التى هى من صفات المخلوق كما فى قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (3).

وثالثة تنفى فناءه إذ كل مخلوق فان كما فى قوله تعالى:

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (4).

بعد هذه الآيات الكريمة وغيرها كيف يتسنى لأحد أن يشبه الله تعالى الغنى بخلقه الفقير؟

### التشبيه لا يجوز ولا يصح نقلا فى السنة النبوية

بلغنا ما نقر بصحته من الروايات التى وردت عن أهل بيت العصمة عليهم السلام ما يؤكد حكم العقل الذى يقول باستحالة التشبيه بين الخالق والمخلوق وبين

1- سورة الأنعام، الآية: 103.

2- سورة الأعراف، الآية: 143.

3- سورة فاطر، الآية: 15.

4- سورة الرحمن، الآيتان: 26 و27.

الواجب والممكن، وحيث إن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار هم عيبة علم الله تعالى ومنابع المعرفة الحقة وخزائن الحكمة ومصادر التشريع صار لزاماً علينا أن نقف على رواياتهم وخطبهم وأقوالهم في هذا الموضوع لتتضح لنا كيفية وصف الحق سبحانه.

1\_\_ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يصف ربه تعالى وصفاً يليق به سبحانه، يؤكد فيه على نفي التشبيه.

عن إسحاق بن غالب، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض خطبه:

الحمد لله الذي كان في أوليته وحدانيته، وفي أزليته متعظماً بالإلهية، متكبراً بكبريائه وجبروته ابتداءً ما ابتدع، وأنشأ ما خلق على غير مثالٍ كان سبق بشيءٍ مما خلق» (1).

ويشير الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن المشبهة يجهلون مقام ربهم سبحانه كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما عرف الله من شَبَّهه بخلقه، ولا وصفه بالعدل من نسب إليه ذنوب عباده...» (2).

2\_\_ أمير المؤمنين عليه السلام وسيد البلغاء بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصدح بخطبته التي يوحد الله تعالى بها وينزهه عن صفات المخلوقين ويؤكد على أن الله تعالى لا يشبه خلقه ولا أحد من الخلق يشبهه، بل يصرح بجهل من شبه الله تعالى بخلقه، ويشير أيضاً إلى عدم توحيد من يقول بالتشبيه، ولكي نترك القارئ الكريم يطلع على

1- كتاب التوحيد للصدوق: ص 45، ح 4.

2- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص 48، ح 10.



نهج أمير المؤمنين عليه السلام وفكره ويقف على معرفته بربه تعالى نورد إليه هذه الخطبة البليغة المليئة بالعلم والحكمة والتوحيد الحقيقي.

عن فرج بن فروة، عن مسعدة بن صدقة، قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على المنبر بالكوفة إذ قام إليه رجل فقال:

يا أمير المؤمنين صف لنا ربك تبارك وتعالى لنزداد له حباً وبه معرفة، فغضب أمير المؤمنين عليه السلام ونادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله، ثم قام متغيّر اللون فقال:

الحمد لله الذي لا يقره المنع، ولا يكديه الإعطاء إذ كل معطٍ منتقص سواه، الملىء بفوائد النعم وعوائد المزيد، وبجوده صمد من عيالة الخلق؛ فأنهج سبيل الطلب للراغبين إليه، فليس بما سئل أجود منه بما لم يسأل، وما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال، ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه أصداف البحار من فلذ اللجين وسبائك العقيان ونضائد المرجان لبعض عبيده، لما أثر ذلك في وجوده ولا أنفد سعة ما عنده، وكان عنده من ذخائر الإفصال ما لا ينفدُه مطالب السؤال ولا يخطر لكثرتُه على بال، لأنه الجواد الذي لا تنقصه المواهب، ولا ينحله إلحاح الملحّين (وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) الذي عجزت الملائكة على قربهم من كرسى كرامته، وطول ولهم إليه، وتعظيم جلال عزه، وقربهم من غيب ملكوته أن يعلموا من أمره إلا ما أعلمهم، وهم من ملكوت القدس بحيث هم من معرفته على ما فطرهم عليه أن قالوا: (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) (1).

3\_\_ وحيث إن الأئمة المعصومين عليهم السلام هم نور واحد وقول واحد ومنهج واحد نطمئن أن وصفهم لربهم سبحانه لا يختلفون فيه فقول كل واحد منهم هو قول جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأخيه المرتضى عليه السلام وخير دليل على ذلك ما قاله الإمام الرضا عليه السلام الذي هو ثامن الأئمة المعصومين عليهم السلام.

حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال: حدّثنا محمّد بن عمرو الكاتب، عن محمّد بن زياد القلزمي، عن محمد بن أبي زياد الجدي صاحب الصلاة بجدة، قال: (حدّثني محمّد بن يحيى بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يتكلّم بهذا الكلام عند المأمون في التوحيد، قال ابن أبي زياد: ورواه لي أيضا أحمد بن عبد الله العلوي مولى لهم وخالّ لبعضهم عن القاسم بن أيوب العلوي أنّ المأمون لما أراد أن يستعمل الرضا عليه السلام على هذا الأمر جمع بني هاشم فقال: إني أريد أن استعمل الرضا على هذا الأمر من بعدى، فحسده بنو هاشم، وقالوا: أتولّى رجلاً جاهلاً ليس له بصر بتدبير الخلافة؟! فابعث إليه رجلاً يأتنا فترى من جهله ما يستدلّ به عليه، فبعث إليه فأتاه، فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن اصعد المنبر وانصب لنا علماً نعبد الله عليه، فصعد عليه السلام المنبر، فقعد ملياً لا يتكلّم مطرقة، ثم انتفض انتفاضة واستوى قائماً، وحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيّه وأهل بيته، ثم قال:

«أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيد الله نفى الصفات عنه لشهادة العقول أنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق وشهادة كلّ مخلوق أنّ له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كلّ صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالامتناع عن الأزل الممتنع من الحدث، فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته، ولا إيّاه وحدّ من اكتنّبه ولا حقيقته أصاب

من مثله، ولا به صدق من نّهاه ولا صمد صمده من أشار إليه ولا إياه عنى من شبّهه، ولا له تذلل من بّعضه، ولا إياه أراد من توهمه، كلّ معروفٍ بنفسه مصنوع وكلّ قائم في سواه معلول، بصنع الله يستدلّ عليه، وبالعقول يعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجّته خلق الله حجابٌ بينه وبينهم ومباينته إياهم مفارقتة إيتهم، وابتداؤه إياهم دليلهم على أن لا ابتداء له لعجز كلّ مبتدئٍ عن ابتداء غيره، وأدوّه إياهم دليل على أن لا أداة فيه لشهادة الأدوات المتأدّين وأسماؤه تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه، وعُبوره تحديد لما سواه فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعدّاه من اشتمله وقد أخطأه من اكتنّته، ومن قال: كيف فقد شبّهه، ومن قال: لم فقد علّله، ومن قال: متى فقد وقّته، ومن قال: فيم فقد ضمّنه، ومن قال: إلى م فقد نهاه، ومن قال: حتّى م فقد غيّاه ومن غيّاه فقد غاياه، ومن غاياه، فقد جرّاه، ومن جرّاه فقد وصفه، ومن وصفه فقد ألحد فيه، لا يتغيّر الله بانغيار المخلوق، كما لا يتحدّد بتحديد المحدود، أحدٌ لا بتأويل عددٍ ظاهرٌ لا بتأويل المباشرة، متجلّ لا باستهلال رؤية، باطن لا بمزايلة، مبائنٌ لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدر لا بحول فكرة مدبّر لا بحركة، مريد لا بهمامة، شاء لا بهمة، مدرك لا بمجسّة سميع لا بألة، بصير لا بأداة.

لا تصحبه الأوقات، ولا تضمّنه الأماكن، ولا تأخذه السينات ولا تحدّه الصفات، ولا تقيده الأدوات سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأمور عرف أن لا قرين له، ضادّ النور بالظلمة، والجلالية بالثبهم، والجسو بالبلل والصرد بالحرور، مؤلّف بين متعادياتها،

مفرّق بين متدانياتها، دالة بتفريقها على مفرّقها، وبتأليفها على مؤلّفها، ذلك قوله عزّ وجلّ:

(وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (1).

ففرّق بها بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد، شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمعرّزها، دالة بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقّتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها غيرها له معنى الربويّة إذ لا مربوب وحقيقة الإلهيّة إذ لا مالوه ومعنى العالم ولا معلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وتأويل السمع ولا مسموع ليس منذ خلق استحقّ معنى الخالق، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئيّة كيف ولا تعيبه مذ، ولا تدنيه قد، ولا تحجبه لعلّ، ولا توقّته متى، ولا تشملته حين، ولا تقارنه مع، إنّما تحدّد الأدوات أنفسها، وتشير الآلة إلى نظائرها وفي الأشياء يوجد فعالها منعتها منذ القدم، وحماتها قد الأزلية، وجنّبها لولا التكملة افتقرت فدلت على مفرّقها، وتباينت فأعربت عن مباينها لما تجلّى صانعها للعقول وبها احتجب عن الرؤية، وإيهاتحاكم الأوهام، وفيها أثبت غيره ومنها أنيط الدليل وبها عزّفها الإقرار، وبالعقول يعتقد التصديق بالله، وبالإقرار يكمل الإيمان به، ولا ديانة إلّا بعد المعرفة، ولا معرفة إلّا بالإخلاص، ولا-إخلاص مع التشبيه، ولا نفى مع إثبات الصفات للتشبيه فكلّ ما فى الخلق لا يوجد فى خالقه، وكلّ ما يمكن فيه يمتنع من صانعه، لا تجرى عليه الحركة والسكون، وكيف يجرى عليه ما هو أجراه، أو يعود إليه ما هو ابتدأه إذا لتفاوتت ذاته، ولتجزأ كنهه، ولا تمتنع من الأزل معناه، ولما كان للبارئ معنى غير المبروء، ولو حدّد له وراء إذا حدّد له أمام ولو التمس له التمام إذا لزمه النقصان،

كيف يستحق الأزل من لا يمتنع من الحدث، وكيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الإنشاء، إذا لقامت فيه آية المصنوع، ولتحول دليلاً بعد ما كان مدلولاً عليه، ليس في محال القول حجة ولا في المسألة عنه جواب، ولا في معناه له تعظيم، ولا في إبانته عن الخلق ضيم، إلا بامتناع الأزل أن يثنى وما لا بدأ له أن يبدأ، لا إله إلا الله العلي العظيم، كذب العادلون بالله، وضلوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خساراً مبيناً، وصلى الله على محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين»(1).

ولكى نؤكد على عدم جواز تشبيه الله تعالى بخلقه نورد حديثين عن الأئمة المعصومين عليهم السلام يبينان حال من يشبه الله تعالى بخلقه وهل أن الله له شيئاً من الإيمان؟

1\_ يشير الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام إلى أن المشبهة لا إيمان لهم بقوله:

«مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَمَنْ أَنْكَرَ قُدْرَتَهُ فَهُوَ كَافِرٌ»(2).

2\_ ويؤكد ولده الإمام الرضا عليه السلام ذلك بقوله:

«مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَمَنْ وَصَفَهُ بِالْمَكَانِ فَهُوَ كَافِرٌ، وَمَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ مَا نَهَى عَنْهُ فَهُوَ كَاذِبٌ».

ثم تلا هذه الآية:

«إِنَّمَا يُفْتَرَى الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ»(3)،(4).

فبهذا المقدار نكتفي من بيان عدم صحة القول بالتشبيه وعدم جواز ذلك.

1- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص 35 \_ 42، ح 2.

2- كتاب التوحيد للصدوق: ص 74، ح 31.

3- سورة النحل، الآية: 105.

4- التوحيد للصدوق: ص 67، ح 25.

## هل أن الله تعالى شيء؟

تمتتع الكلمات من الانتقاش على سطورها وجلة كونها ترجمان المباحث العقائدية لاسيما فى البحوث التى تتكلم عن بارئها، فكيف لى أن أبدأ الجواب على هذا السؤال؟ هل أن الله تعالى شىء؟ لمعرفتى أن الفطرة تقر بوجود خالق الخلق، والقلب ملىء باليقين والتصديق، والجوارح مذعنة معترفة بقدرته وإحاطته، فلذا أقول بلسان صريح أن الله تعالى موجود، وأنه تعالى شىء لما جاء فى كتب اللغة من أن الشىء هو الموجود(1).

فلذا يصح أن نطلق كلمة (شىء) على الله تعالى مع الاحتفاظ بقيود الآيات والروايات الشريفة التى صرحت بأنه تعالى (ليس كمثله شىء) ولكى يتاح لى أن أجيب على هذا السؤال بطريقة علمية لابد أن أسلسل الجواب وفق النقاط التالية:

1\_\_ لا- شك فى وجود الله تعالى بالدليل العقلى كبرهان الإمكان وبرهان العلة والمعلول وبرهان المحدودية وبرهان الأثر والمؤثر التى ذكرها أهل الاختصاص فى محلها.

2\_\_ لا شك فى وجود الله تعالى بالدليل النقلى كما فى قوله تعالى:

(أَفَى اللّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (2).

وقوله تعالى:

(مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (3).

1- المعجم الوسيط: ص502.

2- سورة إبراهيم، الآية: 10.

3- سورة الروم، الآية: 31.

وقال عز وجل:

(وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) (1).

وهناك أكثر من آية تصرح بأن الله تعالى موجود لخلقه الخلق وتديره الأمر.

كما أن الكثير من الروايات التي تشير إلى وجوده تعالى كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في حوار مع السائلين والمستفهمين ومع المشككين والملحدّين، وقد أشار مولانا الإمام الصادق عليه السلام إلى دليل الفطرة الذي يظهر عند الشدائد، (قال له رجل: يا ابن رسول الله ذلني على الله ما هو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيروني).

فقال الإمام عليه السلام:

«يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فهل كُسرَتْ بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فهل تعلق قلبك هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادرٌ على أن يخلصك من ورطتك؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجى وعلى الإغاثة حيث لا مغيث» (2).

1- سورة العنكبوت، الآية: 61.

2- الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية، محمد جميل حمّود: ج 1، ص 88. بحار الأنوار: ج 3، ص 41

3\_\_ ثبت عند أهل الحكمة وكثير من المتكلمين أن الشيئية تساوق الوجود والعدم لا شيئية له أى أن كل ما له الوجود له الشيئية، وكل ما له الشيئية له الوجود(1).

4\_\_ ثبت فى لسان النقل أن الله تعالى شىء ولكن ليس كمثل شىء كما فى قوله تعالى:

(فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (2).

وما ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام صريح فى جواز إطلاق (شىء) على الله تعالى ولكن دون أن نفى وجوده أو نفى صفاته، ودون أن نشبهه بصفات خلقه كما فى قول الإمام الجواد عليه السلام: (عن الحسين بن سعيد قال: سئل أبو جعفر الثانى عليه السلام: يجوز أن يقال لله: إنه شىء؟ قال \_\_ عليه السلام \_\_:

«نعم يُخْرِجُهُ مِنَ الْحَدِيثِ: حَدُّ التَّعْطِيلِ وَحَدُّ التَّشْبِيهِ» (3).

وروايات أخرى تبيّن أنه تعالى شىء لا كالأشياء فى ذاته وصفاته بل هو تعالى فوق الإدراك والأوهام وهذا ما صرح به الإمام الباقر عليه السلام: (عن محمد بن عيسى، عن عبد الرحمن بن أبى نجران قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن التوحيد فقلت: أتوهم شيئاً؟ فقال \_\_ عليه السلام \_\_:

«نعم، غَيْرُ مَعْقُولٍ وَلَا مَحْدُودٍ، فَمَا وَقَعَ وَهَمُّكَ عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ خِلَافُهُ، لَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ وَلَا تَدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ، كَيْفَ تَدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ وَهُوَ خِلَافُ مَا يُعْقَلُ وَخِلَافُ مَا يَتَصَوَّرُ فِي الْأَوْهَامِ! إِنَّمَا يَتَوَهَّمُ شَيْءٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَلَا مَحْدُودٍ» (4).

1- بداية الحكمة: ص 165.

2- سورة الشورى، الآية: 11.

3- أصول الكافى للكلينى: ج 1، ص 104، باب إطلاق القول بأنه شىء، ح 2.

4- أصول الكافى للشيخ الكلينى: ج 1، ص 104، باب إطلاق القول بأنه شىء، ح 1.



وما نوره من الروايات الشريفة الآتية صريح في إطلاق الشيئية عليه تعالى مع الاحتفاظ بشروطها كما فيما يلي:

1— عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن زرارة بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«إنَّ اللهَ خَلو من خلقه وخلقته خلو منه وكل ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله فهو مخلوق والله خالق كل شيء تبارك الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»<sup>(1)</sup>.

2— عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن علي بن عطية، عن خيثمة، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إنَّ اللهَ خَلو من خلقه وخلقته خلو منه وكل ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله تعالى فهو مخلوق والله خالق كل شيء»<sup>(2)</sup>.

3— عن العباس بن عمرو الفقيمي، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للزُّنديق حين سأله: ما هو؟

قال:

«هو شيء بخلاف الأشياء ارجع بقولي إلى إثبات معنى وأنه شيء بحقيقة الشيئية غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغيّره الأزمان»<sup>(3)</sup>.

1- أصول الكافي: ج 1، ص 105، باب إطلاق القول بأنه شيء، ح 4.

2- أصول الكافي للكليني: ج 1، ص 105، ح 5.

3- أصول الكافي للشيخ الكليني: ج 1، ص 105، باب إطلاق القول بأنه شيء، ح 6.

## السميع البصير اسمان من أسمائه تعالى

إن صفتى السمع والبصر مما يتصف بهما الله تعالى دون أن يمس هذا الاتصاف عظمة الحق سبحانه، ومن غير أن يشترك معه السامعون والمبصرون لجلاله عن آلتى السمع والبصر، فهو سميع بغير آلة وبصير بغير جارحة، ولذا أشتق اسما السميع والبصير من هذا الاتصاف، ولكى نقف على حقيقة هاتين الصفتين لابد أن نطلع على ما قيل فى تفسيرهما وانطباقهما على الله تعالى.

1\_ إنَّ سمعَهُ وبصرَهُ سبحانه ليسا وصفين يغييران وصف العلم، بل هما من شَبَّ عِبَ علمه بالمسموعات والمبصرات، فلأجل علمه بهما صار يطلق عليه تعالى أنه سميعٌ بصير.

2\_ إنَّهما وصفان حسيان، وإدراكان نظير الموجود فى الإنسان.

3\_ إنَّ السَّمعَ والبصرَ يغييران مطلق العلم مفهوماً، ولكنهما علمان مخصوصان وراء علمه المطلق من دون تكثر فى الذات ومن دون أن يستلزم ذلك التوصيف تجسماً، وما هذا إلاَّ حضور الهويّات المسموعة والمبصرة عنده سبحانه، فشهود المسموعات سمع، وشهود المبصرات بصر، وهو غير علمه المطلق بالأشياء العامة، غير المسموعة والمبصرة (1).

ولبيان صحة هذه الأقوال الثلاثة التى وردت عن أهل العلم نقول:

ألف: إن السمع والبصر فى الله تعالى لا يمكن أن يكونا حسيين لتنزهه عن صفات الممكنات، وجلاله عن الحاجة والتركيب، فلذا لا صحة للقول الثانى لاستحالة انطباقه على الله تعالى.

باء: بما أنه تعالى يحيط بكل شىء علماً فهو تعالى عالم بالمسموعات والمبصرات ولذا يصح إطلاق اسمى السميع والبصير عليه تعالى.

## الوصفان في القرآن الكريم

## السميع

تتجلى العظمة الإلهية من خلال الخلق لمن ينظر إليها من نافذة الممكنات، ويشهدها بقلبه حينما يتأمل صفات الحق سبحانه، وخير من وصف البارئ عز وجل هو كتابه الكريم بآيات مليئة بالحكمة والعلم، وبكلمات تحوى بطونا سبعة لا يعلمها إلا أهلها، ولكي نقف على هذه الصفة (السمع) التي إذا اتصف بها فاعلها سمى بالسميع لابد أن نطلع على ما جاء في ذكر هذا الاسم وهذه الصفة في الآيات الكريمة من القرآن الكريم:

1\_ كونه تعالى واجب الوجود وخالق الخلق ومدبر الأمور يقتضى ذلك أن يكون محيطا بكل شىء، لا تخفى عليه الأصوات ولا تقوته الخفايا والأسرار، فهو لكل صوت سميع وبكل سر عليم فلذا قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (1).

2\_ كونه تعالى رؤوفاً بالعباد لطيفاً بالخلق رحيماً بالمؤمنين يقتضى ذلك أن يجيبهم إذا سألوا ويحميهم إذا لجأوا ويغيثهم إذا استغاثوا فلذا نجده سبحانه يصف نفسه تعالى بأنه سميع لدعاء عباده كما فى قوله تعالى:

(هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) (2).

رغم أن دعاء زكريا كان خفياً كما حكى لنا ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى:

(إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) (3).

1- سورة البقرة، الآية: 181.

2- سورة آل عمران، الآية: 38.

3- سورة مريم، الآية: 3.

فهو يسمع الدعاء ويسمع النداء ويعلم الاستغاثة سواء كان ذلك فى الجهر أو الإخفاء.

3\_\_ لا- شك فى أن يكون خالق الخلق والمحيط بكل شىء قريباً من عباده لا قرب مكان ولا قرب زمان لأنه تنزه عن مجانسة مخلوقاته وإنما هو مقتضى إحاطته لذا يصف نفسه بقوله تعالى:

(إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) (1).

مداراة لعقولنا التى أنست بالأبعاد المادية الدنيوية وإلا فهو تعالى أسمى فى قربه من أن ندركه فلذا يخاطبنا بقوله:

(أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) (2).

4\_\_ وصف الله سبحانه نفسه بأنه يسمع دون أن تؤثر فيه الأصوات ودون أن تؤثر على سماعه الأماكن فهو يسمع من فى السموات كما يسمع من فى الأرض وفى آن واحد وبمستوى واحد كما فى قوله تعالى:

(قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (3).

وقوله تعالى:

(إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (4).

5\_\_ لو تتبعنا كل آية ورد فيها اسم السميع لطلال بناء المقام فلذا اكتفينا بذكر بعضها علما أن اسم السميع أو كلمة سميع وردت فى كثير من الآيات.

1- سورة سبأ، الآية: 50.

2- سورة الزخرف، الآية: 80.

3- سورة الأنبياء: 4.

4- سورة الشعراء، الآية: 220.

## البصير

علمنا بأنه تعالى يرى ويسمع يجعلنا في حياء دائم لاسيما عندما تقع من بعضنا الآثام ويقترف بعضنا الذنوب، فنعيش في دائرة التقصير مستغفرين تائبين، كيف لا يكون ذلك ونحن نقرأ هذه الآيات الكريمة؟

1\_\_ آية تشير أنه تعالى مطلع على ظواهرنا وبواطننا بغير جارحة أو آلة للبصر كما في قوله تعالى:

(فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (1).

2\_\_ آية تصرح بأن ما نقترف من سيئات ونرتكب من ذنوب في أعمالنا وأقوالنا ونياتنا تحت مراقبته كما في قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (2).

3\_\_ عندما نتأمل ونتدبر قوله تعالى:

(إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) (3).

نعتقد بأن بصره ليس كبصرنا وإبصاره ليس كإبصارنا، فبصره لا بد أن يكون منزهاً عن الحدود والأماكن والأزمان، ولا بد أن يكون بصره واسعاً سعة تليق به تعالى وليس ذلك إلا علمه بالمبصرات وإحاطته بها.

4\_\_ حيث إننا نعلم أن كلمة (البصير \_\_ بصير) وردت في أكثر من آية في القرآن الكريم وكلها تشير إلى اتصافه تعالى بالبصر وتسميته بالبصير نكتفى بما تقدم ونتدبر في

1- سورة غافر، الآية: 44.

2- سورة البقرة، الآية: 110.

3- سورة الملك، الآية: 19.

الآيات التي ذكرت هذه الصفة لنعرف شيئا من عظمة ربنا سبحانه وتعالى.

وقوله عليه السلام:

«احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وعمن في السماء احتجابه كمن في الأرض».

تقدمت الأبحاث التي أثبتت عدم الرؤية البصرية بل أثبتنا عدم إحاطة العقل به سبحانه لمحدودية العقل وعجزه عن أن يحيط بالله تعالى، وأدرجنا الروايات التي تشير إلى عجز الأوهام والأفهام عن الإحاطة به تعالى، ولكي نذكر القارئ الكريم نقول باختصار:

الله تعالى هو واجب الوجود ومن صفات واجب الوجود وكمال أنه منزه عن الحدود والأوصاف الناقصة، ومنزه عن كل صفات الممكن، ولذا فهو تعالى فوق العقول المحدودة وخارج إدراكها، كما أنه تعالى منزه عن الجسم والجسمانية فيكون أيضا خارجا عن الرؤية البصرية، وهو تعالى خالق الخلق ومحيط بكل شيء فلا شيء يحيط به، فاحتجب عن خلقه لا بحجاب أو ساتر، وإنما احتجب بذاته وصفاته ووجوب وجوده.

ولكي نؤكد قولنا ونربط بين قول الإمام الحسين عليه السلام وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام نورد هذه الخطبة عن أمير المؤمنين عليه السلام التي تبين بوضوح ما أراه الإمام الحسين عليه السلام، فلقد جاء في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام:

«الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا تحجبه السواتر، الدال على قدمه بحدوث خلقه، ويحدوث خلقه على وجوده، وباشتباهم على أن لا شبه له، الذي صدق في ميعاده، وارتفع عن ظلم عباده، وقام بالقسط في خلقه، وعدل عليهم في حكمه، مستشهد بحدوث الأشياء على أزليته، وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه، واحد لا بعدد، ودائم لا بآمد، وقائم لا بعمد، تتلقاه الأذهان لا بمشاعرة، وتشهد له

المرائي لا- بمحاضرة، لم تحط به الأوهام بل تجلى لها بها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها، ليس بذى كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيما، ولا بذى عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيما، بل كبر شأننا، وعظم سلطانا»(1).

وهناك روايات تذكر علة احتجاب الله عزّ وجلّ عن خلقه.

عن محمد بن بندار، عن محمد بن علي، عن محمد بن عبد الله الخراساني — خادم الرضا عليه السلام — قال: (قال بعض الزنادقة لأبي الحسن عليه السلام:

لِمَ احتجب الله؟ فقال أبو الحسن عليه السلام:

«إن الحجاب عن الخلق لكثرة ذنوبهم فأما هو فلا تخفى عليه خافية في آناء الليل والنهار».

قال: فلمَ لا تدركه حاسة البصر؟ قال — عليه السلام —:

«للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسة الأبصار، ثم هو أجل من أن تدركه الأبصار أو يحيط به وهم أو يضبطه عقل».

قال: فحده لي، قال — عليه السلام —:

«إنه لا يحد».

قال: لِمَ؟ قال — عليه السلام —:

«لأن كل محدود متناه إلى حد فإذا احتتم التحديد احتتم الزيادة، وإذا احتتم الزيادة احتتم النقصان، فهو غير محدود ولا متزائد ولا متجز ولا متوهم»(2).

وجاء عن القاسم بن محمد، عن حمدان بن الحسين، عن الحسين بن الوليد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي حمزة الثمالي قال: (قلت لعلى بن الحسين عليهما السلام:

1- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للعلامة حبيب الله الهاشمي: ج 11، ص 5، الخطبة 184.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 3، ص 16، ح 1.

لأى علة حجب الله عز وجل الخلق عن نفسه؟ قال \_\_ عليه السلام \_\_:

«لا ين الله تبارك وتعالى بناهم بنية على الجهل فلو أنهم كانوا ينظرون إلى الله عز وجل لما كانوا بالذين يهابونه ولا يعظمونه، نظير ذلك أحدكم إذا نظر إلى بيت الله الحرام أول مرة عظمه فإذا أتت عليه أيام وهو يراه لا يكاد أن ينظر إليه إذا مر به ولا يعظمه ذلك التعظيم» (1).

\_\_ وقوله عليه السلام:

«قربه كرامته وبعده إهانتته».

أشار الإمام عليه السلام إلى القرب الإلهي وبين أنه قرب معنوي لا قرب مادي فلذا يقول إن قرب الله تعالى من العبد يظهر من خلال إكرامه لهذا العبد وأن بعد الله تعالى عن العبد يظهر من خلال سخطه وعدم رضاه وإهانتته لهذا العبد، فيظهر من قول الإمام عليه السلام أن الله تعالى لا يحويه مكان ولا يحيط به موضع فلذا لا يكون له قرب وبعد مادي، وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال» (2).

\_\_ وقوله عليه السلام:

(عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ، وَمَحِيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَنَقُّلٍ، يُوجَدُ الْمَفْقُودَ وَيُقَدِّدُ الْمَوْجُودَ، وَلَا تَجْتَمِعُ لِغَيْرِهِ الصِّفَتَانِ فِي وَقْتٍ).

أشار الإمام عليه السلام إلى أربعة أبحاث نوجزها في النقاط التالية:

1\_\_ إن الله تعالى عال علواً معنوياً، وما كان علوه ناشئاً عن صعود سلّم أو ارتقاء منبر، أو طيران طائر بل هو علو خارج عن صفات المادة والجسمية.

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج 3، ص 16، ح 2. س.

2- نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ص 130، الخطبة 91.



2\_ ورد في القرآن الكريم قوله تعالى:

(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (1).

وقوله تعالى:

(إِذْ أَخْرَجْنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (2).

فأراد الإمام الحسين عليه السلام أن يبين أن مجيئ الله تعالى له معنى غير مادي ليس معتمداً على الحركة والانتقال.

3\_ يبين الإمام عليه السلام أن الله تعالى هو الذي هو أوحى الأشياء وهو الذي يفنيها.

4\_ إن الله تعالى قادر على أن يجمع بين الصفتين المتضادتين في آن واحد، كالإحياء والإماتة، وكالرازق وغير الرازق، وقادر على الجمع بين صفة الحلم والكرم مثلاً في آن واحد دون أن تتأخر إحداها عن الأخرى.

### الوصفان في حديث أهل البيت عليهم السلام

#### السميع

وصف أهل البيت عليهم السلام يتقدمهم جدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ربّهم بصفة السمع وأطلقوا عليه اسم السميع كما أطلق هو تعالى على نفسه، إلا أنهم يبتنوا في أحاديث متفرقة كيفية هذا السمع فتارة يسمع الأصوات المرتفعة كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا سامع الأصوات، يا عالم الخفيات، يا دافع البليات» (3).

1- سورة الفجر، الآية: 22.

2- سورة يوسف، الآية: 100.

3- موسوعة العقائد الإسلامية: ج4، ص265، ح4706.

وأخرى يسمع الأصوات الضعيفة التي يصدرها الضعفاء من العباد عندما يأنون من آلامهم كما ورد ذلك في دعاء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا من يعلم مراد المريدين، يا من يعلم ضمير الصامتين، يا من يسمع أنين الواهنين، يا من يرى بكاء الخائفين»(1).

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يبين سعة سمعه وكيفيته، فهو تعالى يسمع الأصوات الصغيرة والكبيرة على حد سواء والقريبة والبعيدة كذلك كما جاء ذلك في قوله عليه السلام:

«كل سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات، ويصمه كبيرها، ويذهب عنه ما بعد منها»(2).

ويشير الإمام زين العابدين عليه السلام إلى سعة سمعه أيضا بقوله:

«اللهم أنت الملك الذي لا يملك، والواحد الذي لا شريك لك، يا سامع السر والنجوى»(3).

وفي موضوع آخر يدعو فيقول:

«يا موضع كل شكوى، ويا سامع كل نجوى، وشاهد كل ملا، وعالم كل خفية»(4).

وأما الإمام الصادق عليه السلام فيوضح لنا علة تسميته تعالى بالسميع من خلال بيان سعته وقوته بقوله:

«إنما سمى سميعا؛ لأنه ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو

1- موسوعة العقائد الإسلامية، محمد الريشهري: ج4، ص266، ح4707.

2- موسوعة العقائد الإسلامية: ج4، ص266، ح4709.

3- موسوعة العقائد الإسلامية: ج4، ص266، ح4710.

4- موسوعة العقائد الإسلامية: ج4، ص266، ح4711.

سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا، يسمع النجوى، وديب النمل على الصفا، وخفقان الطير فى الهواء، لا تخفى عليه خافية ولا شىء مما أدركته الأسماع والأبصار، وما لا تدركه الأسماع والأبصار، ما جل من ذلك وما دق، وما صغر وما كبر، ولم نقل سميعا بصيرا كالسمع المعقول من الخلق»(1).

ويؤكد الإمام الكاظم عليه السلام أن الله تعالى سميع دون أن يشك بصحة سمعه ودقته فيقول:

«اللهم.... أنت..... سميع لا يشك»(2).

ويؤكد أيضا أنه تعالى يسمع الأصوات القوية دون أن تؤثر عليه كما تؤثر على سمع المخلوق فيهم منها، ويسمع الخفية التي لا يستطيع أن يسمعها غير صاحبها، ويوضح أن سمعه واسع شامل لجميع اللغات المختلفة التي تصدرها المخلوقات بل هو رقيب على كل ما يصدر من خلقه ويرى الإمام الرضا عليه السلام أن الله سبحانه يسمع كل صوت يصدر من خلقه دون أن يشتهه بأحد منها كما فى قوله:

« اللهم إنى أسألك، يا سامع كل صوت، ويا بارئ النفوس بعد الموت، ويا من لا تغشاه الظلمات، ولا تشابه عليه الأصوات، ولا تغلظه الحاجات»(3).

وينفى الإمام الرضا عليه السلام أن يكون سمع الله تعالى بآلة سمع مثقوبة كما هو فى خلقه فيقول:

« سمى ربنا سميعا لا يخرت فيه يسمع به الصوت ولا يبصر به، كما أن خرتنا الذى به نسمع لا نقوى به على البصر، ولكنه أخبر أنه لا يخفى عليه شىء من

1- موسوعة العقائد الإسلامية: ج4، ص266 \_ 267، ح4713.

2- موسوعة العقائد الإسلامية: ج4، ص267، ح4716.

3- موسوعة العقائد الإسلامية: ج4، ص267 \_ 268، ح4718.

الأصوات، ليس على حد ما سمينا نحن، فقد جمعنا الاسم بالسمع واختلف المعنى» (1).

ويبين الإمام الرضا عليه السلام سعة سمعه ودقته في موضع آخر (لما سأله رجل: أخبرني عن قولكم: إنه لطيف وسميع... قلنا:

«إنه سميع لا يخفى عليه أصوات خلقه ما بين العرش إلى الثرى من الذرة إلى أكبر منها في برها وبحرها، ولا يشتهه عليه لغاتها، فقلنا عند ذلك: إنه سميع لا بأذن» (2).

### سمعه لا كسمعنا

ورد على لسان أهل البيت عليهم السلام أن سمع الله تعالى منزه عن صفات سمع المخلوق كما جاء ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام في أكثر من حديث كقوله:

«السميع لا بأداة، سميع لا بألة، السميع لا بتفريق آلة، سميع للأصوات المختلفة، بلا جوارح مؤتلفة».

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«ولم نقل سميعا بصيرا كالسمع المعقول من الخلق».

وفي قول آخر يقول:

«هو سميع بصير، سميع بغير جارحه، بصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه ويصير بنفسه».

وورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:

«قلنا: سميع لا مثل سمع السامعين».

وجاء عن ولده الإمام الجواد عليه السلام قوله:

«ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس».

1- موسوعة العقائد الإسلامية للريشهري: ج4، ص268، ح4719.

2- موسوعة العقائد الإسلامية: ج4، ص268، ح4720.

## البصير

وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام ربهم بصفة البصر المنزهة عن الشبه، وأطلقوا عليه اسم البصير تبعاً لما ورد في القرآن الكريم إلا أنهم بيّنوا أموراً تتعلق بهذه الصفة وهذا الاسم وهي كالآتي:

— إن الله تعالى يرى الأشياء ويصبرها دون أن يحول بينه وبينها حاجب سواء كان سميكاً أو شفافاً، كبيراً أو صغيراً وهذا ما ورد على لسان سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«يا من لا يحجبه شيء عن شيء».

— إن البصير من المخلوقات لا يستطيع أن يرى الألوان الخفية، والأجسام الدقيقة الصغيرة إلا أن الله سبحانه بصير بذلك مطلع عليه وهذا ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«كل بصير غيره يعمى عن خفى الألوان، ولطيف الأجسام».

— إنما سمي الله تعالى البصير، لأنه يرى ويصبر ما تدركه الأبصار وما لا تدركه من مخلوقات صغيرة أو كبيرة، حقيرة أو عظيمة وهذا ما أجاب به الإمام الصادق عليه السلام لما سأله الزنديق (أفأيت قوله: سميع بصير عالم؟ قال:

«إنما سمى — تبارك وتعالى — بهذه الأسماء لأنه لا يخفى عليه شيء مما لا تدركه الأبصار من شخص صغير أو كبير، أو دقيق أو جليل»).

— إنه تعالى بصير لا يشك ولا يشبهه ولا تلتبس عليه اللباس كما في دعاء الإمام الكاظم عليه السلام:

«سبحانك اللهم وبحمدك... أنت... بصير لا يرتاب».

— إن الله تعالى يوصف بالبصير دون أن يشبهه بغيره من الخلق فلذلك ورد عن

الإمام الصادق عليه السلام:

«ولا نصفه بصيرا بلحظ عين كالمخلوق».

وأكد ذلك الإمام الرضا عليه السلام بقوله:

«إنه بصير لا كبصر خلقه».

وفى قوله عليه السلام:

«وهكذا البصر لا بخرت منه أبصر، كما أن نبصر بخرت منا لا ننتفع به فى غيره».

وهذا الوصف صرح به أيضا الإمام الجواد عليه السلام بقوله:

«ولم نصفه ببصر لحظة العين».

\_\_ وقوله عليه السلام:

(عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ، وَمَجِيئُهُ مِنْ غَيْرِ تَنْقُلٍ).

\_\_ تقدم فى الأبحاث السابقة أن الله تعالى لا يتصف بصفة من صفات الممكنات ولا تحده الحدود الزمانية والمكانية ولا يتكيف بكيف ولا يسرى عليه ما يسرى على خلقه، ومما ينزه عنه سبحانه هو العلوّ المكانى، فله تعالى علوٌ حقيقى عن كل ما سواه لأنه واجب الوجود وخالق الخلق وبارئ المكان والزمان ومحيط بكل شىء ولا يحيط به شىء إلا أنه تعالى رغم علوّه وارتفاعه عن خلقه فهو أقرب إليهم من جبل الوريد بل يحول بين المرء وقلبه وما هذا القرب إلا لإحاطته وقيوميته، ولو تأملنا فى الآيات الكريمة كقوله تعالى:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (1).

وقوله تعالى:

(وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ) (1).

وقوله تعالى:

(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) (2).

لا تضح لنا عدم صحة نعته بصفة من صفات الممكنات وعدم جواز وصفه بصفة الأجسام، وعلى هذا لا بد من تفسير علوه سبحانه بامتناع اتصافه بصفات خلقه وارتقاعه عن كل صفات المخلوقات واستغنائه عن العلو والسفل التي هي من ملازمات المكان، فعلوه هو نزاهته عن كل نقص، وعلوه هو ربوبيته لما سواه، وعلوه هو غناه عن كل شيء، وعلوه هو إحاطته بكل شيء، وعلوه هو قيوميته على خلقه وغير ذلك من صفات الكمال اللائق به تعالى.

— وأما تفسير مجيئه تعالى يتضح مما تقدم أنه مجيء أمره تعالى لجلاله عن المجيء والحركة والانتقال، وهذا ما أكدته الرواية الشريفة عن الإمام الرضا عليه السلام عن قول الله تعالى:

(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)

قال:

«إن الله عز وجل لا يوصف بالمجيء والذهاب، تعالى عن الانتقال وإنما يعنى به وجاء أمر ربك والملك صفا صفا» (3).

وهناك معنى آخر للمجىء ذكره العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان هو (أن

1- سورة فاطر، الآية: 15.

2- سورة الرعد، الآية: 16.

3- التوحيد للصدوق: ص162، ح1.

المجىء يعنى حصول القرب وارتفاع المانع والحاجز بين الشئين(1).

\_\_\_ وقوله عليه السلام:

(يُوجِدُ الْمَفْقُودَ وَيُقَدِّدُ الْمَوْجُودَ).

\_\_\_ أوجد الله الشىء: أنشأه من غير سبق مثال، وفلانا أغناه، يقال: الحمد لله الذى أوجدنى بعد فقر.

الواجد: من أسماء الله تعالى، وهو الغنى الذى لا يفتقر(2).

\_\_\_ فقد الشىء \_\_\_ فقداً، الكتاب \_\_\_ المال ونحوه: خسره وعدمه(3).

لا شك أن الله تعالى على كل شىء قدير، ووسعت قدرته كل ما ينطبق عليه مفهوم الشىء، فهو تعالى قادر على غير المحال إذ إن المحال باطل محض لعدم انطباق مفهوم الشىء عليه، وحيث إن الله تعالى هو خالق كل شىء فهو تعالى قد أبدع خلقه وأنشأه من غير أن يقيس ذلك على مثال سابق لغناه عن ذلك، فلقد ورد فى الروايات ما يشير إلى ذلك كقول الإمام الصادق عليه السلام:

«لا يكون الشىء لا من شىء إلا الله، ولا ينقل الشىء من جوهريته إلى جوهر آخر إلا الله...»(4).

وأما بالنسبة لفناء الأشياء فلقد صرح تعالى بقوله:

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ) (5).

1- تفسير الميزان للسيد الطباطبائى: ج 2، ص 104.

2- المعجم الوسيط: ص 1013.

3- المعجم الوسيط: ص 696.

4- بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج 4، ص 148، ح 2.

5- سورة الرحمن، الآية: 26.



وفى هذا إشارة إلى القانون الإلهى الذى يحكم بانقطاع أمد هذه النشأة الدنيوية وولادة نشأة أخرى بعد التأمل فى النشأة الأولى التى هى الدنيا ومادياتها والنشأة الأخرى التى هى الآخرة ومعنوياتها تظهر نتيجة واضحة أن الله تعالى هو الذى أوجد ما كان فى العدم وعدم ما هو فى الوجود، وهذا ما صرح به الإمام الصادق عليه السلام:

«ولا ينقل الشيء من الوجود إلى العدم إلا الله»(1).

\_\_ وقوله عليه السلام:

(ولا تَجْتَمِعُ لِغَيْرِهِ الصِّفَتَانِ فِي وَقْتٍ).

ثبت فى محله أن لله تعالى نوعين من الصفات هما الصفات الثبوتية والتى تسمى بصفات الكمال والصفات السلبية والتى تسمى بصفات الجلال، والصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين هما: الصفات الذاتية وهى التى تنتزع من الذات فقط، والصفات الفعلية وهى التى تنتزع من مقام الفعل كالخالفية والرازقية.

وثبت أيضاً أن صفات الذات هى عين الذات كالحياة والعلم والقدرة، أى أن قدرته هى حياته وحياته هى قدرته فهو حى من حيث هو قادر وقادر من حيث هو حى، فبهذا اللحاظ نستطيع أن نقول أن أكثر من صفة اجتمعت له تعالى وفى وقت واحد.

وهناك معنى آخر كاجتماع الصفتين له تعالى فى وقت كاتصافه بأنه يخلق ولا يخلق أو يرزق ولا يرزق أو يرحم ولا يرحم، إذ أن هذه الصفات هى من صفات الفعل وليس من صفات الذات.

ولكى يتضح البحث نورد باقة من الروايات الشريفة التى تشير إلى هذا المعنى:

1\_\_ عن هشام بن الحكم فى حديث الرّنديق الذى سأل أبا عبد الله عليه السلام فكان من سؤاله أن قال له: (فله رضىً وسخطاً؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام:

1- بحار الأنوار للمجلسي: ج4، ص148، ح2.

«نعم ولكن ليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين، وذلك أن الرضا حال تدخل عليه فتقله من حال إلى حال؛ لأن المخلوق أجوف معتمل مركب، للأشياء فيه مدخل، وخالقنا لا مدخل للأشياء فيه لأنه واحد واحدى الذات واحدى المعنى، فرضاه ثوابه، وسخطه عقابه من غير شيء يتداخله فيهيجه وينقله من حال إلى حال، لأن ذلك من صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين»(1).

هذه الرواية تشير إلى اجتماع الرضا للمؤمنين والسخط على الكافرين فى وقت واحد.

2\_\_ عن حريز، عن محمد بن مسلم، (عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال فى صفة القديم:

«إنه واحد صمد أحدى المعنى ليس بمعانٍ كثيرة مختلفة».

قال: قلت: جعلت فداك يزعم قوم من أهل العراق أنه يسمع بغير الذى يبصر ويبصر بغير الذى يسمع، قال: فقال \_\_ عليه السلام \_\_:

«كذبوا وألحدوا وشبهوا تعالى الله عن ذلك، إنه سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع».

قال: قلت: يزعمون أنه بصير على ما يعقلونه، قال: فقال \_\_ عليه السلام \_\_:

«تعالى الله إنما يعقل ما كان بصفة المخلوق وليس الله كذلك»(2).

وهناك معنى آخر هو أنه تعالى يوجد المفقود ويفقد الموجود فى وقت لا يشغله الإيجاد عن الاقصاد ولا الاقصاد عن الإيجاد، ولا يشغله أمر عن أمر ولا يسمع عن سمع ولا صوت عن صوت.

1- أصول الكافي للشيخ الكليني: ج 1، ص 64، ح 6.

2- أصول الكافي للكليني: ج 1، ص 63، ح 1.

## هل هما من صفات الذات؟

بيّنا أن هاتين الصفتين قد اتصف بهما الله سبحانه وتعالى، وأنهما بمعنى علمه بالمسموعات والمبصرات، وأن ذكرهما قد ورد في القرآن الكريم وعلى لسان أهل بيت العصمة عليهم السلام.

وكذلك بيّنا سعة هاتين الصفتين ودقتهما وأنهما في الله تعالى ليس كما في خلقه، وأن إطلاق اسمي السميع البصير عليه تعالى لا يشابه إطلاقه على غيره.

بعد هذا البيان لنا أن نسأل عن هاتين الصفتين هل هما من صفات الذات أم من الصفات الفعلية؟

الجواب عن ذلك سيعرف من خلال وقوفنا على الأحاديث التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام إذ إنها تبين لنا نوع هاتين الصفتين وهي كما يلي:

## في السمع

— ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«سميعة إذ لا مسموع».

— ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قوله:

«يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع».

— وقال عليه السلام:

«والسمع ذاته ولا مسموع».

— ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:

«إنه يسمع بما يبصر ويرى بما يسمع».

**البصر**

— ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«بصير إذ لا منظور إليه من خلقه».

— ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«لم يزل الله عزّ وجل ربنا... والبصر ذاته ولا مبصر... فلما أحدث الأشياء وقع البصر على المبصر».

— ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:

«إنه يسمع بما يبصر ويرى بما يسمع»<sup>(1)</sup>.

من خلال التمعن في هذه الأحاديث الشريفة نجد قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«سميعا إذ لا مسموع».

يثبت أن الله تعالى متصف بالسمع والبصر قبل أن يخلق المسموعات والمبصرات وهذا يدل على أن هاتين الصفتين من صفات الذات.

ولو نظرنا أقوال الإمامين الباقر والرضا عليهما السلام:

«يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع».

يتضح لنا أن هاتين الصفتين لا يمكن أن تكونا هكذا إلا إذا كانتا عين الذات فيلزم أنهما من صفات الذات، وتصريح الإمام الباقر عليه السلام بقوله:

«والسمع ذاته ولا مسموع».

لا يحتاج إلى توضيح وبيان كما أن قول الإمام الصادق عليه السلام:

«والبصر ذاته ولا مبصر فلما أحدث الأشياء وقع البصر على المبصر».

يصرح بأن البصر صفة ذات يتصف الله تعالى بها منذ الأزل.

وهاتان الصفتان لا يخرجنا عن علمه فلذلك قال الإمام الصادق عليه السلام:

«وقع البصر على المبصر».

أى وقع العلم الذاتى على المعلوم.

### سؤال مهم

### إشارة

السؤال: هل يصح أن نطلق عليه أنه شام أو ذائق أو لأمس لعلمه بالمدوقات والمشمومات والملموسات؟

الجواب:

### ألف

لا نصف ربنا إلا بما وصف به نفسه ونقف عند ذلك دون أن نخوض فى غيره استحساناً أو اجتهاداً وقياساً وهذا ما أشار إليه الإمام الرضا عليه السلام فى حديث طويل فيقول:

«سبحانه ما عرفوك ولا وحدوك ومن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك، سبحانك كيف طاوعتهم أنفسهم أن شبّهوك بغيرك إلهى لا- أصفك إلا- بما وصفت به نفسك، ولا أشبّهك بخلقك، أنت أهل لكلّ خير فلا تجعلنى من القوم الظالمين»(1).

وجاء عن محمد بن سليمان، عن على بن إبراهيم الجعفرى، عن عبد الله بن سنان، (عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال:

«إنّ الله عظيم، رفيع، لا- يقدر العباد على صفته، ولا يبلغون كنه عظمتة، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، ولا يوصف بكيف

ولا أين ولا حيث فكيف أصفه بكيف وهو الذى كَيْفَ الكيف حتّى صار كيفاً، فعرفت الكيف بما كَيْفَ لنا من الكيف، أم كيف أصفه بأين وهو الذى أَيْنَ الأين حتّى صار أيناً، فعرفت الأين بما أَيْنَ لنا من الأين، أم كيف أصفه بحيث وهو الذى حَيْثَ الحيث حتّى صار حيثاً، فعرفت الحيث بما حَيْثَ لنا من الحيث، فالله تبارك وتعالى داخل فى كلِّ مكان، وخارج من كلِّ شىء، لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، لا إله إلا هو العلىّ العظيم، وهو اللطيف الخبير»(1).

## باء

هناك قول لأهل العلم لا يصح إطلاق الشام أو الذائق عليه تعالى للزوم صفات المادة فيقول: (يجب أن يكون سميعاً بصيراً، لأنه حتى لا آفة به، وفائدة السميع البصير أنه على صفة يجب فيها أن يسمع المسموعات، ويبصر المبصرات، وذلك يرجع إلى كونه حياً لا آفة به، ولا يوصف بأنه سميع بصير، والمعلوم خلاف ذلك.

وأما سامع مبصر فمعناها أنه مدرك للمسموعات والمبصرات، وذلك يقتضى وجود المسموعات والمبصرات فلذلك لا يوصف بهما فى الأزل، فأما شام وذائق فليس المراد بهما كونه مدركاً بل الاستفادة بالشام أنه قرب الجسم المشموم إلى حاسة شمه، والذائق أنه قرب الجسم المذوق إلى حاسة ذوقه، ولذلك (يقولون شمّمته فلم أجد له رائحة، وذقته فلم أجد له طعماً ولا) يقولون: أدركته فلم أدركه لأنه مناقضه وجرى مجرى قوله أصغيت له فلم أسمع فلهما بأن يكونا سبب الإدراك على وجه دون أن يكونا نفس الإدراك(2).

1- التوحيد للصدوق: ص 111 \_\_ 112، ح 14.

2- الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد للشيخ محمد بن الحسن الطوسى: ص 57 \_\_ 58.

## لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار

### امتناع الرؤية

استشهد القرآن الناطق الإمام المعصوم عليه السلام بآية من القرآن الكريم في خطبته الشريفة ليقول بلسان فصيح وقول صريح أن الحق سبحانه أجل وأكبر وأعظم من أن تناله الأبصار أو تدركه الأفهام، امتنع عليها بوجوب وجوده وعجزت عن إدراكه بإمكان وجودها، وتعالى بكماله اللامتناهى عن نقصها المحض، وارتفع بغناه المطلق عن فقرها اللامحدود، فلذا صارت محالاً رؤيته، سمت فوق العقول ذاته، فلا يعرفه إلا بصفته ولا يرى إلا بالبصيرة، فهو تعالى أكبر من أن يقال شيء عن رؤيته ولذا نقسم القوم إلى ثلاث فرق:

1\_\_ قالت العدلية بعدم رؤيته تعالى بالبصر سواء كانت الرؤية في الدنيا أو في الآخرة.

2\_\_ جوّز المجسمة رؤيته تعالى بالبصر في الدارين.

3\_\_ قال بعض الأشاعرة برؤيته تعالى يوم القيامة وإنه سينكشف إليهم كانكشاف القمر ليلة البدر، وحيث إن قول المجسمة يستلزم شروطاً للرؤية، فلا بد أن نذكرها كما يلي:

1\_\_ يستلزم تحقق الرؤية أن يكون المرئى في جهة معينة.

2\_\_ يستلزم تحقق الرؤية أن يكون المرئى مقابلاً للرئى أو ما في حكم المقابل كما في المرأة.

3\_\_ يستلزم تحقق الرؤية أن تنعكس صورة المرئى على العين.

4\_\_ أو أن تكون الرؤية بواسطة خروج شعاع مخروطى الشكل فيقع على المرئى.

وبناء على ما تقدم من الأقوال جميعاً يلزم أن يكون المرئى جسماً محدوداً ذا أبعاد مختلفة كالطول والعرض والعمق، كما يلزم منها أن يكون واجب الوجود ممكناً له كل صفات الممكنات، فينتفى الكمال المطلق له تعالى ويتصف بالنقص تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وبعد أن حكم العقل السليم بعدم صحة القول برؤيته تعالى بالبصر لابد أن تؤيد حكم العقل بما جاء فى الكتاب الكريم، وبما صرح به لسان العصمة من أحاديث محمد وآل محمد صلوات الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

### الآيات الكريمة

قال الله تبارك وتعالى:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (1).

وقوله تعالى:

(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرَاكَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) (2).

وقال سبحانه وتعالى:

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) (3).

1- سورة الأنعام، الآية: 103.

2- سورة الأعراف، الآية: 143.

3- سورة البقرة، الآية: 255.



وقوله تعالى:

(فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (1).

وبهذه الباقية العطرة من الآيات الكريمة التي تفند مدعى الرؤية البصرية نكتفى بالرد على من يقول بجواز رؤيته تعالى بالبصر.

### الأحاديث الشريفة

ما نطق به لسان أهل الذكر، وما صرحت به كلماتهم عليهم السلام يرشدنا إلى صحة ما حكم به العقل من رفض التجسيم لله تعالى ورفض الرؤية البصرية التي تستلزم التجسيم، ولكي تشرح الصدور بأحاديثهم النورانية نذكرها كالاتي:

1\_\_ ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالساً في مسجده إذ دخل عليه رجل من اليهود فقال: يا محمد ما تدعو؟ قال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

«إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأننى رسول الله».

قال: يا محمد أخبرنى عن هذا الربِّ الذى تدعو إلى وحدانيته وتزعم أنك رسوله كيف هو، قال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

«يا يهودى إن ربى لا يوصف بالكيف لأن الكيف مخلوق وهو مكيفه».

قال: فأين هو؟ قال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

«إن ربى لا يوصف بالأين لأن الأين مخلوق وهو أينه».

قال: فهل رأيته يا محمد؟ قال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

«إنه لا يرى بالأبصار ولا يدرك بالأوهام».

قال: فبأي شيء نعلم أنه موجود؟ قال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

«بآياته وأعلامه».

قال: فهل يحمل العرش أم العرش يحمله؟ فقال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

«يا يهودى إن ربى ليس بحالٍ ولا محلّ».

قال: فكيف خرج الأمر منه؟ قال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

«ياحداث الخطاب فى المحالّ».

قال: يا محمد أليس الخلق كله له؟! قال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

«بلى».

قال: فبأي شيء اصطفى منهم قوماً لرسالته؟ قال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

«بسبقتهم إلى الإقرار بربوبيته».

قال: فلم زعمت أنك أفضلهم؟ قال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

«لأنى أسبقتهم إلى الإقرار بربى عزّ وجلّ».

قال: فأخبرنى عن ربك هل يفعل الظلم؟ قال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

«لا».

قال: ولم؟ قال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

«لعلمه بقبحه واستغناؤه عنه».

قال: فهل أنزل عليك فى ذلك قرآناً يتلى؟ قال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

«نعم: إنه يقول عزّ وجلّ:

(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (1).

ويقول \_\_ تبارك وتعالى \_\_:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (2).

ويقول \_\_ سبحانه وتعالى \_\_:

(وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ) (3).

ويقول \_\_ عز وجل \_\_:

(وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ) (4).

قال اليهودى: يا محمد فإن زعمت أن ربك لا يظلم فكيف أغرق قوم نوح عليه السلام وفيهم الأطفال؟ فقال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

«يا يهودى إن الله عز وجل أعقم أرحام نساء قوم نوح أربعين عاماً فأغرقهم حين أغرقهم ولا طفل فيهم، وما كان الله ليهلك الذرية بذنوب آبائهم، تعالى عن الظلم والجور علواً كبيراً».

قال اليهودى: فإن كان ربك لا يظلم فكيف يخلد في النار أبد الأبد من لم يعصه إلا أياماً معدودة؟ قال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

«يخلده على نيتته، فمن علم الله نيتته أنه لو بقى فى الدنيا إلى انقضائها كان يعصى الله عز وجل يخلده فى نارهِ على نيتته، ونيتته فى ذلك شر من عمله، وكذلك يخلد من يخلد فى الجنة بأنه ينوى أنه لو بقى فى الدنيا أيامها لأطاع الله أبداً، ونيتته خير من

1- سورة فصلت، الآية: 46.

2- سورة يونس، الآية: 44.

3- سورة آل عمران، الآية: 108.

4- سورة غافر، الآية: 31.

عمله، فبالنِّياتِ يخلدُ أهلَ الجنَّةِ في الجنَّةِ وأهلَ النارِ في النارِ، والله عزَّ وجلَّ يقول:

﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ (1).

قال اليهودى: يا محمد إني أجد في التوراة أنه لم يكن لله عزَّ وجلَّ نبيٌّ إلا كان له وصيٌّ من أمته فمن وصيِّك؟ قال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

«يا يهودى وصيِّى علىَّ بن أبى طالب عليه السلام واسمه فى التوراة أليا وفى الإنجيل حيدار، وهو أفضل أمتى وأعلمهم برِّى، وهو منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدى، وأنه لسيد الأوصياء كما أتى سيد الأنبياء».

فقال اليهودى: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وأنَّ علىَّ بن أبى طالب وصيِّك حقاً، والله إني لأجد في التوراة كلُّ ما ذكرت في جواب مسائلى، وإني لأجد فيها صفتك وصفة وصيِّك، وأنه المظلوم ومحتوم له بالشهادة، وأنه أبو سبطيك وولديك شبراً وشبيراً سيدي شباب أهل الجنة(2).

2\_\_ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: (جاء جبرُّ إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته؟ فقال \_\_ عليه السلام \_\_:

«ويلك ما كنت أعبد رباً لم أراه».

قال: وكيف رأيتَه؟ قال \_\_ عليه السلام \_\_:

«ويلك لا تدركه العيون فى مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان»(3).

3\_\_ ومن الروايات التى تبين أن القول بالرؤية البصرية يجر إلى التشبيه المحال

1- سورة الإسراء، الآية: 84.

2- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص 386 \_\_ 387 فى الهامش.

3- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص 106، ح 6.

والباطل قول الإمام أبي الحسن الثالث عليه السلام: (عن أحمد بن إسحاق، قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية وما فيه الناس فكتب عليه السلام:

«لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر، فإذا انقطع الهواء وعدم الضياء بين الرائي والمرئي لم تصح الرؤية وكان في ذلك الاشتباه لأن الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه وكان في ذلك التشبيه، لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات».

4\_\_ وهذه الرواية تكذب من افتري على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه رأى ربه بالبصر فيقول: (عن ابن فضال، عن أبي جميلة، عن محمد بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل:

(يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ) (1).

قال:

«تبارك الجبار».

ثم أشار إلى ساقه فكشف عنها الإزار، قال:

«ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون».

قال:

«أفجم القوم ودخلتهم الهيبة، وشخصت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون» (2).

وهناك الكثير من الروايات التي تركناها لتجنب الوقوع في الإطالة.

1- سورة القلم، الآية: 42.

2- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص 149 \_\_ 150.

## الرؤية القلبية

لا- تخلو الرؤية من أحد المعنيين، المعنى الحقيقي أو المعنى المجازى لها، فإن كان مرادنا من الرؤية المعنى الحقيقي لها فهي بمعنى الإدراك الحسّي أى الرؤية البصرية، وإن كان مرادنا المعنى المجازى لها فهي بمعنى الإدراك العلمى التام أى الرؤية بالبصيرة أو ما يسمى بالرؤية القلبية، وقد تقدم بطلان الرؤية بالمعنى الأول عقلاً ونقلاً، فتتخصر الرؤية بالمعنى الثانى ولهذا نقول:

إن عظمة الحق سبحانه تتجلى فى ذاته وصفاته وأفعاله، وحيث إن الذات الإلهية لا يحاط بها لإحاطتها بكل شىء فلذا عجز المخلوق مهما ارتفعت رتبته وعلت مكانته وسمى فوق غيره من أن ينال الذات الإلهية أو يعرف كنهها وهذا ما أكده الإمام أبو جعفر عليه السلام بقوله: (عن محمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن على بن رناب، عن أبى بصير، قال: قال أبو جعفر عليه السلام:

«تَكَلَّمُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ فَإِنَّ الْكَلَامَ فِي اللَّهِ لَا يَزِيدُ صَاحِبَهُ إِلَّا تَحْيِيرًا».

وفى رواية أخرى عن حريز، قال عليه السلام:

«تَكَلَّمُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ»<sup>(1)</sup>.

والنظر فى ذات الله تعالى يؤدى إلى وقوع الناظر فى التيه والضلال والاضطراب كما فى هذا الحديث:

(عن محمد بن حمران، عن أبى عبيدة الحذاء قال: قال أبو جعفر عليه السلام:

«يَا زِيَادُ، إِيَّاكَ وَالْخُصُومَاتِ فَإِنَّهَا تُورِثُ الشَّكَّ وَتُحْبِطُ الْعَمَلَ وَتُزِدِي صَاحِبَهَا وَعَسَى أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالشَّيْءِ فَلَا يُغْفَرُ لَهُ، إِنَّهُ كَانَ فِيهَا مَضَى قَوْمٌ تَرَكُوا عِلْمَ مَا

1- أصول الكافى للشيخ الكلينى: ج 1، ص 114، باب النهى عن الكلام فى الكيفية، ح 1.

وَكُلُّوا بِهِ وَطَلَّبُوا عِلْمَ مَا كُفُّوا حَتَّىٰ انْتَهَىٰ كَلَامُهُمْ إِلَى اللَّهِ فَتَحَيَّرُوا حَتَّىٰ أَنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُدْعَىٰ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَيَجِيبُ مِنْ خَلْفِهِ وَيُدْعَىٰ مِنْ خَلْفِهِ فَيَجِيبُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ».

وفى روايةٍ أخرى:

«حَتَّىٰ تَاهُوا فِي الْأَرْضِ»(1).

بل إن المفكر في ذات الله تعالى الذي يبغى الإحاطة بها جاهل محض وعاجز ضعيف وسيقوده تفكيره في ذلك إلى عاقبة سيئة كما في قول الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام:

«مَنْ نَظَرَ فِي اللَّهِ كَيْفَ هُوَ، هَلَكَ»(2).

فلذا أبى الإمام أبو جعفر عليه السلام إلا أن يرشدنا وينصحننا رعاية منه لنا ورحمة منه بنا بقوله:

«إِيَّاكُمْ وَالتَّكْثُرَ فِي اللَّهِ وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَنْظُرُوا إِلَى عَظَمَتِهِ فَانظُرُوا إِلَى عَظِيمِ خَلْقِهِ»(3).

وبعد هذه الجولة في أحاديث أهل العصمة والطهارة عليهم السلام صار لا بد لنا أن نتأمل فيها يامعان ونستلهمها بقوة ونسترشد بها بدقة لكي نصل إلى اطمئنان القلب وسكون النفس وخضوع الجوارح ونسلم بأن رؤية الله تعالى لا تتم من خلال الحواس، ولا تتحقق رؤية الذات الإلهية إلا من خلال النظر في عظمتها وصفاتها، فبناء على ما تقدم لا تكون الرؤية إلا بالبصيرة، ولا تتحقق إلا الرؤية القلبية وهذا ما تؤكدُه الأحاديث والروايات الشريفة التي سنقف على مضامينها الآتية:

- 1- أصول الكافي للكليني: ج 1، ص 115، باب النهي عن الكلام في الكيفية، ح 4.
- 2- أصول الكافي للكليني: ج 1، ص 115، باب النهي عن الكلام في الكيفية، ح 5.
- 3- أصول الكافي للشيخ الكليني: ج 1، ص 116، باب النهي عن الكلام في الكيفية، ح 7.

1\_ في هذا الحديث الشريف يؤكد الإمام عليه السلام على عدم إمكان تحقق الرؤية البصرية لجلال الله تعالى عن صفات الأجسام، كما يؤكد على حصول الرؤية القلبية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرَى رَسُولَهُ بِقَلْبِهِ مِنْ نُورٍ عَظَمَتِهِ مَا أَحَبَّ» (1).

2\_ وحديث الإمام أبي جعفر عليه السلام يشير إلى أن الرؤية القلبية تتحقق لكل مؤمن عالم عارف بربه من خلال نظره في آيات الله تعالى الأنفسية والآفاقية، فيقول: (عن علي بن معبد، عن عبد الله بن سنان، عن أبيه قال: حضرت أبا جعفر عليه السلام فدخل عليه رجل من الخوارج فقال له: يا أبا جعفر، أى شىء تعبد؟ قال \_\_ عليه السلام \_\_:

«الله تعالى».

قال: رأيت؟ قال \_\_ عليه السلام \_\_:

«بَلْ لَمْ تَرَهُ الْعَيُونُ بِمَشَاهِدَةِ الْأَبْصَارِ وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ، لَا يَعْرِفُ بِالْقِيَاسِ وَلَا يَدْرِكُ بِالْحَوَاسِ، وَلَا يَشْبَهُ بِالنَّاسِ، مَوْصُوفٍ بِالْآيَاتِ، مَعْرُوفٍ بِالْعَلَامَاتِ، لَا يَجُورُ فِي حُكْمِهِ، ذَلِكَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ».

قال: فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته (2).

3\_ بين الإمام أبو الحسن الرضا عليه السلام أن رؤية الذات الإلهية لا يمكن تتحققها بالبصر ولا بالبصيرة معاً لمحدودية الرائي وقصوره عن إدراك الذات اللامتناهية، فلذا قال: (عن أحمد بن محمد، عن أبي هاشم الجعفرى، قال سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام: عن الله يوصف؟ قال \_\_ عليه السلام \_\_:

«أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟».

1- أصول الكافي للكليني: ج 1، ص 114، باب في إبطال الرؤية، ح 1.

2- أصول الكافي للشيخ الكليني: ج 1، ص 119، باب في إبطال الرؤية، ح 5.



قُلْتُ: بلى، قال \_\_ عليه السلام \_\_:

«أما تقرأ قوله تعالى:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ)

قلت: بلى، قال \_\_ عليه السلام \_\_:

«فتعرفون الأبصار؟».

قلت: بلى، قال \_\_ عليه السلام \_\_:

«ما هي؟».

قلت: أبصار العيون، فقال \_\_ عليه السلام \_\_:

«إنَّ أوْهَامَ الْقُلُوبِ أَكْبَرُ مِنْ أَبْصَارِ الْعَيْونِ فَهوَ لَا تَدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَوْهَامَ»(1).

وهناك الكثير من الروايات التي تؤكد هذا المعنى لجمنا عنها قلمنا لكي لا نقع في الإطالة.

### ما هو سبب شبهة الرؤية؟

إن الذين قالوا بجواز رؤيته تعالى بالبصر وقعوا في شبهة التجسيم بسبب فهمهم الخاطئ للآيات الكريمة، وبسبب ابتعادهم عن نهج العترة الطاهرة والثقل الأصغر، فقادهم هذا الابتعاد إلى التعامل مع الآيات الكريمة بسطحية وبساطة في الفهم، ودفعتهم إلى الجمود على ظواهر الآيات الكريمة وهذا بدوره أدى إلى صدور أفكار مخالفة للعقل وأقوال تتقاطع مع النصوص الصريحة في تنزيه الحق سبحانه كقوله تعالى:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)(2).

1- أصول الكافي: ج 1، ص 120، باب في قوله تعالى: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)، ح 10.

2- سورة الأنعام، الآية: 103.

وقوله تعالى:

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) (1).

وقال سبحانه وتعالى:

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (2).

وقد ترك هذا الفهم السطحي والخاطي تركة فكرية ثقيلة على عقول بعض طوائف المسلمين وهذا ما نلمسه من الحديث الآتي:

(عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى قال: سألتني أبو قرة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته في ذلك فأذن لي فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال أبو قرة: إنا روينا أن الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين، فقسم الكلام لموسى ولمحمد الرؤية، فقال أبو الحسن عليه السلام:

«فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين من الجن والإنس:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ)، و(وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا)، و(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ).

أليس محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟».

قال: بلى. قال عليه السلام:

«كيف يجيء رجل إلى الخلق جميعا فيخبرهم أنه جاء من عند الله وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول: (لا تدركه الأبصار)، و(لا يحيطون به علما)، و(ليس كمثل شئ)، ثم يقول: أنا رأيت به بعيني وأحطت به علما وهو على صورة البشر، أما

1- سورة طه، الآية: 110.

2- سورة الشورى، الآية: 11.

تستحون؟ ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي من عند الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر».

قال أبو قرّة: فإنه يقول:

(وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى) (1).

فقال أبو الحسن عليه السلام:

«إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى حيث قال:

(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)

يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأته عيناه، ثم أخبر بما رأى فقال:

(لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) (2).

فآيات الله غير الله وقد قال الله:

(وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا).

فإذا رأته الأبصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفة».

فقال أبو قرّة: فتكذب بالروايات؟ فقال أبو الحسن عليه السلام:

«إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها، وما أجمع المسلمون عليه أنّه لا يحاط به علماً ولا تدركه الأبصار وليس كمثله شيء» (3).

فمن هذا الحديث الذي سقناه إليكم تظهر بعض الإرشادات التي أفاض بها الإمام عليه السلام على السائل لكي يضع قدمه على الصراط المستقيم، ويرتفع اللبس عن عقله وتثار ظلمة أفكاره بنور الإمام عليه السلام وهي كما يلي:

1- سورة النجم، الآية: 13.

2- سورة النجم، الآية: 18.

3- أصول الكافي للشيخ الكليني، ج 1، ص 117 \_\_ 118، باب في إبطال الرؤية، ح 2.

1\_ فى حالة وجود تقاطع مع كلام الله تعالى يقدم كلام الله تعالى على غيره من الكلام وإن كان منسوباً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

2\_ يؤكد الإمام عليه السلام للسائل أن حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يناقض القرآن الكريم كون مصدرهما واحداً وهو نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

3\_ ثم يفسر الإمام عليه السلام الآيات تفسيراً يدفع شبهة الرؤية البصرية عن نهم السائل الذى أوسر عقله بفهم خاطئ للآية.

### معنى الإدراك الإلهي

وردد قوله تعالى:

(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) (1).

كعبارة على لسان الإمام الحسن عليه السلام يصف بها ربه سبحانه، ولكي نقف على معنى هذه العبارة لابد أن نعرف معنى الإدراك.

الإدراك فى اللغة: أدرك الشيء: بلغ علمه أقصى الشيء (2).

الإدراك فى الاصطلاح: هو علمه تعالى بالمدركات والإحاطة بها.

إذا اطلع الإنسان على أمر ما فى الواقع الخارجى يدركه بأحد حواسه الخمس، أمّا من خلال البصر أو السمع أو الذائقة أو اللمس أو الشم فيستطيع أن يصفه بحسب علمه الحسى لذلك الشيء المحسوس، لكن الإدراك بالنسبة لله تعالى لا يمكن أن يكون كذلك لتتّزه تعالى عن الحواس، فيكون إدراكه تعالى للأشياء المدركة هو علمه بها دون اشتباه أو التباس أو خطأ، وكيف لا يدرك المحسوسات وغيرها وهو الذى أحاط بكل شيء علماً؟

1- سورة الأنعام، الآية: 103.

2- المعجم الوسيط: ص 281.

## وهو اللطيف الخبير

### اللطيف

للطيف معنيان هما:

اللطيف: (من أسماء الله الحسنى البر بعباده الرفيق بهم والعالم بخفايا الأمور ودقائقها.

اللطيف: الصغير، الرقيق، ألطف فلانا بكذا: أتحنفه وبرّه.

استلطف الشيء: قرب به منه وألصقه بجنبه.

اللطف: الرفق، الهدية، يقال: أهدى إليه لطفًا، وما أكثر تحفه وألطفه.

اللطف: من قبل الله تعالى: التوفيق العصمة(1).

فلو تأملنا هذه المعاني لكلمة (اللطيف، اللطف) لانطبقت بعضها على صفته تعالى، فهو الرفيق بعباده الحثان الذي يرأف بعبده أكثر من رافة الوالدين بالصغير، وهو الذي يغدق على عبده بعطاياه ومنحه ونعمه، ويتقرب إلى صالحهم ويوفقه ويحول بينه وبين الآثام والخطايا رحمة وحباً وتقضلاً.

فالله تعالى لطيف بالمعنى الذي يليق بشأنه سبحانه، كما أنه تعالى منزّه عن معنى الصغير أو الرقيق التي هي من معاني صفات الممكنات المحدودة العاجزة.

وهناك معنى آخر يتضح من خلاله اسم اللطيف: وهو أن الله تعالى خلق خلقاً في غاية الصغر والدقة واللطافة وقد أحاط به علماً فلذا سمي باللطيف وهذا ما تؤكد الروايات الشريفة:

— ورد عنه عليه السلام:

«إن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه ما العباد مقرّفون في ليلهم ونهارهم، لطف به خيراً وأحاط به علماً».

\_\_ ورد عنه عليه السلام:

«لا إله إلا الله اللطيف بمن شرد عنه من مسرفى عباده ليرجع عن عتوه وعناده».

\_\_ عن الإمام الحسن عليه السلام:

«ربنا اللطيف بلطف ربوبيته».

\_\_ عن الإمام الصادق عليه السلام:

«سميناه، لطيفا للخلق اللطيف ولعله بالشىء اللطيف ما خلق من البعوض والذرة، وما هو أصغر منها لا يكاد تدركه الأبصار والعقول، لصغر خلقه من عينه وسمعه وصورته، لا يعرف من ذلك لصغر الذكر من الأنثى، ولا الحديث المولود من القديم الوالد، فلما رأينا لطف ذلك فى صغره وموضع العقل فيه والشهوة للفساد، والهرب من الموت، والحذب على نسله من ولده، ومعرفة بعضها بعضا، وما كان منها فى لجج البحار، وأعنان السماء، والمفاوز والقفار، وما هو معنا فى منزلنا، ويفهم بعضهم بعضا من منطقتهم، وما يفهم من أولادها ونقلها الطعام إليها والماء، علمنا أن خالقها لطيف، وإنه لطيف بخلق اللطيف».

\_\_ عن الإمام الرضا عليه السلام:

«وأما اللطيف فليس على قلة وقضافة (دقة) وصغر، ولكن ذلك على النفاذ فى الأشياء، والامتناع من أن يدرك، كقولك للرجل لطف عنى هذا الأمر ولطف فلان فى مذهبه، وقوله يخبرك أنه غمض فيه العقل وفات الطلب وعاد متعمقا متلطفًا لا يدركه الوهم، فكذلك لطف الله تبارك وتعالى عن أن يدركه بحد أو يحد بوصف، واللطافة منا الصغر والقلة، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى».

وهناك الكثير من الروايات التى تؤكد نفس المعنى لكلمة اللطيف الذى ورد فى الروايات المبينة أعلاه.

## الخبير

جاء المعنى اللغوى لاسم الخبير بمعنى: اسم من أسماء الله عز وجل، وهو العالم بما كان وما يكون، وذو الخبرة الذى يخبر الشئ بعلمه وفى التنزيل العزيز (فاسأل به خبيراً)(1).

فالله تعالى هو واجب الوجود الذى اتصف بصفات كمالية مطلقة كالعلم والإحاطة بكل شئ، وهو الذى لا يعزب عنه شئ ولا يفوته مهما دق وصغر واختفى، وهو الذى يعلم السر وأخفى، مما يدل على إحاطة علمه بحقيقة الأشياء وبظواهرها وباطنها وهذا ما أكده الإمام الرضا عليه السلام بقوله:

«وأما الخبير فالذى لا يعزب عنه شئ ولا يفوته، ليس للتجربة ولا للاعتبار بالأشياء، وأما فى بعض المصادر: فتفيده التجربة والاعتبار علما لولاهما ما علم؛ لأن من كان كذلك كان جاهلا، والله تعالى لم يزل خبيراً بما يخلق، والخبير من الناس المستخبر عن جهل المتعلم، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى»(2).

وعنه أيضا عليه السلام:

«لم يكن قوام الخلق وصلاحهم إلا بالإقرار منهم بعليم خبير، يعلم السر وأخفى، أمر بالصلاح، ناه عن الفساد»(3).

وتشير الأحاديث التى سبق ذكرها إلى خبرته التى هى بمعنى الإحاطة التامة بما خلق لا عن تجربة أو اعتبار كما يحصل ذلك فى البشر، كما أن خبرته لم تكن عن تعلم لرفع جهل أو تدريب لصقل موهبة.

1- المعجم الوسيط: ص215.

2- موسوعة العقائد الإسلامية: ج4، ص201، ح4554.

3- المصدر السابق: ح4555.

## استخلص الوجدانية والجبروت

عند الوقوف على هذه العبارات الحسينية التي نطق بها لسان العصمة، وصرح بها عقل الإمامة تلمس المعانى الملكوتية التي تسمو بسامعها إلى سحاب الحكمة وشمس الحقيقة الإلهية التي تحار العقول في معرفة كنهها وتعجز الأبواب عن الإحاطة بها، وأنى لغير عنوان العصمة وسليل النبوة ومعدن العلم أن يقف على عمق هذه المفردات؟ إلا أن ذلك لا يمنع عن بيان ما وصلت إليه الأفهام وأدركته العقول فأقول:

تقدم بيان المعنى اللغوي لمفردة الوجدانية في شرح المعنى العام، فلذا نعطف الكلام على بيان المعنى الاصطلاحي للمفردة فتأتى الوجدانية بعدة معانى كلها تنطبق على الذات المقدسة، فتارة بمعنى لا نظير له ولا شبيهه، وأخرى بمعنى الذات البسيطة التي لا تركيب فيها ولا أجزاء لها، وثالثة بمعنى المعبود الذي لا معبود سواه، ووترسخ معنى الوجدانية في عقولنا.

عندما نتأمل هذا الكون الفسيح وهذه الموجودات الممكنة التي تتصور كأنها مجموعة واحدة لما فيها من ارتباط وتناسب وهذا بدوره يدل على أن صانعها ومدبرها واحد لا أحد سواه، وعند التفكير والنظر في معنى الإله لا يظهر لنا إلا معنى واحداً وهو أن الإله هو الموجود الغنى مطلقاً، وهذا المعنى ينفي بدوره تعدد الإله، ولكي ندرك المعنى لا بد من توضيح البرهانين فنقول: (وجدت في هذا الكون موجودات مرتبطة بعضها ببعض أى لا تستطيع الاستغناء عن بعضها البعض فلو ضربنا مثلاً نقول: لكي يتغذى الإنسان لا بد من وجود نبات مثمر وهذا النبات يحتاج إلى أرض وماء وهواء وعوامل أخرى لكي يعطى ثماره وإلا لو فقد عامل من هذه العوامل لما وجد النبات ولما تغذى الإنسان ولما تحققت غاية الخلقة التي هي العبادة لله الواحد الأحد (وما خلقت الجن والإنسان إلا ليعبدون) فيظهر مما تقدم لا بد من وجود ترابط بين الموجودات بل هو من سماتها دل هذا بدوره على أن صانعها ومدبرها واحد لا أحد



سواه تعالى، وإلا للزم التعارض والتدافع والفساد كما فى قوله تعالى:

(قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) (1).

وقوله تعالى:

(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) (2).

وأما لبيان البرهان الثانى نقول: لو فرضنا تعدد الآلهة للزم من فرضنا وجود جهات اختلاف بينهم، أى يتصف أحدهم بصفة غير موجودة عند غيرهم فيلزم من ذلك الحاجة ويلزم من الحاجة الفقر وهذا خلاف صفات الإله الذى هو غنى مطلق، ومن جهة أخرى لو قلنا بتعدد الآلهة للزم وجود الفواصل بينهم وهذا يؤدى بدوره إلى تعدد القدماء إذ إن الإله يتصف بالقدم فيلزم أن يكون الفاصل بينه وبين الإله الآخر قديماً أيضاً فيتعدد القدماء ويتسلسل الفواصل وحيث إن التسلسل باطل كما هو ثابت فى محله إذن يلزم من ذلك عدم التعدد ومن عدم التعدد يلزم القول بالوحدانية.

ويؤيد ما تقدم من بيان ما جاء فى القرآن الكريم من آيات كريمة نذكرها كما يلى:

1\_\_ قال الله تبارك وتعالى:

(وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (3).

2\_\_ قال البارى عز وجل:

(وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِتَّيَا فَارْهَبُونِ) (4).

1- سورة الإسراء، الآية: 42.

2- سورة الأنبياء، الآية: 22.

3- سورة البقرة، الآية: 163.

4- سورة النحل، الآية: 51.

3\_\_ قال الله سبحانه وتعالى:

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ) (1).

4\_\_ قال الله تبارك وتعالى:

(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) (2).

5\_\_ قال الله عز وجل:

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (3).

كما يؤكد ذلك ما ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام وهي كما يلي:

1\_\_ عن إسحاق بن غالب، (عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض خطبه:

الحمد لله الذي كان في أوليته وحْدَانِيًّا، وفي أزلّيته متعظماً بالإلهية، متكبراً بكبريائه وجبروته ابتداءً ما ابتدئ، وأنشأ ما خلق على غير مثالٍ كان سبق بشيءٍ ممّا خلق، ربنا القديم بلطف ربوبيته وبعلم خبره فتق وياحكام قدرته خلق جميع ما خلق، وبنور الإصباح فلق، فلا مبدل لخلقه، ولا مغيّر لصنعه، ولا معقب لحكمه، ولا رادّ لأمره، ولا مستراح عن دعوته ولا زوال لمملكه، ولا انقطاع لمدّته، وهو الكينون أولاً والديموم أبداً، المحتجب بنوره دون خلقه في الأفق الطامح، والعزّ الشامخ والملك الباذخ، فوق كلّ شيءٍ علا، ومن كلّ شيءٍ دنا، فتجلّى لخلقه من غير أن يكون يُرى، وهو بالمنظر الأعلى، فأحبّ الاختصاص

1- سورة الشعراء، الآية: 213.

2- سورة الأنبياء، الآية: 22.

3- سورة التوحيد، الآية: 1.

بالتوحيد إذ احتجب بنوره، وسما في علوه، واستتر عن خلقه، وبعث إليهم الرسل لتكون له الحجّة البالغة على خلقه ويكون رسله إليهم شهداء عليهم، وابتعث فيهم النبيين مبشّرين ومنذرين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، وليعقل العباد عن ربّهم ما جهلوه فيعرفوه بربوبيّته بعد ما أنكروا ويوحّدوه بالإلهيّة بعد ما عضدوا»(1).

2\_ وصيّة من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام عند إنصرافه من صفين، وقد جاء فيها:

«... واعلم يا بنى! أنّه لو كان لربك شريك لأتتكَ رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته.

ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه، لا يضادّه في ملكه أحد، ولا يزول أبداً، أوّل قبل الأشياء بلا أولية، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية...»(2)(3).

3\_ حدّثنا أبي؛ وعبد الواحد بن محمّد بن عبّاد بن العطار رحمهما الله، قال: حدّثنا عليّ بن محمّد بن قُتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن محمّد بن أبي عمير، قال: (دخلت على سيّد موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له: يا بن رسول الله علّمني التوحيد فقال \_ عليه السلام \_:

«يا أبا أحمد لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك واعلم أنّ الله تعالى واحد، أحد، صمد، لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا شريكاً، وإنّه الحيّ الذي لا يموت، والقادر الذي لا يعجز، والقاهر الذي لا يغلب، والحليم الذي لا يعجل، والدائم الذي لا يبيد، والباقي

1- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص 45 \_ 46، ح 4.

2- نهج البلاغة: قسم الرسائل، ص 49، الوصية رقم 31.

3- العقائد الحقّة للسيد عليّ الحسيني الصدر: ص 48، ح 2.

الَّذِي لَا يَفْنَى، والثابت الَّذِي لَا يَزُول، والغنى الَّذِي لَا يَفْتَقِر، والعزیز الَّذِي لَا يَذَلُّ، والعالم الَّذِي لَا يَجْهَل، والعدل الَّذِي لَا يَجُور، والجواد الَّذِي لَا يَبْخُل، وإِنَّه لَا تَقْدَرُه العُقُول، وَلَا تَقَع عَلَيْهِ الأَوْهَام، وَلَا تَحِيْط بِهِ الأَقْطَار، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَان، وَلَا تَدْرِكُه الأَبْصَار وهو يَدْرِك الأَبْصَار وهو اللطيف الخبير، وليس كمثل شىء وهو السميع البصير (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) وهو الأول الَّذِي لَا شَيْءَ قَبْلَهُ، والآخِر الَّذِي لَا شَيْءَ بَعْدَهُ، وهو القديم وما سواه مخلوق محدث، تعالى عن صفات المخلوقين علوًّا كبيراً»(1).

4— عن أبي هاشم الجعفرى، قال: سألت أبا جعفر الثانى عليه السلام ما معنى الواحد؟ قال — عليه السلام —:

«الَّذِي اجْتَمَعَ الأَلْسُن عَلَيْهِ بالتوحيد، كما قال الله عزَّ وجلَّ:

(وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) (2)»(3).

5— حدَّثنا محمَّد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانى رضى الله عنه، قال: حدَّثنا محمَّد بن سعيد بن يحيى البُرُورى، قال: حدَّثنا إبراهيم بن الهيثم البلدى، قال: حدَّثنا أبى، عن المعافى بن عمران، عن إسرائيل، عن المقدم بن شريح بن هانئ، عن أبيه، قال: (إنَّ أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين أتقول إنَّ الله واحد؟ قال: فحمل الناس عليه، قالوا: يا أعرابى أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسّم القلب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

1- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص 74، ح 32.

2- سورة لقمان، الآية: 25.

3- كتاب التوحيد للصدوق: ص 80، ح 2.

«دعوه، فإنّ الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم».

ثمّ قال \_\_ عليه السلام \_\_:

«يا أعرابي إنّ القول في أنّ الله واحد على أربعة أقسام: فوجهان منها لا- يجوزان على الله عزّ وجلّ، ووجهان يثبتان فيه، فأما اللذان لا يجوزان عليه، فقول القائل: واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز، لأنّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنّه كفر من قال: ثالث ثلاثة، وقول القائل: هو أحد من الناس، يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز عليه لأنّه تشبيه، وجلّ ربّنا عن ذلك وتعالى، وأما اللذان الوجهان يثبتان فيه فقول القائل: (هو واحد ليس له في الأشياء شبه، كذلك ربّنا، وقول القائل: إنّّه عزّ وجلّ أحدى المعنى، يعنى به أنّه لا ينقسم في وجهه ولا عقل ولا وهم كذلك ربّنا عزّ وجلّ)»(1).

### معنى الجبروت

جاء المعنى اللغوي للجبروت بمعنى القهر(2)، والقهر يعنى الغلبة، والقهار اسم من أسماء الله الحسنى: الغالب لا يحد غلبته شيء(3)، والتأمل في هذه المعانى اللغوية يقودنا إلى معرفة أنّ الله تعالى غالب مهيمن له السلطة المطلقة لا ند ولا ضد له في ذلك، إذ لا معنى أن يكون قهاراً ولقاهريته حدود أو يكون ذا جبروت ولجبروته انقطاع وتقهر بجبروت آخر وقاهرية أخرى، وحيث إنّنا نعلم أنّ القاهر صفة يمكن انطباقها على المخلوق فيشعر ذلك باشتراك الخالق والمخلوق في صفة القاهرية إلا أنّ القرآن الكريم نفى هذا الشعور كما في قوله تعالى:

1- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص 81، ح 3.

2- المعجم الوسيط: ص 105.

3- المعجم الوسيط: ص 764.

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (1).

وقوله سبحانه وتعالى:

(وَأَخْرَيْنَ مُفْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ) (2).

وغيرها من الآيات الكريمة الأخرى التي تؤكد أن الله تعالى هو قاهر كل قاهر ومتسلط على جميع القاهرين وقاطع لقاهرة كل قاهر فلذا وصف بصفة المبالغة (القَهَّار) التي تقدم معناها في أول البحث، كما أن الآيات التي تشير إلى فقر الموجودات وحاجتها تؤكد أن هذه القاهرة التي يتصف بها الموجود هي قاهرية غير حقيقية لأنها ناشئة من أقدار الله تعالى وتمكينه لهذا المخلوق القاهر، أي أن صفة القاهرة في المخلوق جاءت من غيره وليس بالاستقلال بذاته، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (3).

وقال سبحانه وتعالى:

(هَاتَتْكُمْ هُوَ لَاءِ تَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (4).

1- سورة الرعد، الآية: 16.

2- سورة ص، الآية: 38.

3- سورة فاطر، الآية: 15.

4- سورة محمد، الآية: 38.

بل أن الآيات الكريمة تبين أن هذا الإنسان القاهر يحتاج إلى ربه في قاهريته حدوثاً واستمرارية كما في قوله تعالى:

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (1).

وقال الباري عز وجل:

(وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) (2).

فمعنى (القيوم) في الآيتين هو القائم بذاته والمقوم لغيره، فهو تعالى الذى أوجد الأشياء ودبرها وأدام بقاءها.

(وقد أثبت الله تعالى أصل القيام بأمر خلقه لنفسه في كلمه حيث قال تعالى:

(أَقَمْنِ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) (3).

وقال تعالى \_\_ وهو أشمل من الآية السابقة \_\_:

(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (4).

فأفاد أنه قائم على الموجودات بالعدل فلا يعطى ولا يمنع شيئاً فى الوجود (وليس الوجود إلا الإعطاء والمنع) إلا بالعدل بإعطاء كل شىء ما يستحقه ثم بين أن

1- سورة البقرة، الآية: 255.

2- سورة طه، الآية: 111.

3- سورة الرعد، الآية: 33.

4- سورة آل عمران، الآية: 18.

هذا القيام بالعدل مقتضى اسميه الكريمين العزيز الحكيم، فبعزته يقوم على كل شيء ويحكمته يعدل فيه.

وبالجملة لما كان تعالى هو المبدأ الذى يبتدى منه وجود كل شيء وأوصافه وآثاره لا مبدأ سواه إلا وهو ينتهى إليه، فهو القائم على كل شيء من كل جهة بحقيقة القيام الذى لا يشوبه فتور وخلل، وليس ذلك لغيره قط إلا بإذنه بوجه، فليس له تعالى إلا القيام من غير ضعف وفتور، وليس لغيره إلا أن يقوم به، فهناك حصران: حصر القيام عليه، وحصره على القيام، وأول الحصرين هو الذى يدل عليه كون القيوم فى الآية خبراً بعد خبر لله (الله القيوم)، والحصر الثانى هو الذى تدل عليه الجملة التالية أعنى قوله:

(سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ) (1)(2).

فيظهر مما تقدم أن القاهرية الحقيقية صفة لله تعالى وحده لا شريك له، أى أن الجبروت منحصر به تعالى قد استخلصه لنفسه، وما يؤيد ذلك أيضاً عجز المخلوقات ومحدوديتها وفناؤها، كما فى قوله تعالى:

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ) (3).

### المشيئة والإرادة

\_\_\_ وقوله عليه السلام:

(وَأَمْضَى الْمَشِيئَةَ وَالْإِرَادَةَ وَالْقُدْرَةَ الْعِلْمَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ).

خلق الله تعالى الخلق لغاية ذكرها فى كتابه الكريم كما فى قوله عز وجل:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (4).

1- سورة البقرة، الآية: 255.

2- تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: ج 2، ص 335.

3- سورة الرحمن، الآية: 26.

4- سورة الذاريات، الآية: 56.



ودبر شؤون خلقه ونهج لهم المناهج وشرع لهم الشرائع وأغدق عليهم البركات بإرادته ومشيتته وبقدرته وعلمه، ولكي نقف على معنى قول الإمام الحسين عليه السلام (وَأَمْضَى الْمَشِيئَةَ وَالْإِرَادَةَ وَالْقُدْرَةَ الْعِلْمَ بِمَا هُوَ كَائِنٌ) لابد من معرفة معاني هذه المفردات ومفاهيمها.

الإمضاء فى اللغة: أمض الحكم والأمر: أنفذه(1).

الإرادة والمشية: كلمتان لمعنى واحد كما ورد فى المعجم الوسيط(2).

القدرة: الطاقة: القوة على الشئ والتمكن منه(3).

العلم: إدراك الشئ بحقيقته و\_\_ اليقين \_\_ نور يقذفه الله فى قلب من يحب(4).

ولبيان المعنى التام لقوله عليه السلام نقول:

ثبت فى محله أن الله تعالى مرید والإرادة من صفاته إلا أن هذه الإرادة تختلف عن الإرادة فى الإنسان لأنه تعالى ليس كمثله شئ ولكي يتضح الفرق بين إرادة الإنسان وبين إرادة الله تعالى لابد من استعراض الأقوال فى معنى الإرادة فى الإنسان قبل ذلك.

الإرادة: كيفية نفسانية تشمل عليها النفس البشرية كغيرها من الكيفيات النفسانية والأقوال فيها ما يلى:

1\_\_ يرى المعتزلة أن الإرادة هى اعتقاد النفع، ويلاحظ على هذا القول عدم تماميته لأن مجرد الاعتقاد بالنفع لا يكفى أن يكون داعياً للفعل لما نلاحظ من كثرة من يعتقد النفع ولا يريد.

2\_\_ وهناك قول آخر بأن الإرادة شوق نفسانى يقع فى النفس بعد الاعتقاد بالنفع،

1- المعجم الوسيط: ص 875.

2- المعجم الوسيط: ص 502.

3- المعجم الوسيط: ص 718.

4- المعجم الوسيط: ص 624.

وهذا القول لا يمكن الالتزام به لأننا نرى من يريد شيئاً ويحققه دون أن يكون لديه شوق إزاءه.

3— وقول ثالث يشير إلى أن الإرادة كيفية نفسانية ولكن ليست هي الاعتقاد فقط أو هي الشوق كما تقدم بل هي القصد والعزم(1).

وما ورد من الأقوال في تفسير الإرادة لا يمكن انطباقه على إرادة الله تعالى لتنزهه عن الكيفيات النفسانية حيث إنها من صفات الممكن لا من صفات الواجب سبحانه ولكي يتضح الأمر نقول ما يلي:

لوقلنا إن الإرادة هي مجرد الاعتقاد بالنتيجة للزم من هذا القول أن الإرادة هي العلم والقطع بالنتيجة والحال أننا نجد أن هناك شيئاً يدفعنا إلى الفعل ليس هو العلم بالنتيجة فقط، ونجد كذلك أننا نعتقد بالنتيجة ولكن لا نترك إزاء تحصيله لعدم وجود إرادة لذلك وتفسير الإرادة بالشوق محال على الله تعالى لمعرفة أن الشوق من مقولة الانفعال التي تعالى الله عنها، وأما القول الثالث بأنها قصد وعزم يلزم منه الحدوث بعد العدم ويلزم من هذا التغيير في الذات الإلهية المقدسة التي تنزهت عن صفات الممكن.

### حقيقة الإرادة الإلهية

بعد أن اتضح أن الإرادة بمعانيها التي تقدمت لا تنطبق على إرادة الله تعالى صار لابد لنا من بيان حقيقة الإرادة الإلهية التي لا تشبه إرادة المخلوق فنقول:

وردت أقوال عديدة لأهل العلم في معنى الإرادة نذكرها باختصار دفعاً للتوسع:

ألف: إرادته سبحانه علمه بالنظام الأصلح:

أى أن علمه بالنظام الأتم والأكمل هو عين إرادته فيلزم من هذا أن تكون الإرادة هي عين العلم بالنظام وليس شيئاً غيره وهذا العلم هو الداعي للفعل لا شياً آخر.

1- الإلهيات للشيخ جعفر السبحاني: ص166.

باء: إرادته سبحانه ابتهاجه بفعله:

أى أنه تعالى خير محض فهو مبتهج بذاته ولأنه كذلك فهو مبتهج فى مرحلة الفعل لأنه من أحب شيئاً أحب آثاره ولوازمه.

جيم: إرادته سبحانه إعمال القدرة والسلطة:

المقصود من هذا أن إعمال القدرة والسلطة على خلقه هى بعينها إرادته.

دال: إرادته سبحانه نسبة تمامية السبب إلى الفعل:

المقصود من هذا هو أن الفعل يكون مراداً له تعالى إذا اكتملت علله ومقتضياته(1).

هذه الأقوال هى أقوال الفريق الأول وما يراه الفريق الثانى فهو: (أن الإرادة من الصفات الذاتية وتجرى عليه سبحانه مع تجردها من صفات النقص والإمكان كالحدوث والطوء والتدرج... الخ)(2).

(ومعنى كونه مريداً أى فاعلاً مختاراً فى مقابل كونه فاعلاً مضطراً)(3).

وأما لسان الروايات فإن إرادته تعالى هى فعله ليس إلا كما دلّت على ذلك الأحاديث الشريفة:

ألف: حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال: حدّثنا الحسين بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عاصم بن حميد، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: (قلت له: لم يزل الله مريداً؟ فقال \_ عليه السلام \_:

«إنّ المرید لا يكون إلا لمرادٍ معه، بل لم يزل عالماً قادراً ثمّ أراد»)(4).

1- كتاب الإلهيات للشيخ جعفر السبحانى: ص 168 \_\_ 173.

2- كتاب الإلهيات، جعفر السبحانى: ص 174.

3- المصدر السابق.

4- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص 141، ح 15.

باء: حدّثنا الحسين بن أحمد بن إدريس، عن أبيه، عن محمّد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، قال: (قلت لأبي الحسن عليه السلام: أخبرني عن الإرادة من الله ومن المخلوق، فقال \_\_ عليه السلام \_\_:

«الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل، وأمّا من الله عزّ وجلّ فأرادته إحدائه لا غير ذلك لأنّه لا يروى، ولا يهّم، ولا يتفكّر، وهذه الصفات منفيّة عنه، وهى من صفات الخلق، فأرادة الله هى الفعل لا غير ذلك يقول له: كن فيكون، بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همّة ولا تفكّر، ولا كيفَ لذلك كما أنّه بلا كيفٍ»(1).

### أسئلة مهمة فى الإرادة

السؤال: ما هو الفرق بين إرادة العبد وإرادة الله تعالى؟

الجواب:

1\_\_ إرادة العبد يسبقها تفكير وتروى وهم، وإرادة الله تعالى منزّهة عن ذلك بل هى فعله.

2\_\_ إرادة العبد سابقة على الفعل، وإرادة الله تعالى فى مقام الفعل هى عين الفعل.

وهذا ما تؤكد الرواية الشريفة:

قال أبو الحسن عليه السلام:

«الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل، وأمّا من الله عزّ وجلّ فأرادته إحدائه لا غير ذلك لأنّه لا يروى، ولا يهّم، ولا يتفكّر، وهذه

الصفات منفية عنه، وهي من صفات الخلق، إرادة الله هي الفعل لا غير ذلك يقول له: كن فيكون، بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همّة ولا تفكّر، ولا كيف لذلك كما أنّه بلا كيف»(1).

السؤال: هل أن إرادة الله تعالى تلغى إرادة العبد واختياره؟

الجواب: أن إرادة الله تعالى لا تلغى إرادة العبد ولا تمنع اختياره وللتوضيح أقول:

إنه تعالى جعل العبد مستطيعاً فأمره فيما أمره ونهاه عما ليس فوق طاقته وهذا ما أشارت له الروايات الشريفة:

عن عبيد بن زرارة، قال: حدّثني حمزة بن حُمران، قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الاستطاعة فلم يجبني، فدخلت عليه دخلة أخرى فقلت: أصلحك الله إنّه قد وقع في قلبي منها شيء لا يخرجني إلاّ شيء أسمع منه منك.

قال \_\_ عليه السلام \_\_:

«فإنّه لا يضرك ما كان في قلبك».

قلت: أصلحك الله فإنّي أقول: إنّ الله تبارك وتعالى لم يكلف العباد إلاّ ما يستطيعون وإلاّ ما يطيقون، فإنّهم لا يصنعون شيئاً من ذلك إلاّ بإرادة الله ومشيئته وقضائه وقدره؛ قال \_\_ عليه السلام \_\_:

«هذا دين الله الذي أنا عليه وآبائي أو كما قال»(2).

كما أن العدل الإلهي يقتضى أن يكون المكلف مستطيعاً لما كلف به وإلاّ يلزم التكليف بما لا يطلق فيلزم من ذلك الظلم، والله تعالى عادل لا يجور ولا يظلم.

1- كتاب التوحيد: ص 142، ح 17.

2- كتاب التوحيد للصدوق: ص 337، ح 3.

قال الله تبارك وتعالى:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) (1).

وقال تعالى:

(ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (2).

السؤال: كيف نفسّر ما يصيب العبد من الأذى هل بإرادة الله تعالى أم بإرادة العبد؟

الجواب:

هناك أسباب ودواعٍ لوقوع الأذى على العبد نذكرها كالاتي:

1\_\_ قد يصيب العبد الأذى بسبب سوء فعله فيجزى بذلك كما صرحت الآيات والروايات كقوله تعالى:

(وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ) (3).

وقوله تعالى:

(وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (4).

---

1- سورة النساء، الآية: 40.

2- سورة الأنفال، الآية: 51.

3- سورة الأنعام، الآية: 120.

4- سورة فصلت، الآية: 17.

وقال تعالى:

(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (1).

وقال الباري عزّ وجل في سورة الشورى:

(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) (2).

وهناك الكثير من الآيات التي تشير إلى أن بعض الأذى التي يصيب الإنسان هو بسبب فعله السيئ، وهذا لا يخرج عن إرادة الله تعالى.

وهناك الكثير من الروايات التي تؤكد أن بعض الآلام أو الآثار المؤذية هي بسبب سوء فعل الإنسان كما في الروايات الآتية:

— عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أوحى الله تعالى إلى أيوب هل تدري ما ذنبك إليّ حين أصابك البلاء؟ قال: لا.

قال: إنك دخلت على فرعون فداهنت في كلمتين» (3).

— وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يجنى على المرء إلا يده» (4).

2— هناك بعض الأذى قد يصيب العبد دون أن يكون لإرادته دخل في ذلك، كإصابته بمرض دون تقصير منه أو غير ذلك من الأمثلة الكثيرة، بل قد يتعرض العبد لأنواع من الألم لا يتحملها إلا من صبر واحتسب، وهذا يتم بلحاظين:

1- سورة الروم، الآية: 41.

2- سورة الشورى، الآية: 30.

3- الدعوات للراوندى: 123/304. أنظر المداهنة: باب 1275. ميزان الحكمة: ج 1، ص 400، ح 1912.

4- نور الثقلين: 4/209/77. ميزان الحكمة: ج 1، ص 402، ح 1913.

ألف: إمّا أن ذلك الأذى ابتلاء للعبد وإن كان تعالى عالماً بما يؤول إليه الأمر إلا أن ذلك الابتلاء لكى تكون الحجة البالغة لله تعالى على الناس كما فى قوله تعالى:

(الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (1).

وقوله تعالى:

(قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) (2).

وورد أيضا فى الروايات الشريفة ما يشير إلى ذلك كما فى قول أبى عبد الله عليه السلام:

«ما من قبض ولا بسط إلا ولله فيه المنّ والابتلاء» (3).

وجاء فى كتاب التوحيد أيضا عن على بن إبراهيم بن هشان، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبد الرحمن، عن حمزة بن محمد الطيّار، (عن أبى عبد الله عليه السلام:

«ما من قبض ولا بسط إلا ولله فيه مشيئة وقضاء وابتلاء» (4).

ولقد جاء هذا الابتلاء لكى يقع ما يعلمه الله تعالى من العبد وباختياره فيجزئ كل عامل بعمله ولا شك أن هذا الابتلاء يصنع فئة مؤمنة صابرة تكون قدوة لغيرها كما يحكى ذلك القرآن الكريم فى قصة نبي الله أيوب عليه السلام.

باء: قد يصاب العبد بأذى وآلام لا لذنب اقترفه ولا للابتلاء والامتحان بل لكى ينال درجة ورتبة عالية عند ربه كما حصل ذلك للإمام الحسين عليه السلام حيث

1- سورة الملك، الآية: 2.

2- سورة الأنعام، الآية: 149.

3- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص 344، باب الابتلاء والاختيار، ح 1.

4- التوحيد للصدوق: ص 344 \_ 345، ح 2.



أصابه من الألم والأذى ما لا يستطيع أحد تحمله إلا المعصوم لكي ينال درجة ادخرها الله تعالى له كما في حديث جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم:

«حبيبي يا حسين إن أباك وأمك وأخاك قدموا عليّ وهم مشتاقون إليك ، وإن لك في الجنان لدرجات لن تنالها إلا بالشهادة»(1).

وهذا ما تؤكد الروايات الشريفة كما في قول هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

«إن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل».

ورواية سلمان بن خالد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إنه ليكون للعبد منزلة عند الله فما ينالها إلا بإحدى خصلتين، إما بذهاب ماله أو ببلية في جسده»(2).

فيظهر من هاتين الروايتين وغيرهما أن هذا البلاء هو لطف إلهي يمنّ به الله تعالى على عباده ليوصلهم إلى مقاماتهم المحمودة السامية.

وللبلايا فوائد كثيرة منها:

ألف: أن تكون المصائب دافعاً لتحرك القابليات ونهوض الهمم.

باء: أن تكون المصائب هزة لإيقاظ الغافلين المنغمسين في لذائذ الدنيا لكي يرجعوا إلى بارئهم الحق سبحانه.

جيم: أن تكون المصائب سبباً في معرفة النعم وشكرها وتعظيمها كالعافية لا تعرف قيمتها إلا بعد الإصابة بالمرض وهكذا.

وخلاصة القول: إن أفعال العباد أمر بين الأمرين بين الجبر والتفويض الباطلين

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج44، ص328.

2- الكافي للكليني: ج2، ص257، ح23؛ وسائل الشيعة: ج3، ص262، ح3587.

أى أن الله تعالى جعل الاختيار لعباده فى الفعل والترك مع قدرته على منعهم عما يختارون وعلى جبرهم فيما يتركون، كما أنه أقدرهم على أفعالهم ولكن حد لهم الحدود ونهاهم عن القبائح، وبناء على هذا فإن إرادة العبد فى طول إرادة الله تعالى لا فى قبالتها. وأما إرادته فى الطاعات فهى الأمر بها والرضا لها والمعونة عليها، وإرادته فى المعاصى النهى عنها والسخط لها والخذلان عليها.

## قدرة الله تعالى

### إشارة

تعريف القدرة: هى الطاقة، القوة على الشئ والتمكن منه(1).

التقدير: ذو القدرة، وهو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضى الحكمة لا زائداً عليه ولا ناقصاً عنه، ولذلك لا يوصف به إلا الله تعالى.

تعريفها اصطلاحاً: هى المكنة على الفعل أو الترك، مع الاختيار والإرادة(2).

وهناك تعاريف أخرى لا تخرج عما ذكرناه لا حاجة لذكرها.

وإن القدرة التى يتصف بها الحق سبحانه لا بد أن تلازم الاختيار وإلا انقلب القادر إلى موجب أى مجبور على الفعل أو مجبور على الترك ولكى يتضح معنى القادر ومعنى الموجب لا بد من ذكر الفارق بينهما:

ألف: للقادر أن يفعل إذا شاء ذلك، وله أن يترك إذا شاء ذلك فى آن واحد وبالنسبة لشئ واحد، وأما الموجب ليس له أن يفعل إذا وجب عليه أن يترك، وليس له أن يترك إذا وجب عليه أن يفعل.

باء: للقادر العلم بما يقدم عليه قبل الإقدام وأثناءه، وليس للموجب ذلك.

1- المعجم الوسيط: ص718.

2- بداية المعرفة: ص101.

جيم: فعل القادر يجوز أن يتأخر عن فاعله وجوداً، وليس للموجب ذلك حيث إن فعله لا ينفك عنه كالإحراق بالنسبة للنار.

وحيث إن من صفاته تعالى أنه قدير لأبد لنا من معرفة الدليل على ذلك، ومعرفة صحة هذه القدرة، وهل هي من صفات الذات أم الفعل؟ وهذا ما سنتعرض له في بحثنا هذا بحسب الحاجة لذلك فنقول:

1\_\_ أمّا بالنسبة للدليل على قدرته تعالى فلدينا دليل عقلي وآخر نقلي نوردهما كالاتي:

\_\_ الدليل العقلي وهو كما يلي:

### ألف: دليل الفطرة

تشهد الفطرة السليمة على أن هناك قدرة عليا نلجأ إليها عند وقوعنا في شدة أو أزمة لاسيما عند نفاذ الأسباب أو فقدانها، وهذا ما تلمسه النفس البشرية دون تعليم أو توجيه، فلذا نجد أن هناك ميلاً وانجذاباً في النفس تجاه قوة قاهرة تستطيع إنقاذنا من الهلكة كما في حديث الإمام الصادق عليه السلام مع رجل يبحث عن وجود الله تعالى (1).

قال رجل: (يا ابن رسول الله دلني على الله ما هو؟ فقد أكثر على المجادلون وحيروني، فقال الإمام عليه السلام:

«يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فهل كُسرَتْ بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟».

1- الفوائد البهية: ص88؛ ليل ركوب السفينة في ص65 من الكتاب.

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فهل تعلق قلبك هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادرٌ على أن يخلصك من ورطتك؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجى وعلى الإغاثة حيث لا مغيث»(1).

### باء: دليل النظام في الخلق

يشير هذا الدليل إلى أن لهذا الوجود خالقا قادراً مختاراً استطاع أن يوجده بهذه الهيئة وبهذا الجمال من حيث الدقة والتنظيم والتناسب والإبداع.

قال الإمام أمير المؤمنين في خطبة له:

«أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه ابتداءً، بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولأم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها وألزمها أشباحها عالماً بها قبل ابتدائها محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها وأحنائها، ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشق الأرجاء وسكائك الهواء، فأجرى فيها ماء متلاطماً تياره متراكماً زخاره، حمله على متن الريح العاصفة، والزعرع القاصفة، فأمرها برده، وسلطها على شده، وقرنها إلى حده، الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق، ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها وأدام مربها، وأعصف مجراها وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار، وإثارة موج البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء، ترد أوله إلى آخره، وساجيه إلى

1- الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية، الشيخ محمد جميل: ص 88.

مائه، حتى عب عبابه، ورمى بالزبد ركامه فرفعه في هواء منفتح، وجو منفتح، فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهن موجا مكفوفاً وعليهن سقفا محفوظا، وسمكا مرفوعا، بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها، ثم زينها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب، وأجرى فيها سراجا مستطيرا، وقمر منيرا، في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر»(1).

### جيم: قدرة المخلوق دليل على قدرة الخالق

إننا من خلال معرفتنا بأن المخلوقات الحية قادرة والقدرة كمال لها، نعرف أن مفيض هذا الكمال لا بد أن يكون واجداً له غير فاقد لأن فاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه، وما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«كيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك»(2).

فيه إشارة صريحة إلى قدرة الله تعالى التي تتجلى في هذه النفس البشرية من خلال جمال هذه الخلقة ومن خلال القدرة التي أودعت فيها.

الدليل النقلى على وجود القدرة الإلهية:

الآيات الكريمة الآتية تشير إلى وجود القدرة الإلهية:

قوله تعالى:

(أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) (3).

1- نهج البلاغة، خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: الخطبة الأولى، ص 16 \_\_ 18.

2- التوحيد للصدوق: ص 123.

3- سورة يس، الآية: 81.

وقال سبحانه وتعالى:

(وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّا فِيهَا الْأَرْضَ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) (1).

وقوله عز وجل:

(فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ) (2).

وقال الله تبارك وتعالى:

(يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (3).

وقوله سبحانه وتعالى:

(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (4).

وغيرها من الآيات الكثيرة.

ألف: ورد عن الإمام الصادق عليه السلام إذ يقول:

«لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته

1- سورة المؤمنون، الآية: 18.

2- سورة المعارج، الآية: 40.

3- سورة البقرة، الآية: 20.

4- سورة البقرة، الآية: 259.

ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور»(1).

باء: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام، هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير أن يصغر الدنيا أو يكبر البيضة؟ فقال عليه السلام:

«إنَّ الله تبارك وتعالى لا ينسب إلى العجز»(2).

وفي رواية أخرى قال عليه السلام:

«ويلك، إنَّ الله لا يوصف بالعجز ومن أقدر ممَّن يَلطِّف الأرض ويعظَّم البيضة»(3).

وهناك أحاديث كثيرة تدل على قدرة الله تعالى راجع كتاب التوحيد باب القدرة.

2\_\_ أما بالنسبة إلى سعة هذه القدرة نقول:

حكم العقل السليم بأن واجب الوجود له الصفات الكمالية ومن صفاته الكمالية أن يكون قادراً قدرة لا حد لها ولا نهاية وإلا يلزم النقص والعجز والانقلاب إلى ممكن فقير محتاج، ولذا يجب الإذعان بعموم قدرته سبحانه وسعتها لكل ما هو ممكن، وهذا ما أيده الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المتقدمة، ولا بأس بالإشارة إلى غيرها من الآيات والروايات كقوله تعالى:

(وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) (4).

وقوله تعالى:

(وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) (5).

1- كتاب الكافي للكليني: ج 1، ص 128، ح 1.

2- كتاب التوحيد للصدوق: ص 126، ح 9.

3- كتاب التوحيد للصدوق: ص 126، ح 10.

4- سورة الأحزاب، الآية: 27.

5- سورة الكهف، الآية: 45.

وقال سبحانه وتعالى:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا)(1).

وكقول الإمام الصادق عليه السلام:

«والأشياء له سواء علما وقدرة وسلطانا وملكا وإحاطة»(2).

وقول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

«هو القادر الذي لا يعجز»(3).

3\_\_ أما بالنسبة إلى قدرته هل هي من صفات الذات أم الفعل؟ فنقول:

اجتمعت كلمة الإلهيين على أن القدرة من صفات الله تعالى الذاتية الكمالية كالعلم والحياة ولا يختلف اثنان على ذلك، ولا بأس بتوضيح بسيط لهذا، فنقول: يحكم العقل السليم باستحالة أن يصنع الصانع هذا الكون دون أن يتصف بالقدرة، ويحكم كذلك بأن العجز نقص، ومحال أن يتصف به واجب الوجود لوجوب كماله، فيلزم من هذا أن القدرة صفة كمالية ذاتية، ومما يؤيد قولنا لهذا ما ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام كقول الإمام أبي جعفر عليه السلام:

عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: (جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له: يا أبا جعفر أخبرني عن ربك متى كان؟ فقال:

«ويلك، إنما يقال لشيء لم يكن فكان: متى كان، إن ربي تبارك وتعالى كان لم يزل حياً بلا كيف، ولم يكن له كان ولا كان

1- سورة فاطر، الآية: 44.

2- كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص 129.

3- كتاب التوحيد للصدوق: ص 17.



لكونه كيف، ولا كان له أين، ولا كان فى شىء، ولا كان على شىء، ولا ابتدع لكونه مكاناً ولا قوى بعد ما كَوّن شيئاً، ولا كان ضعيفاً قبل أن يكوّن شيئاً، ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً، ولا يشبه شيئاً مكوّناً، ولا كان خلوّاً من [القدرة على] المُلْك قبل إنشائه، ولا يكون منه خلوّاً بعد ذهابه، لم يزل حيّاً بلا حياة، وملكاً قادراً قبل أن ينشئ شيئاً، وملِكاً جباراً بعد إنشائه للكون، فليس لكونه كيف، ولا له أين، ولا له حدّ، ولا يعرف بشىء يشبهه، ولا يَهْرَم لطول البقاء، ولا يَصْدَعق لشىء، ولا يُخوفه شىء، تصعق الأشياء كلّها من خيفته، كان حيّاً بلا حياة عارية ولا كونٍ موصوف، ولا كيفٍ محدود، ولا أثر مقفوّ ولا مكان جاوّر شيئاً، بل حتى يعرف، وملِك لم يزل له القدرة والمُلْك، أنشأ ما شاء كيف شاء بمشيّته، لا- يحدّ ولا- يبعّض، ولا يفنى، كان أوّلاً بلا كيف، ويكون آخرّاً بلا أين، وكلّ شىء هالك إلّا وجهه، له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين، ويلك أيّها السائل، إنّ ربّي لا تغشاه الأوهام، ولا تنزل به الشبهات، ولا يجار من شىء ولا يجاوره شىء ولا تنزل به الأحداث، ولا يسأل عن شىء يفعله، ولا يقع على شىء، ولا تأخذه سنة ولا نوم، له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى»(1).

وقول الإمام الرضا عليه السلام، عن محمد بن إسماعيل البرمكى قال: حدّثنا الحسين بن الحسن قال: (حدّثنا محمّد بن عيسى، عن محمد بن عرفة، قال: قلت للرّضا عليه السلام خلق الله الأشياء بالقدرة أم بغير القدرة؟ فقال \_ عليه السلام \_:

«لا يجوز أن يكون خلق الأشياء بالقدرة لأنك إذا قلت: خلق الأشياء بالقدرة فكأنك قد جعلت القدرة شيئاً غيره، وجعلتها آلة له بها خلق الأشياء،

وهذا شرك، وإذا قلت: خلق الأشياء بقدرة فإثما تصفه أنه جعلها باقتدار عليها وقدرة، ولكن ليس هو بضعيف ولا عاجز ولا محتاج إلى غيره»(1).

### أسئلة في القدرة

بعد أن عرفنا أن قدرته من صفات الذات وهي عين ذاته، كما عرفنا أن الذات الإلهية ذات لا نقص فيها ولا عجز ووقفنا على سعة قدرته صار لا بد أن نسمع أسئلة السائلين ونجيب عليها إضافة لما تقدم:

السؤال: هل يقدر الله تعالى أن يخلق مثله؟

الجواب: المثل إما يكون واجباً أيضاً أو ممكناً، فإن كان واجباً يلزم اجتماع الضدين لأن ما فرضناه واجباً لا بد أن يكون قديماً وهذا المثل مخلوق فهو حادث فيلزم أن يكون هذا المثل واجباً وحادثاً في آن واحد ويتفرع على هذا أن يكون واجباً وممكناً لأنه خلق من قبل غيره، فإذا المثل محال والمحال باطل ليس بشيء والله تعالى تتعلق قدرته بالأشياء.

السؤال: هل أنه تعالى قادر على أن يدخل الدنيا في البيضة دون أن تكبر البيضة وأن نصغر الدنيا؟

الجواب: يلزم من هذا القول أن يكون الطرف الكبير في مظروف صغير، وهذا مرفوض بالبداهة لأن العقل السليم يحكم ببداهة وجوب كبر الطرف عن المظروف لكي يتحقق الاحتواء، ويلزم أيضاً أن يكون المظروف الكبير في داخل الطرف الصغير فيحصل اجتماع النقيضين، أي يكون المظروف الكبير صغيراً في آن واحد، ويكون الطرف الصغير كبيراً في آن واحد وهذا محال وقد تقدم عدم تعلق قدرة الله تعالى بما هو محال لبطلانه وعدم شئيته.

السؤال: هل لله القدرة على إيجاد شيء لا يقدر على إفنائه؟

الجواب: أيضا هذا من المحال لأن كل ممكن حادث وهو قابل للفناء، فكيف يكون حادثا ممكناً قابلاً للفناء وغير قابل للفناء، ويلزم من عدم فنائه انقلابه إلى واجب فيلزم المحال من ذلك.

وهناك الكثير من الأسئلة التي يجاب عنها بهذه الطريقة الواضحة.

— وقوله عليه السلام:

(لا تَتَدَاوَلُ الْأُمُورُ، وَلَا تَجْرِي عَلَيْهِ الْأَحْوَالُ، وَلَا تَنْزِلُ عَلَيْهِ الْأَحْدَاثُ، وَلَا يَقْدِرُ الْوَاصِفُونَ كُنْهَ عَظَمَتِهِ).

لا يكون الواجب إلا كاملا ولا كمال إلا ينفي النقص عمن اتصف بالكمال وعلى هذا نقول:

لا يليق بالإله الذي خلق ودبر وربى إلا أن يكون واجداً لصفات الكمال ومنزهاً عن كل نقص وقبيح، ومما يجب أن ينزه عنه تعالى هو أن لا يكون محتاجاً إلى الغير لا- في ذاته ولا في صفاته، ولا يحتاج إلى المكان والزمان والكيفية والأدوات والآلات، فهو الغنى المطلق والحق المبين لا يحتاج كل ما سواه إليه واستغنائه عن كل شيء، فالكمال ذاته وبالغنى ألوهيته وربوبيته وتدبيره، وحيث إن واجب الوجود غنى كامل له الصفات العليا والأسماء الحسنى فهو منزه عن الأ-جزاء والتركيب لما فيها من نقص وفقر وحاجة، ومنزه عن كونه محلاً للتغيرات والحوادث كالنوم واليقظة أو الحركة والسكون أو القيام والقعود أو الكهولة والصبا أو الشباب والشيب أو القوة والضعف أو النشاط والكسل أو الفرح والحزن أو الرضا والسخط لما في ذلك من نقص وقبح وعجز وحاجة وفقر وحدوث، ومنزه عن الحلول والاتحاد فلا يحل بغيره ولا يتحد به لما في ذلك من حاجة إلى المحل وافتقار إلى الغير، ومنزه عن الجسم والجسمانية والأبعاد والكثافات والحجم

والكتلة والخفة والثقل والطول والعرض والعمق والسطح.

فكيف يكون محتاجا وذاته الغنى؟ وكيف يكون مركبا، والتركيب نقص؟ وكيف يكون محلا للحوادث وهو الله الذى لا- إله إلا هو الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم؟ وكيف يكون فى محل ومكان والمحل والمكان من خلقه وهو بكل شىء محيط؟ وكيف يكون له عمرٌ وسن وهو الذى خلق الزمان؟ وكيف يتحد بغيره ولا غير فى الوجود سواه؟ وكيف يتحد مع غيره وهو لا شريك له فى الوجود ولا مثيل ولا ند ولا- ضد ولا- منازع ولا شبيه؟ وكيف يكون جسما والجسم حادث تعتريه التغيرات وتحده الحدود وتراه العيون؟ فلا وصف له إلا ما وصف به نفسه ولا- إحاطة بكنهه ولا- علم بذاته إلا- إحاطته وعلمه فتعالى الله عن كل صفة صفة وسمى ربنا عن المربوب وتجلى عن المخلوقات.

وما ورد على لسان أمير المؤمنين عليه السلام خير ما يدل على جلال الله تعالى وعلوه عن صفات الخلق كقوله:

«أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال علام فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شىء لا بمقارنة، وغير كل شىء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده، أنشأ الخلق إنشاء، وابتدأه ابتداء بلا روية أجالها ولا تجربة استفادها

ولا حركة أحدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها ولاءم بين مختلفاتها وعرز غرائزها وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهاها عارفاً بقرائنها وأحنائها»(1).

\_\_\_ وقوله عليه السلام:

(لا يَخْطُرُ عَلَى الْقُلُوبِ مَبْلَغُ جَبْرَوْتِهِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِي الْأَشْيَاءِ عَدِيلٌ).

اعلم أن المخلوق لا قدرة له ولا سبيل إلى معرفة كنه الخالق ولا علم ولا إحاطة بحقيقته جل شأنه لاستحالة إحاطة المحدود باللامحدود والممكن بالواجب، ولجلاله تعالى عن أن يحد أو يحاط به، وهذا ما أكده قوله تعالى:

(وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) (2).

وقوله تعالى:

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) (3).

كما أن الروايات كثيرة في هذا المضمون كقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«اللَّهُ مَعْنَاهُ الْمَعْبُودُ الَّذِي يَأْلُهُ فِيهِ الْخَلْقُ وَيُؤَلُّهُ إِلَهِيهِ، وَاللَّهُ هُوَ الْمَسْتُورُ عَنْ دَرْكِ الْأَبْصَارِ، الْمَحْجُوبُ عَنِ الْأَوْهَامِ وَالْخَطَرَاتِ» (4).

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«اللَّهُ مَعْنَاهُ الْمَعْبُودُ الَّذِي أَلَهُ الْخَلْقُ عَنْ دَرْكِ مَا هَيْبَتِهِ وَالْإِحَاطَةَ بِكَيْفِيَّتِهِ» (5).

1- حق اليقين، السيد عبد الله شبر: ص 67.

2- سورة طه، الآية: 110.

3- سورة الأنعام، الآية: 91.

4- ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ج 1، ص 124، ح 658.

5- ميزان الحكمة، الريشهري: ج 1، ص 124، ح 689.

ومما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام هو بيان علة عدم الإحاطة به تعالى والوقوف على كنه ذاته، فقال عليه السلام:

«لأن ليس له في الأشياء عديل».

وكانما أراد الإمام عليه السلام أن يقول أمراً وهو أن بعض التصورات والأفكار التي تجول في ذهن الإنسان منتزعة من الوجودات الخارجية كمعرفتنا مثلاً للشجرة التي وقع عليها الحس، أو كمعرفتنا للأرض والسماء، وأما ما ليس له وجودٌ مرئياً فلا يمكن تصوره ووصفه، وحيث إن الله تعالى ليس له في الأشياء مثيل لا نستطيع تصوره أو وصفه إلا بما وصف به نفسه تعالى، ويمكن تفسير قوله عليه السلام لأن ليس له في الأشياء عديل أى لا يوجد من له القدرة والإحاطة بغاية جبروته لأن لا شبيه ولا عديل لجبروته حتى نستطيع أن نقف على جبروت الله تعالى ونعرف كنهه، كما أن الإمام عليه السلام ينفي أن يكون لله تعالى شبيه أو مثل فكيف نستطيع من خلال معرفة الشبيه أن نعرف الأصل وهو الله تعالى كنه ذات الله تعالى ممتعة على مخلوقاته لمحدودية المخلوق وتناهيه، وإحاطة الخالق وكبره عن أن يوصف وخير من أشار إلى ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله،

ورد في التوحيد (عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الوسيلة:

«الحمد لله الذى أعجز الأوهام أن تنال إلا وجوده، وحجب العقول عن أن تتخيل ذاته فى امتناعها من الشبه والشكل، بل هو الذى لم يتفاوت فى ذاته ولم يتبعض بتجزية العدد فى كماله، فارق الأشياء لا على اختلاف الأماكن، وتمكن منها لا على الممازجة، وعلم بها لا بأداة لا- يكون العلم إلا- بها وليس بينه وبين معلومه علم غيره، إن قيل كان فعلى تأويل أزلية الوجود وإن قيل لم يزل، فعلى تأويل نفى العدم»(1).

وقال عليه السلام:

«لم تحط به الأوهام بل تجلى لها بها، وبها امتنع منها وإليها حاكمها، ليس بذى كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً، ولا بذى عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيداً، بل كبر شأناً وعظم سلطناً».

— وقوله عليه السلام:

«لا تُدْرِكُ الْعُلَمَاءُ بِالْبَاهِيَا، وَلَا أَهْلُ التَّفَكِيرِ بِتَفَكِيرِهِمْ إِلَّا بِالتَّحْقِيقِ (1) إيقاناً بِالْغَيْبِ».

أشار الإمام الحسين عليه السلام بقوله هذا إلى قصور إدراك العلماء فضلاً عن غيرهم، وعجز عقولهم مع ما لهم من العلم والمعرفة وقوة الملاحظة وتوقد الذهن وسعة الفطنة، وعجز الألباب وحيرة الفكر في ذات الله تعالى وكنهه ناشئ من امتناعه على الألباب لوجوب وجوده، ومحدودية الألباب لأنها ممكنة، فلذا نهانا أمير المؤمنين عليه السلام من الخوض في هذا الأمر بقوله:

«لا تقدر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين».

وأكد الإمام عليه السلام أن إدراك وجود الله تعالى وعظمته تتم من خلال الآثار والصفات التي تجلّت في عالم الوجود، ويحصل اليقين بوجوده تعالى وعظمته من خلال الأخبار التي وردت على لسان خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين وهو من الإيمان بالغيب.

ومما يؤكد عجز العلماء والمفكرين في إدراك الحق سبحانه قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«محرم على بوارع ناقبات الفطن تحديده، وعوامق ناقبات الفكر تكييفه، وعلى

1- اللَّبُّ: العقل. والتحقيق: التصديق.

غوائص سابحات النظر تصويره، لا- تحويه الأماكن لعظمته، ولا تذعره المقادير لجلاله، ولا تقطعه المقاييس لكبريائه، ممتنع عن الأوهام أن تكتننه، وعن الأفهام أن تستغرقه، وعن الأذهان أن تمثله، قد يئست من استنباط الإحاطة به طوامح العقول، ونضبت عن الإشارة إليه بالاكتناه بحارة العلوم، ورجعت بالصغر عن السمو إلى وصف قدرته لطائف الخصوم.

واحد لا من عدد ودائم لا بأمد وقائم لا بعمد، ليس بجنس فتعادل الأجناس، ولا بشبح فتعارضه الأشباح، ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات، قد ضلت العقول في أمواج تيار إدراكه، وتحيرت الأوهام عن إحاطة ذكر أزلتيه، وحصرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته، وغرقت الأذهان في لجج أفلاك ملكوته، مقتدر بالآلاء وممتنع بالكبرياء ومتملك على الأشياء، فلا دهر يخلقه ولا وصف يحيط به، قد خضعت له ثوابت الصعاب في محل تخوم قرارها، وأذعنت له رواصن الأسباب في منتهى شواهد أقطارها، مستشهد بكلية الأجناس على ربوبيته، ويعجزها على قدرته، وبفطورها على قدمته، وبزوالها على بقائه، فلا لها محيص عن إدراكه إياها، ولا خروج عن إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولا امتناع عن قدرته عليها، كفى باتقان الصنع لها آية وبمركب الطبع عليها دلالة وبحدوث الفطر عليها قدمه وبإحكام الصنعة لها عبره، فلا إليه حد منسوب ولا له مثل مضروب ولا شيء عنه بمحجوب، تعالى عن ضرب الأمثال والصفات المخلوقة علواً كبيراً»<sup>(1)</sup>.

\_\_ وقوله عليه السلام:

«لأنَّهُ لَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْ صَفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ».

1- حق اليقين، السيد عبد الله شبر: ص 66 \_\_ 67، الباب الثالث: معرفة الذات والصفات.



ثبت في محله أن في الوجود واجب الوجود وممكن الوجود، وثبت أن الواجب هو عين الغنى، والممكن عين الفقر والحاجة، وثبت أيضاً أن الواجب يتصف بكل صفات الكمال ومنزه عن كل نقص وقبح، بينما يتصف الممكن بالنقص والحاجة، ولكي يتضح قول الإمام الحسين عليه نقول:

يتصف المخلوق بصفات حسنة وكاملة بالنسبة إليه إلا أنها نقص وقبح وفقر بالنسبة لخالقه، فلو قلنا إن المخلوق يتصف بصفة العلم أو القدرة أو الإدراك فهي صفات كمال بالنسبة للمخلوق ولكن هذه الصفات لو نسبناها إلى الله تعالى بحدودها ومقدارها وشروطها لصارت نقصاً وحاجة، لأنه تعالى سيكون عالماً بعلم محدود وقادراً بقدر محدود ومدركاً بإدراك محدود وهكذا، فلذا لا يصح أن يوصف بصفات المخلوقين، ومحال أن يكون كالمخلوق لأن (ليس كمثله شيء)، كما أنه تعالى منزّه عن كل صفات المخلوقين من التركيب والمكان والزمان والحدوث والاتحاد والفناء... الخ.

وقد تقدم الكلام في ذلك.

ولكى لا يقع الإنسان في محذور التشبيه الذي حذر منه الإمام الحسين عليه السلام نورد بعض فقرات الأدعية التي جاءت على لسان أمير المؤمنين عليه السلام التي تؤكد أن ذات الله تعالى لا يحيط بها العالم أو المفكر فضلاً عن عامة الناس، فلقد ورد في دعاء المشلول المروى عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«يا من لا يعلم ما هو ولا كيف هو ولا أين هو ولا حيث هو إلا هو».

وفي دعاء الإمام السجاد عليه السلام دليل واضح على عجز المخلوق في معرفة الله تعالى كقوله:

«ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلا بالعجز عن معرفتك»<sup>(1)</sup>.

**(وهو الواحد الصمد)****معنى الواحد**

كل شيء يدل على وحدانيته كما دل على وجوده، وكل جارحة تشهد على أن خالقها واحد ومدبرها واحد وفانيها واحد، فالقلب يتوجه إلى الله تعالى عندما يلزم به الخطر، والضمير يفرغ إليه عندما يضطر إلى حاجته، والوجدان لا يستعين ولا يستغيث إلا به تعالى، وهذا مما يكشف عن أن القلب والعقل لا يعرفان إلا هو تعالى بالفطرة قبل الدليل، ولكي يتضح ما تقدم ننقل محاوره الإمام الصادق عليه السلام مع رجل سأله عن الدلالة على الله تعالى:

قال رجل: (يا بن رسول الله ذلني على الله ما هو؟ فقد أكثر على المجادلون وحيروني، فقال الإمام عليه السلام:

«يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟».

قال: نعم، فقال عليه السلام:

«فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجى وعلى الإغاثة حيث لا مغيث»(1).

فبعد هذه المحاوره يتضح لنا أن الإمام الصادق عليه السلام أشار إلى وحدانية الله تعالى فضلاً عن وجوده في قوله (فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك)؟

فقوله (أن شيئاً) وقوله (قادر) فيه دلالة على وحدانية الله تعالى لأن الإمام عليه السلام لو كان يعتقد أن مع الله تعالى إلهاً آخر لما قال للرجل (أن شيئاً) و(قادر) بصيغة المفرد، فمن هذا يتضح أن وحدانية الله تعالى تركز في فطرة الإنسان وهذا ما أكدته الرجل بقوله (نعم) أى أن قلبى تعلق بشيء واحد وقادر واحد ولم يقل (كلاً) لقد تعلق قلبى بأكثر من شيء.

فبهذه المقدمة تبين من خلال الفطرة أن الله تعالى واحد لا شريك له، وأما ما دل على وحدانيته في مقام الذات والصفات والأفعال فلقد تقدم الحديث عن ذلك في بحثنا (استخلص الوجدانية والجبروت).

### معنى الصمد

وأما عن قوله عليه السلام (الصمد) نقول:

الصمد في اللغة: المقصود لقضاء الحاجات، اسم من أسماء الله الحسنى، ويقال شيء صمد: مصمت لا جوف له(1).

الصمد في الاصطلاح: السيد المعظم الذي يصمد إليه في الحوائج، أى يقصد، وقيل: هو السيد الذي ينتهى إليه السؤدد(2).

بعد التأمل فيما سبق من الآيات التي تطرقنا فيها إلى بيان صفات واجب الوجود يظهر لنا جلياً أن اسم الصمد اسم لا يليق إلا بالغنى المطلق والعالم والقادر

1- المعجم الوسيط: ص522.

2- مجمع البيان: ج10، ص544.

المطلق وهذا لا يصدق إلا على الله الواحد الأحد الفرد الصمد، فلا شك أن الله تعالى هو الذى برأ الخلق وأوجد كل ذى وجود بعلمه وقدرته، وهو الذى أعطى كل خلقه حاجته وأدام فيضه على خلقه فلذا استحق أن يكون مقصوداً فى الحاجات، لأنه تعالى الغنى المطلق فهو يقصد ولا يقصد أحداً لافتقار كل ما سواه إليه فلذا أورد قوله تعالى:

(وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ) (1).

وإذا تأملنا المعنى اللغوى للصمد الذى هو مصمت لا جوف له، يظهر لنا عدم حاجته للأكل والشرب والنوم كما أنه لم يلد ولم يولد، وما ورد عن أهل البيت عليهم السلام فى تفسير الصمد يدلنا على معانى كثيرة نذكرها للفائدة الكبيرة.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

«حدّثنى أبى زين العابدين عليه السلام، عن أبىه الحسين بن على عليهما السلام أنه قال: (الصمد) الذى قد انتهى سؤده، والصمد: الدائم الذى لم يزل ولا يزال، والصمد: الذى لا جوف له، والصمد: الذى لا يأكل ولا يشرب، والصمد: الذى لا ينام».

وقال أيضاً عليه السلام:

«والصمد: السيد المطاع الذى ليس فوقه أمر ولا ناه».

وسئل الإمام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام عن (الصمد) فقال:

«الصمد: الذى لا شريك له ولا يؤوده حفظ شىء، ولا يعزب عنه شىء».

وقال عليه السلام:

«الصمد: الذى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، والصمد: الذى أبدع

الأشياء، فخلقها أضدادا وأصنافا، وأشكالا وأزواجا، وتقرّد بالوحدة بلا ضد، ولا شكل، ولا مثل، ولا ند».

قال وهب بن وهب: وحدثني الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، أن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن على عليه السلام يسألونه عن الصمد، فكتب إليهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد: فلا تخوضوا في القرآن، ولا تجادلوا فيه، ولا تتكلموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار، وإن الله قد فسر سبحانه الصمد.

فقال:

(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (1)» (2).

(ما تصوّر فى الأوهام فهو خلافه)

التصوّر فى اللغة: (تصوّر: تكونت له صورة وشكل \_\_ والشىء \_\_ تخيله واستحضر صورته فى ذهنه.

التصوّر فى علم النفس: استحضر صورة شىء محسوس فى العقل دون التصرف فيه.

التصوّر عند المناطقه: إدراك المفرد: أى معنى الماهية من غير أن يحكم عليها بنفى أو إثبات) (3).

1- سورة الإخلاص، الآيتان: 3 و4.

2- تفسير مجمع البيان، الطبرسى: ج10، ص550.

3- المعجم الوسيط: ص528.

التصورية في الفلسفة: المذهب القائل بأن الكليات لا توجد إلا في الذهن وهو يقابل مذهبي الواقعية والأسمية.

الوهم: ما يقع في الذهن من الخاطر، وهم الشيء دار في خاطره، توهم الشيء: ظنه \_\_ وتمثله وتخيله كان في الوجود أو لم يكن (1).

### التصور والتصديق

التصور: هو علمك بالشيء دون أن تجزم أو تعتقد بمطابقة علمك للواقع.

التصديق: هو علمك بالشيء مع مطابقة ذلك للواقع مما يدفع النفس للإذعان والتصديق بالمطابقة.

ولكى يتضح المطلوب نقول: إذا حصل في ذهنك علم بشيء دون أن تصل إلى حد الجزم والاعتقاد به فهذا يسمى تصوراً مجرداً، وإذا قمت بالبرهنة والاستدلال على ثبوته أو نفيه وحصل لك جزم واعتقاد بذلك فهذا يسمى تصديقاً ولكى يكون المطلوب أوضح نضرب مثلاً لذلك:

(لو قلت لك أن قبة الإمام الحسين عليه السلام بيضوية الشكل مذهبة بذهب خالص حصل عندك تصور عما أخبرتك به، ولما ذهبت وتحققت من الخبر وثبت لك صحة ما قلت حصل لك تصديق لمطابقة الخبر للواقع).

فالتصور مجرد علمك بشيء دون أن يستتبع ذلك التصور جزم واعتقاد، والتصديق هو ترجيح أحد طرفي الخبر مع نفي احتمال الطرف الآخر وهذا هو (اليقين) أو مع وجود احتمال ضعيف للطرف الآخر وهذا يسمى (الظن) وهذا ما ينقسم إليه التصديق على بعض الآراء.

## الوهميات

وهي القضايا الوهمية الصرفة، وهي قضايا كاذبة(1)، ولكي نقف على هذا المطلب نحتاج إلى مقدمة فنقول:

أخرج الله تعالى الإنسان من بطن أمه وهو لا يعلم شيئاً، إلا أنه يملك حواساً ظاهره كحاسة السمع والبصر والذوق واللمس فيستخدم هذه الحواس في بيئته فيحس بالأشياء ويتأثر بها ويحصل عنده علم نتيجة استخدامه لهذه الحواس، ويسمى (العلم الحسى) وهو أول درجات العلم وهذا ما يؤكد الله سبحانه وتعالى:

(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (2).

ثم يحفظ هذه الصورة التي أدركها بالحس في ذهنه فينسب بعضها إلى بعض كقوله (هذا أطول من ذاك) أو يؤلف بعضها مع بعض فتكون عنده صوراً لا واقع لها في الخارج، فهذا الحفظ أو التأليف يسمى (العلم الخيالي) ثم يتجاوز إدراك المحسوسات إلى إدراك أمور ليست هي من جنس المحسوسات كحبّ الغير له وحبّه لغيره أو بغض الغير له أو بغضه لغيره وهذا يسمى (بالعلم الوهمي) يحصل عليه الإنسان بقوة الوهم.

للوهم معنيان تارة يراد منه ما يقابل الظن وهو: أن تحتل مضمون الخبر أو عدمه مع ترجيح الطرف الآخر، وأخرى: يراد منه تصوير الأمور غير المحسوسة تصويراً محسوساً فترتكز هذه الصور في ذهنه حتى تستفحل وتتحوّل إلى قضايا ثابتة في النفس لا يمكن رفضها حتى مع قيام البرهان على خلافها وقد تتحوّل إلى معتقدات يصعب زوالها، ولكي نوضح هذا الأمر بالمثال نقول: نجد الإنسان لا يقبل الاجتماع مع ميت

1- منطق المظفر: ج3.

2- سورة النحل، الآية: 78.

فى مكان مظلم رغم علمه أنه جماد لا يتحرك ولا يضر ولا ينفع، وإذا كان خوفه ناشئاً من عودة الحياة إلى هذا الميت فالعقل يحكم بأنه سيرجع إنساناً سوياً لا سيما إذا كان من الأحبة، ولكن الوهم والقوة الواهمة ترفض حكم العقل وتجعل صاحبها فى خوف دائم من الميت.

فالوهم تابع للحس ومنقاد له ولذا يطبق أحكام المحسوسات على غير المحسوس أيضاً كتوهمه بأن الله تعالى فى مكان عالٍ وله هيئة كبيرة وإلخ من التوهّمات فيقع فى التجسيم والتشبيه وهذا ما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام بقوله أعلاه.

— وقوله عليه السلام:

«لَيْسَ رَبُّ مَنْ طُرِحَ تَحْتَ الْبَلَاغِ، وَمَعْبُودٍ مَنْ وَجِدَ فِي هَوَاءٍ أَوْ غَيْرِ هَوَاءٍ».

من خلال معرفتنا لعظمة الله تعالى وغناه وتنزهه عن الحدود المكانية والزمانية يتضح لنا قول الإمام الحسين عليه السلام المتقدم ونراه يؤكد فيه أن الرب الذى يدبر شؤون مخلوقاته ويدير أمر الممكنات لا يمكن أن يخضع للحدود، ولا يمكن أن يحده مكان أو يحيط به شىء مهما كانت سعته حتى لو كان هواءً أو غيره ممن هو أوسع من الهواء وأكثر مرونة منه، ولا يستحق المحدود والمتناهى العبودية لانتفاء صفات المعبود فيه، إذ إننا نعلم أن من يستحق أن يعبد هو من لا شريك ولا ند ولا مثيل ولا شبيه ولا حاجة ولا كتلة ولا حجم ولا كثافة ولا وزن ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا صورة ولا جسم له بل ولا صفة من صفات العباد الكمالية وغيرها، لأنه ليس كمثل شىء وتعالى من أن يحاط بأرض أو سماء أو ماء أو هواء، وما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام فى نهج البلاغة بقوله:

«قد علم السرائر وخير الضمائر وله الإحاطة بكل شىء».

يؤكد هذا المعنى بل يترجم قوله تعالى:



(وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا) (1).

\_\_\_ وقوله عليه السلام:

«هُوَ فِي الْأَشْيَاءِ كَائِنٌ لَا كَيْنُونَةَ مَحْظُورٍ بِهَا عَلَيْهِ، وَمِنَ الْأَشْيَاءِ بَائِنٌ لَا بَيْنُونَةَ غَائِبٍ عَنْهَا».

تبين مما تقدم جلاله الله تعالى عن صفات الأجسام وقوانينها وآثارها فلذا لا يمكن أن نفسر قول الإمام الحسين عليه السلام بتفسير يوحى بالجسمية والمحدودية والمادية، بل لا بد من بيان لقوله عليه السلام يؤكد نزاهة الله تعالى عن كل صفة من صفات المخلوقين وهذا ما سنتعرض له فنقول:

لا يصح أن نفسر قول الإمام عليه السلام (في الأشياء) بالدخول، وقوله (من الأشياء) بالخروج لأنهما من صفات الأجسام وهو تعالى ليس بجسم، فضلا عن غناه المطلق عن كل شيء، فلو دخل في الأشياء كدخول الأجسام في بعضها لزم افتقاره إلى المكان والمحدودية وهذا من صفات الممكن وقد ثبت أنه تعالى واجب الوجود غنى مطلق، وكذلك لو قلنا بدخوله في الأشياء كدخول الأجسام يلزم من قولنا هذا وصفه بالنقص لأن الدخول إما أن يكون كاملاً له أو لا؟ فعلى الأول يلزم وصفه بنقص سابق فأراد أن يستكمل بالدخول، وعلى الثاني: يكون الدخول نقصاً بذاته يتصف به الحق سبحانه وعلى الفرضين يقع التجسيم والوصف القبيح تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فلذا لا بد من تفسير قول الإمام عليه السلام بأنه سبحانه هو القيوم المحيط بكل شيء، وهذه الإحاطة التي يحيط الأشياء بها هي إحاطة تامة للظاهر والباطن على حد سواء، وهذا المعنى ورد في أقوال أمير المؤمنين عليه السلام في أكثر من خطبة كما في قوله عليه السلام:

«ليس فى الأشياء بواج ولا عنها بخارج»(1).

ولنزهته تعالى عن الحدود والحلول والعجز نجد سيد الموحدين عليه السلام يصفه فى خطبة أخرى فىقول:

«لم يحلل فى الأشياء فىقال هو فيها كائن، ولم ينا عنها فىقال هو منها بائن»(2).

ولكى لا يفسر قربه وبُعدته تعالى تفسيراً مادياً بوجب التشبيه فىقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«لم يقرب من الأشياء بالتصاق، ولم يبعد عنها بافتراق»(3).

وهكذا ديدن أهل البيت عليهم السلام فى وصفهم لخالقهم وربهم ومعبودهم، لا يختلف أمير المؤمنين عليه السلام مع ولده الإمام الحسين عليه السلام ولا الإمام الحسين مع ذريته الأئمة المعصومين عليهم السلام فى وصفهم لله تعالى وتنزيهه وتسبيحه عما لا يليق بكماله سبحانه، ومن ضمن هذه الروايات:

عن أحمد بن محمد بن خالد البرقى، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن زرارة بن أعين قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام فىقول:

«إنَّ الله خلّو من خلّقه وخلّقه خلّو منه، وكل ما وقع عليه اسم شىء ما خلا الله فهو مخلوق والله خالق كل شىء، تبارك الذى:

(فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (4) (5).

1- نهج البلاغة: الخطبة 185.

2- نهج البلاغة: الخطبة 64.

3- نهج البلاغة: الخطبة 162.

4- سورة الشورى، الآية: 11.

5- أصول الكافى: ج 1، ص 48 \_\_ 49، ح 4.

عن علي بن إبراهيم عن أبيه، عن أبي عمير عن علي بن عطية عن ثبثة (عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إِنَّ اللَّهَ خَلُوَ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلَقَهُ خَلُوَ مِنْهُ، وَكُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ تَعَالَى فَهُوَ مَخْلُوقٌ وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» (1).

\_\_\_ وقوله عليه السلام:

(لَيْسَ بِقَادِرٍ مَنْ قَارَنَهُ ضِدُّهُ أَوْ سَاوَاهُ نِدًّا).

أشار الإمام عليه السلام إلى حدود قدرة من له ضد، إذ إن كل ضدين يدفع أحدهما الآخر لتساوي قدرتهما ومحدوديتهما إزاء بعضهما البعض، ولذا لا يعد قادراً حقيقاً من اتصف بالعجز أمام من هو ضده أو نده، وحيث إن الله تعالى قادر مطلق لا يعجزه شيء بل هو على كل شيء قدير لزم من هذا أن لا ضد ولا ند له.

\_\_\_ وقوله عليه السلام:

(لَيْسَ عَنِ الدَّهْرِ قِدْمُهُ وَلَا بِالنَّاحِيَةِ أُمَّهُ، احْتَجَبَ عَنِ العُقُولِ كَمَا احْتَجَبَ عَنِ الأَبْصَارِ، وَعَمَّنْ فِي السَّمَاءِ احْتِجَابُهُ كَمَنْ فِي الأَرْضِ، قُرْبُهُ كَرَامَتُهُ وَبُعْدُهُ إِهَانَتُهُ، لَا تُحَلَّةُ (فِي) وَلَا تُوقَّتُهُ (إِذ) وَلَا تُؤَامِرُهُ (إِنْ)، عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ، وَمَجِيبُهُ مِنْ غَيْرِ تَنْقُلٍ، يُوجِدُ المَفْقُودَ وَيُقْقِدُ المَوْجُودَ، وَلَا تَجْتَمِعُ لِغَيْرِهِ الصِّفَتَانِ فِي وَقْتٍ).

في هذا المقطع الشريف يشير الإمام الحسين عليه السلام إلى مجموعة أبحاث عقائدية تتعرض لها باختصار:

قوله عليه السلام (لَيْسَ عَنِ الدَّهْرِ قِدْمُهُ وَلَا بِالنَّاحِيَةِ أُمَّهُ).

يشير الإمام عليه السلام إلى صفة من صفات الله تعالى ألا وهي أزليته وقدمه، فلقد أجمع أهل الإيمان والعلم على نزاهة الله تعالى عن الزمان واتسامه فلا يصح

توصيفه بالماضى أو الحاضر أو المستقبل لأنه هو خالق الزمان بل هو محيط بالزمان، فلذا لا يجوز تفسير قدمه بمعنى وجود فى الماضى وإنما يفسر قدمه تعالى بأنه وجود غير مسبوق بعدم لأنه واجب الوجود، وكذلك فهو تعالى منزه عن المكان والجهة لأنه هو خالق المكان والنواحى والجهات بل هو محيط بالمكان وجهاته.

وهكذا، وبناء على ما تقدم يظهر أن الصورة أو المفهوم الذى يحصل فى ذهن الإنسان عن الله تعالى ليس إلا وهم مخالف للحقيقة.

**الخطبة الثانية: وفيها يوصى بتقوى الله، وينذر من عقابه**

**إشارة**



## نص الخطبة

## إشارة

«أوصيكم بتقوى الله، وأحذركم أيامه، وأرفع لكم أعلامه، فكأن المَخوف قد أفدَ بمَهولٍ وُروده، ونكيرٍ حُلولة، وبشعٍ مَذاقه، فأعتلق مُهَجَكُم (1)، وحالَ بَيْنَ العَمَلِ وبيْنَكُم، فبادروا بِصِحَّةِ الأَجْسَامِ فِي مَدَّةِ الأَعْمَارِ، كَأَنَّكُم بِبَغَاتٍ طَوَارِقِهِ (2) فَتَنُقَلُّكُم مِّنْ ظَهْرِ الأَرْضِ إِلَى بَطْنِهَا، وَمِنْ عُلُوِّهَا إِلَى سَفْلِهَا، وَمِنْ أُنْسِهَا إِلَى وَحْشَتِهَا، مِّنْ رَّوْحِهَا وَضَوْنِهَا إِلَى ظُلْمَتِهَا، وَمِنْ سَعَتِهَا إِلَى ضَيْقِهَا، حَيْثُ لَا يَزَارُ حَمِيمٌ وَلَا يُعَادُ سَقِيمٌ وَلَا يُجَابُ صَرِيحٌ، أَعَانَنَا اللهُ وَإِيَّاكُم عَلَى أَهْوَالِ ذَلِكَ اليَوْمِ، وَنَجَانَا وَإِيَّاكُم مِّنْ عِقَابِهِ، وَأَوْجَبَ لَنَا وَلَكُم الْجَزِيلَ مِّنْ ثَوَابِهِ.

عِبَادَ اللهِ فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ قَصْرَ مَرْمَاكُم وَمَدَى مَظْعِنِكُمْ (3) كَانَ حَسْبُ العَامِلِ شُغْلًا يَسْتَفْرِغُ عَلَيْهِ أَحْزَانَهُ، وَيَذْهَلُ عَنْ دُنْيَاهُ، وَيُكْثِرُ نَصَبَهُ لِطَلَبِ الخَلَاصِ مِنْهُ، فَكَيْفَ وَهُوَ بَعْدَ ذَلِكَ مُرْتَهِنٌ بِاكتِسَابِهِ، مُسْتَوْقِفٌ عَلَى حِسَابِهِ، لَا وَزِيرَ لَهُ يَمْنَعُهُ وَلَا ظَهِيرَ عَنْهُ يَدْفَعُهُ، وَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمْنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا، قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ.

1- أفد: دنا وقرب. والمهول: المخيف. بشع: صار طعمه كريها. واعتلقه وبه: أحبه حبا شديدا. والمهجج: جمع مهجة: دم القلب والمراد نفس القلب.

2- البغات: جمع بغة أى فجأة.

3- الجزيل: الكثير العظيم من كل شيء. والقصر: الغاية. والمرمى: ما ترمى إليه السهام. والمدى: المسافة والغاية. والمظعن: المسير.

أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّ مِنْ لِمَنِ اتَّقَاهُ أَنْ يُحَوِّلَهُ عَمَّا يَكْرَهُ إِلَى مَا يُحِبُّ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَخَافُ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَيَأْمَنُ الْعُقُوبَةَ مِنْ ذَنْبِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُحْدِثُ عَنْ جَنَّتِهِ وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

### المعنى العام

(أوصيكم بتقوى الله، وأحذركم إيامه، وأرفع لكم أعلامه، فكأن المخوف قد أهدى بمهول وروده، ونكير حلولة، وبشع مذاقه، فاعتلق مهجكم، وحال بين العمل وبينكم).

أطلب منكم الالتزام بالخشية والخوف من الله تعالى، وأخوفكم وأطلب منكم التحرز من أيام الله تعالى التي تحدث عنها في القرآن الكريم (يوم كآف سنة... الخ) (يوم التلاق...) وارفع لكم ما تهتدون به من هدى الله تعالى، فكأن الأمر الذي تخشونه قد دنا وقرب إليكم بفرع ورعب وروده، وصعوبة نزوله، وكرهه طعمه، فتعلق بقلوبكم تعلقاً شديداً، وصار مانعاً بينكم وبين العمل.

(فبادروا بصحة الأجسام في مدة الأعمار، كأنكم ببغات طوارقه فتتقلكم من ظهر الأرض إلى بطنها، ومن علوها إلى سفليها، ومن أنسها إلى وحشتها، من روحها وضوئها إلى ظلمتها، ومن سعتها إلى ضيقها).

أسرعوا وعجلوا إلى اغتنام الصحة قبل السقم في طاعة الله تعالى، وأنتم على وشك أن تفاجنكم الدواهي التي تأتي ليلاً فتحولكم من على سطح الأرض إلى جوفها وباطنها، ومن ارتفاعها إلى أدنى نقطة فيها، ومن ما هو لطيف ومسر للنفس إلى ما هو ضد ذلك من النفور والكدورة، ومن الراحة والسعة وطيبة العيش إلى ذهاب نورها



وشدتها، ومن رحابتها ويسارها إلى شدتها.

(حيث لا يزارُ حميمٌ ولا يُعادُ سقيمٌ ولا يُجابُ صريحٌ).

يشير الإمام على عليه السلام إلى أن هذا المكان لا يحصل فيه اللقاء بين الأحبة ولا يفحص المريض ولا يطمئن على صحة ولا يغاث لمستغيث.

(أعانتنا الله وإياكم على أهوال ذلك اليوم، ونجاننا وإياكم من عقابه، وأوجب لنا ولكم الجزيل من ثوابه).

ساعدنا الله تعالى وإياكم على رعب وخوف ذلك اليوم الذى هو يوم القيامة، وخلصنا الله وإياكم من أذاه وآلامه، وجعل لنا ولكم الكثير العظيم من العطاء وحسن الجزاء.

(عباد الله فلو كان ذلك قصداً مرمأكم ومدى مظعنكم كان حسب العامل شغلاً يستفرغ عليه أحزانه، ويذهله عن دنياه، ويكثر نضبه لطلب الخلاص منه، فكيف وهو بعد ذلك مرتين باكتسابه، مستوقف على حسابه، لا وزير له يمنعه ولا ظهير عنه يدفعه، ويؤمئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، قل انتظروا إنا منتظرون).

يوجه الإمام عليه السلام نداءه إلى من هو مؤمن عابد لربه فيقول لو كان ذلك الأمر الذى سبق بيانه هو غاية هدفكم ومسافة وغاية مسيركم كان كافياً ليشغل العامل منكم فى طاعة الله تعالى وكافياً لصب تمام غمه وهمه عليه، وكافياً ليشغله ويغفله عن زيارج الدنيا وزخارفها، ويكثر تعبها لنيل النجاة من أهوال ذلك اليوم، فكيف لا يذهل ويهتم بذلك اليوم الذى سيكون فيه حيث لا معين فيعينه ولا حامل لتقله أحد، ولا دافع عنه البلاء، وفى هذا اليوم لا يفيد نفس إيمانها وهى لم تكن مؤمنة فى الدنيا وغير عاملة فى طاعة ربها، فقل ترقبوا ونحن معكم نرقب.

(أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ضَمِنَ لِمَنْ اتَّقَاهُ أَنْ يُحَوِّلَهُ عَمَّا يَكْرَهُ إِلَى مَا يُحِبُّ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَخَافُ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَيَأْمَنُ الْعُقُوبَةَ مِنْ ذَنْبِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُخَدِّعُ عَنْ جَنَّتِهِ وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ).

تقدم فى بداية الخطبة بيان قوله أوصيكم بتقوى الله، ويشير الإمام الحسين بن على عليهما السلام إلى أن الله تعالى تكفل لكل من يخافه ويخشاه أن ينقله عنما لا يريد وينفر منه إلى ما يرغبه ويحبه ثم يأتى برزقه من غير الأسباب التى سعى فيها ومن حيث لا يحتمل، ثم يرشد الإمام عليه السلام أن تكون من الناس الذين يخشون على مصر غيرهم بسبب ذنوبهم ولا يخافون على مصايرهم وهم فى اطمئنان من نزول العقوبة عليهم مع وقوع الذنب منهم، ويقول الإمام عليه السلام إن الله تبارك وتعالى لا تخفى عليه الحيل ولا يستطيع أحد أن يمكر فيظهر مرة ويخفى مرة أخرى لينال جنة الله تعالى فإن ذلك لا ينال إلا بالطاعة الخالصة.

## بحث أخلاقى

### التقوى ميزان القرب الإلهى

كل ما يخرج من فم العصمة والطهارة لابد أن يكون مهما ومعصوما ولا يخالف العقل أو الشرع، ومما أكد عليه الإمام السبط عليه السلام فى خطبته الثانية هو التمسك بهذا الأمر المهم الذى يعد ميزانا لقرب العبد من مولاه وعلامة على أفضليته على غيره ممن لم يتحلى به ألا وهو (التقوى).

التقوى لغة: هو الحذر الخوف والتجنب.

الخشية والخوف وتقوى الله: خشية وامثال أوامره واجتناب نواهيه(1).

التقوى اصطلاحاً: هو الامتثال لأمر الله تعالى والانتهاز عن نهيه خوفاً منه وتجنباً لغضبه وعقوبته.

لهذه الصفة دلالات تدل على من يتصف بها، كما أن لها آثاراً عظيمة تنعكس على نفس صاحبها انعكاساً هو بأمر الحاجة إليه في الدنيا والآخرة فلذا نجد أن الإمام الحسين عليه السلام يقتفى أثر العدل الأكبر (القرآن الكريم) في الحرص على الوصية بهذه الصفة المهمة، ولكي نقف على ما جاء في الكتاب الكريم ونطلع على لطف المولى جل وعلا بعباده لا بد لنا من التأمل في قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾(2).

وما كان هذا الأمر الإلهي بالتقوى إلا لكي ينتفع العبد بآثارها ويكسب السند المنيع والملجأ الحصين وينال البركات في الدنيا والرضا والشكر الإلهي في الآخرة.

فإن التقوى هي خير الوصايا وأفضل العواقب كما ورد ذلك على لسان إمام المتقين عليه السلام بقوله:

«أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّهَا خَيْرٌ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ»(3).

1- المعجم الوسيط: ص1052.

2- سورة النساء، الآية: 131.

3- ميزان الحكمة: ج11، ص4810، ح22346.

ولأهمية الوصية بالتقوى حرص أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته الكرام عليهم السلام على افتتاح خطبهم وكتبهم ورسائلهم بالوصية بالتقوى وهذا ما تؤكدُه النصوص الآتية:

1\_\_ قال عليه السلام:

«أوصيكم عبادَ اللهِ بتقوى اللهِ الذي ضربَ الأمثالَ، ووقَّتَ لكم الآجالَ» (1).

2\_\_ قال عليه السلام:

«أوصيكَ بتقوى اللهِ \_\_ أَى بُنَى \_\_ ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره» (2).

3\_\_ قال عليه السلام:

«أوصيكم عبادَ اللهِ بتقوى اللهِ الذي ألبسكم الرِّيشَ، وأسبغَ عليكم المعاشَ» (3).

4\_\_ عنه عليه السلام:

«أوصيكم عبادَ اللهِ بتقوى اللهِ، وأحذركم أهلَ النِّفاقِ» (4).

5\_\_ عنه عليه السلام:

«أوصيكم عبادَ اللهِ بتقوى اللهِ، وأحذركم الدنيا» (5).

وهناك المزيد من هذه الوصايا تركناها للاختصار.

1- ميزان الحكمة: ج 11، ص 4810، ح 22347.

2- نهج البلاغة: الخطبة 31. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4811، ح 22349.

3- نهج البلاغة: الخطبة 182. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4811، ح 22350.

4- نهج البلاغة: الخطبة 194. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4811، ح 22351.

5- نهج البلاغة: الخطبة 196. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4811، ح 22353.

## آثار التقوى فى الدنيا

نذكر هذه الآثار وفق هذا التبويب لتسهيل حفظها من قبل القارئ، فلذا تجنبنا شرحها ولكى لا ندخل فى الإسهاب والإطالة وإلا فإن لكل أثر من آثارها شرحاً طويلاً يحتاج إلى صفحات كثيرة.

1\_\_ إنها تورث البركة كما فى قوله تعالى:

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (1).

2\_\_ إنها تورث الفلاح كما فى قوله تعالى:

(ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (2).

3\_\_ إنها تشبه بأخلاق الأنبياء كما ورد فى قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«عليك بالتقى؛ فإنه خلق الأنبياء» (3).

4\_\_ إنها تورث خير الدنيا والآخرة كما ورد فى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ رُزِقَ تَقِيًّا فَقَدْ رُزِقَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (4).

1- سورة الأعراف، الآية: 96.

2- سورة البقرة، الآيات: 2 \_\_ 5.

3- غرر الحكم: 6086. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4808، ح 22331.

4- كنز العمال: 5641. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4808، ح 22332.

5\_ إنها سبب في دفع الهلاك وحفظ ما يزرع العبد من زرع معنوي أو مادي، كما ورد في قوله عليه السلام:

«لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخُ أَصْلِ، وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ» (1).

6\_ إنها سبب في نجات الهاربين من الظلم، وسبب في نيل المطالب، وسبب في النصر على الأعداء الظالمين كما أنها حرز وعز لمن يتحلى بها وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«إِنَّ التَّقْوَى أَفْضَلُ كَنْزٍ، وَأَحْرَزُ حِرْزٍ، وَأَعَزُّ عِزٍّ، فِيهِ نَجَاةٌ كُلُّ هَارِبٍ، وَدَرْكٌ كُلُّ طَالِبٍ، وَظَفَرٌ كُلُّ غَالِبٍ» (2).

7\_ إنها سلامة من الخسارة والتلف وهذا ما أشار إليه الإمام أبو جعفر عليه السلام لسعد الخير:

«أَوْصِيكَ بِتَوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ فِيهَا السَّلَامَةَ مِنَ التَّلْفِ وَالْغَنِيمَةَ فِي الْمُنْقَلَبِ» (3).

8\_ إنها حرز وصيانة من إغواء الفجار وقوة لحفظ النفس أمام إغراء الشهوات واللذات، وحرز من الضلال ولذا قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ مَنْ فَارَقَ التَّقْوَى أُغْرِيَ بِاللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَوَقَعَ فِي تِيهِ السَّيِّئَاتِ، وَلَزِمَهُ كَبِيرُ التَّبَعَاتِ» (4).

9\_ إنها تدفع وساوس الشيطان وتفتح البصيرة والبصر كما في قوله تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ» (5).

1- نهج البلاغة: الخطبة 16. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4809، ح 22336.

2- بحار الأنوار: ج 77، ص 374، ح 36. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4809، ح 22338.

3- الكافي: ج 8، ص 52، ح 16. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4809، ح 22339.

4- غرر الحكم: 3625. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4809، ح 22342.

5- سورة الأعراف، الآية: 201.

10\_\_ إنها تكسب صاحبها الشرف كما فى قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«التَّقْوَى ظَاهِرُهُ شَرَفُ الدُّنْيَا، وَبَاطِنُهُ شَرَفُ الآخِرَةِ»(1).

11\_\_ إنها توجب الغنى والعز والآنس كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام:

«مَا تَقَلَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا مِنْ ذُلِّ المَعَاصَى إِلَى عِزِّ التَّقْوَى إِلَّا أَغْنَاهُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ، وَأَعَزَّهُ مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ، وَأَنَسَهُ مِنْ غَيْرِ بَشَرٍ»(2).

12\_\_ إنها شفاء لأمراض القلوب والأجساد معاً، ونور للعقول، وطهارة للنفوس، وهذا ما أرشد إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءٌ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وَبِصَرِّ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ، وَشِفَاءٌ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وَصَلَاةٌ لِفَسَادِ صُدُورِكُمْ، وَطَهْرٌ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وَجَلَاءٌ عَشَا أَبْصَارِكُمْ، وَأَمْنٌ فِرْعَ جَائِحِكُمْ، وَضِيَاءٌ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ»(3).

13\_\_ هى خلاص من المآزق والشدائد، وهى سبب فى تحصيل الأرزاق من حيث لا نحتسب كما فى قوله تعالى:

(وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا)(4).

14\_\_ هى نجات من الفتن وخلاص من الحيرة كما ورد عن إمام المتقين أمير المؤمنين على عليه السلام:

«اعْلَمُوا أَنَّهُ (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) مِنَ الْفِتَنِ، وَنُورًا مِنَ الظُّلْمِ»(5).

1- غرر الحكم: 1990. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4818، ح 22405.

2- بحار الأنوار: ج 70، ص 282، ح 1. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4818، ح 22409.

3- غرر الحكم: 5154. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4819، ح 22411.

4- سورة الطلاق، الآية: 3.

5- نهج البلاغة: الخطبة 183. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4823، ح 22436.

15\_\_ هي سبب في كشف الهموم كما ورد عن إمام المتقين أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«مَنْ اتَّقَى اللَّهَ سَبَحَانَهُ جَعَلَ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجًا، وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا»(1).

### آثار التقوى في الآخرة

لاشك في أن للتقوى آثاراً عظيمة لا يستغنى عنها عباد الله تعالى بشيء سواها ومن هذه الآثار:

1\_\_ إنها توجب شكر المولى عز وجل لعبده في آخرته كما في قوله تعالى:

«وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»(2).

2\_\_ إنها توجب رحمة المولى عز وجل بعبده كما في قوله تعالى:

«أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ»(3).

3\_\_ إنها توجب الفوز في الآخرة، كما قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«التَّقْوَى غَايَةٌ لَا يَهْلِكُ مَنْ اتَّبَعَهَا، وَلَا يَنْدَمُ مَنْ عَمِلَ بِهَا؛ لِأَنَّ بِالتَّقْوَى فَازَ الْفَائِزُونَ، وَبِالْمَعْصِيَةِ خَسِرَ الْخَاسِرُونَ»(4).

4\_\_ إنها توجب تقربك من الله تعالى وتحفظك من العذاب، حيث قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

1- غرر الحكم: 8847. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4822، ح 22431.

2- سورة آل عمران، الآية: 123.

3- سورة الأعراف، الآية: 63.

4- كنز العمال: 44216. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4809، ح 22340.



«التَّقْوَى آكَدُ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ إِنْ أَخَذْتَ بِهِ، وَجُنَّةٌ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» (1).

5\_ إنها سبب في قبول الأعمال كما في قوله تعالى:

(وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (2).

6\_ إنها تسدد العبد في دنياه فيكون من الفائزين في أخراه، وهي كنز مذخور ليوم الفقر والفاقة، يوم القيامة كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ» (3).

7\_ إنها توجب التنعم في الجنان والأنهار بل هي سبب في قرب العبد من ربه كما في قوله تعالى:

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ) (4).

### التقوى ضرورة لا بد منها

إذا لم يتلبس الإنسان بالتقوى صار إنساناً ميتاً بحسب الباطن والمعنى، وإذا سلب الإنسان وصف الحياة خرج عن عنوان الإنسانية، فيصبح مخلوقاً مسخاً ينافس الوحوش والأنعام في صفاتها، فيغدو لا يهيمه إلا ما يهيم البهائم من طعام وشراب وتناسل بل قد يصل إلى أسوأ من ذلك فتتحول وداعته وأفته إلى غلظة ووحشية يفوق بها وحشية الوحوش الأخرى.

أمّا عدم إمكان وصف فاقد التقوى بالحي لقول أمير المؤمنين عليه السلام:

1- غرر الحكم: 2079. ميزان الحكمة: ج11، ص4819، ح22414.

2- سورة المائدة، الآية: 27.

3- نهج البلاغة: الخطبة 230. ميزان الحكمة: ج11، ص4815، ح22386.

4- سورة القمر، الآيتان: 54 و55.

«لا حياة إلا بالدين، ولا موت إلا بوجود اليقين»(1).

وأما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيصريح بأن بعض الناس تراهم إحياء بحسب الظاهر والمادة إلا أنهم أموات كما في قوله عليه السلام:

«ليس من مات واستراح بميت، إنما الميت ميت الأحياء»(2).

وهناك من اتصف بصفة الكذب التي تجانب التقوى فصار ميتا بنظر الإمام على عليه السلام وهذا ما جاء في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الكذاب والميت سواء، فإن فضيلة الحي على الميت الثقة به، فإذا لم يوثق بكلامه فقد بطلت حياته»(3).

أما كون الإنسان الذي سلب الحياة بسبب تركه للتقوى ليس بإنسان بل هو حيوان في باطنه لقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتجه ولا باب العمى فيصد عنه وذلك ميت الأحياء»(4).

وأما انقلابه إلى بهيمة همها علفها وشرابها وتناسلها بل تحوله إلى وحش كاسر يفوق الوحوش البرية يرشد إليه قوله تعالى:

(أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا)(5).

1- ميزان الحكمة: ج11، ص922.

2- بحار الأنوار: ج79، ص175، ح13.

3- شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني: ج1، ص184.

4- ميزان الحكمة، ج3، ص2082، ح2867.

5- سورة الفرقان، الآية: 44.

ولكى لا يصل الإنسان العاقل إلى هذه المرتبة الخسيسة ولكى يعيش حياة حقيقية ويبقى محافظاً على خلقته وصفته الإنسانية لا بد له من التلبس بالتقوى التى هى الإيمان القلبي والعمل الصالح الذى هو روح الدين الحنيف.

وبعد التأمل فى آثار التقوى دنيويا وأخرويا أصبحت التقوى ضرورة لا غنى عنها بل هى الحياة والسعادة والنجاة والشفاء والفلاح والحصانة والحرز والغنى والعز والشرف والأنس، وأخرويا هى الشكر والرحمة والقرب الإلهى وهى الفوز والكنز المذخور ليوم القيامة.

## رفع التوهم

### إشارة

عندما يعمل العبد عملاً صحيحاً من حيث المقدمات والأجزاء والشروط الفقهية يقع فى توهم أن هذا العمل سيقربه من الله تعالى ويغفل عن الشرط الذى يجعل العمل مقبولاً ومقرباً من الله تعالى، ولذا نجد أن القرآن الكريم يبين بوضوح هذه الصورة فى قوله تعالى:

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (1).

فالله تعالى لا يقبل العمل إلا من المتقى الذى لا يهمله تمام العمل وصحته فحسب بل الذى يهمله قبول العمل ولذا أكد النبى صلى الله عليه وآله وسلم هذا المعنى فى وصيته لأبى ذر:

«يا أبا ذرٍّ، كُنْ لِلْعَمَلِ بِالتَّقْوَى أَشَدَّ اهْتِمَاماً مِنْكَ بِالْعَمَلِ» (2).

1- سورة المائدة، الآية: 27.

2- كنز العمال: 8501. ميزان الحكمة: ج11، ص4820، ح22418.

وصرح أمير المؤمنين عليه السلام أن صفتي التقى والإخلاص سر قبول الأعمال بقوله:

«صِفَتَانِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ الْأَعْمَالَ إِلَّا بِهِمَا: التَّقَى وَالْإِخْلَاصُ» (1).

وهناك دور آخر للتقوى ألا وهو حفظ العمل الصالح من النقصان أو الزوال وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله:

«جِدُّوْ وَاجْتَهِدُوا، وَإِنْ لَمْ تَعْمَلُوا فَلَا- تَعْصُوا؛ فَإِنَّ مَنْ يَبْنِي وَلَا يَهْدِمُ يَرْتَعِبُ بِنَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا، وَإِنَّ مَنْ يَبْنِي وَيَهْدِمُ يُوْشِكُ أَنْ لَا يَرْتَعِبَ بِنَاؤُهُ» (2).

بل ينظر للعمل القليل المقبول بأنه عمل كثير يرفع بناء العامل كما تقدم في الحديث، ويؤكد ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«لَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ تَقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَّقَبَلُ؟!» (3).

وبمعرفة هذه النكتة العلمية يرتفع التوهم الذي يحصل لكثير من المؤمنين لاسيما من يهمله قبول العمل ومن لا يعرف ذلك أو لا يهتم بقبول العمل فلا فائدة من عمله الصحيح وهذا ما رد به السيد الخوئي قدس سره الشريف على أحد السائلين عن الحج وقبوله

### مسألة: منزلة المتقين وصفاتهم

إن للمتقين منزلة عظيمة ورتبة عالية عند الله سبحانه وتعالى وكما أن لهم منزلة ورتبة شريفة عند أهل الدنيا، وبمجرد الوقوف على الآيات الكريمة التي وردت لبيان منزلتهم ومقامهم يغنيننا عن الشرح والإطالة وهي كما يلي:

1- غرر الحكم: 5887. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4821، ح 22422.

2- بحار الأنوار: ج 70، ص 286، ح 8. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4821، ح 22424.

3- الكافي: ج 2، ص 75، ح 5. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4820، ح 22421.

1\_ المتقى ولى لله تعالى كما فى قوله:

(وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (1).

(وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) (2).

2\_ الله تعالى ناصرهم وسندهم كما فى قوله تعالى:

(الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتِ قِصَّةٌ مِمَّا ضُرَّ مِنَ الْأَعْدَاءِ فَدَعَوْهُمُ إِلَى الْحُرْمَاتِ فَلَمَّا لَمَسُوا مَا وَعَدُوا عَلَيْهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ قَتَلُوا نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْوَنَاءَةَ وَلَقَدْ جَاءتْكُمْ رُسُلُ اللَّهِ بِالْحَقِّ أَنتُمْ كَانُوا مُرْتَابِينَ) (3).

3\_ المتقون محبوبون لله تعالى:

(بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (4).

4\_ حسن العاقبة للمتقين كما فى قوله تعالى:

(تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) (5).

(هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ) (6).

5\_ بأنهم سكان الجنة كما فى قوله تعالى:

1- سورة الأنفال، الآية: 34.

2- سورة الدخان، الآية: 19.

3- سورة البقرة، الآية: 194.

4- سورة آل عمران، الآية: 76.

5- سورة هود، الآية: 49.

6- سورة ص، الآية: 49.

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) (1).

(وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) (2).

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) (3).

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ) (4).

6\_ إنهم في مقام أمين كما في قوله تعالى:

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ) (5).

7\_ هم أهل الهدى كما في قوله تعالى:

(أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (6).

8\_ هم أهل القرآن كما في قوله تعالى:

(هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) (7).

9\_ هم الوارثون كما في قوله تعالى:

(قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (8).

1- سورة الحجر، الآية: 45.

2- سورة الشعراء، الآية: 90.

3- سورة الذاريات، الآية: 15.

4- سورة الطور، الآية: 17.

5- سورة الدخان، الآية: 51.

6- سورة الزمر، الآية: 57.

7- سورة آل عمران، الآية: 138.

8- سورة الأعراف، الآية: 128.

10\_\_ هم وفد الرحمن كما فى قوله تعالى:

(يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) (1).

11\_\_ هم أهل الصدق كما فى قوله تعالى:

(وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (2).

ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته المعصومين عليهم السلام وصف رائع للمتقين وبيان يأخذ شفاف القلوب وتوقظ به العقول وتقر به الأعين وتسرب به النفوس:

1\_\_ إن المتقين عباد ملكوا شهواتهم ولم يرزحوا تحت عبوديتها وعاشوا أحراراً فصارت لهم السيادة عليها وبذلوا أنفسهم وآثروا غيرهم عليها فجادوا ومن جاد ساد فلذا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«الْمُتَّقُونَ سَادَةٌ، وَالْفُقَهَاءُ قَادَةٌ، وَالْجُلُوسُ إِلَيْهِمْ عِبَادَةٌ» (3).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«الْمُتَّقُونَ سَادَةٌ، الْعُلَمَاءُ وَالْفُقَهَاءُ قَادَةٌ، أُخِذَ عَلَيْهِمْ أَدَاءُ مَوَائِقِ الْعِلْمِ وَالْجُلُوسُ إِلَيْهِمْ بَرَكَةٌ، وَالنَّظَرُ إِلَيْهِمْ نُورٌ» (4).

2\_\_ من أخلاق المتقين قناعتهم بما رزقهم الله تعالى فاستشعروا الغنى واتصفوا به، وتجنبوا أن يعيشوا حياة الباذخين يأسراف وترف فوق حد الضرورة، وعشرتهم مليئة بالفوائد والبركة والطهارة وهذا ما يؤكد الإمام الباقر عليه السلام:

1- سورة مريم، الآية: 85.

2- سورة الزمر، الآية: 33.

3- أمالى الطوسى: ص 225، ح 392. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4823، ح 22437.

4- كنز العمال: 5653. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4832، ح 22438.

«أَنَّ أَهْلَ التَّقْوَى هُمُ الْأَغْنِيَاءُ، أَغْنَاهُمُ الْقَلِيلُ مِنَ الدُّنْيَا، فَمَوَّوْتُهُمْ يَسِيرَةٌ، إِنَّ نَسِيَتَ الْخَيْرِ ذَكَرُوكَ، وَإِنْ عَمِلْتَ بِهِ أَعَانُوكَ، أَخْرُوا شَهَوَاتِهِمْ وَلَدَّاتِهِمْ حَلْفَهُمْ، وَقَدَّمُوا طَاعَةَ رَبِّهِمْ أَمَامَهُمْ، وَنَظَرُوا إِلَى سَبِيلِ الْخَيْرِ وَإِلَى وَايَةِ أَحِبَّاءِ اللَّهِ فَأَحْبَبُوهُمْ، وَتَوَلَّوْهُمْ وَاتَّبَعُوهُمْ» (1).

3\_\_ ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يصفهم بصفات يحبها أهل الأرض وأهل السماء ويطمئن إليهم كل من يعاشرهم لصدقهم وأمانتهم ووفائهم ولذا جاء عنه عليه السلام:

«كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِنَّ لِأَهْلِ التَّقْوَى عِلَامَاتٍ يُعْرَفُونَ بِهَا: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ... وَقَلَّةُ الْمُؤَاتَاةِ لِلنِّسَاءِ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَسَعَةُ الْحِلْمِ، وَاتِّبَاعُ الْعِلْمِ فِيمَا يُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (2).

4\_\_ لا تفارق التقوى الإخلاص فإذا اتصف أحد بها لا بد من الاتصاف به، كما لا يعيش الممتقى حياة الآملين بآمال الدنيا وأمنياتها فيؤخذ بطوى الأمل ويغفل عن الأجل، ومن صفاته النباهة والفظنة فلا تقوته فرصة خير إلا واغتنمها شعوراً منه بقرب الأجل فلذا ذكر الإمام الباقر عليه السلام ذلك بقوله:

«لِلْمُتَّقَى ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ، وَقِصْرُ الْأَمَلِ، وَاغْتِنَامُ الْمَهْلِ» (3).

5\_\_ وما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام من صفاتهم في خطبته التي ألقاها تلبية لرغبة أحد أصحابه الذي ألح عليه فيها وهي المشهورة باسم هذا الرجل وهو (همام) فيها الكثير من صفاتهم الرائعة ولذا نذكر بعض المقتطفات تجنباً للإطالة:

1- بحار الأنوار: ج 67، ص 166، ح 2. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4825، ح 22442.

2- الخصال: ص 483، ح 56. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4825، ح 22444.

3- غرر الحكم: 7370. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4825، ح 22445.



«فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمْ الصَّوَابُ، وَمَلَبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ، وَمَشِيهُمُ التَّوَاضُّعُ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ، وَلَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ (1) لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ؛ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ.

عَظَّمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصْغَرُ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهَمَّ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهَمَّ فِيهَا مُنْعَمُونَ، وَهَمَّ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهَمَّ فِيهَا مُعَذَّبُونَ، قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشِدْرُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ، صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مَرِيحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ، أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسْرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا.

فَمِنْ عِلْمَةٍ أَحَدِهِمْ أَنْكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْمًا فِي لَيْنٍ، وَإِيمَانًا فِي يَقِينٍ، وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ، وَعِلْمًا فِي حِلْمٍ، وَقَصْدًا فِي غِنَى، وَخُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ، وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ، وَطَلْبًا فِي حِلَالٍ، وَنَشَاطًا فِي هُدًى، وَتَحَرُّجًا عَنِ طَمَعٍ، يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمَسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ، يَبِيتُ حَذِرًا، وَيُصْبِحُ فَرِحًا؛ حَذِرًا لِمَا حَذَّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ» (2).

### الطرق الموصلة إلى التقوى

هذه الرتبة العالية الشريفة التي يطمع فيها كل العقلاء لن ينالها أحد إلا من خلال التمسك بمنهجية مرسومة من قبل الشارع المقدس ولذا نرى أن نبوب هذه الطرق لتسهيل معرفتها والأخذ بها:

1- ورد في نهج البلاغة: الذي كُتِبَ لَهُمْ.

2- ميزان الحكمة: ج 11، ص 4826 \_\_ 4827.

1\_\_ الالتزام بالاستقامة فى كل مفردات الحياة قولاً وعملاً والابتعاد عن الأفكار والطرق المنحرفة التى تتعد بصاحبها عن القرب الإلهى وعن رتبة المتقين وهذا ما نلمسه فى قوله تعالى:

(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (1).

2\_\_ التمسك بالدين الإسلامى الحنيف والتلبس بواجباته والانتهاى عن نواهيه فلذا ورد فى الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«التَّقْوَى ثَمَرَةُ الدِّينِ، وَأَمَارَةُ الْيَقِينِ» (2).

3\_\_ أن يصوم صوماً حقيقياً، ويتعد عن كل ما يفسد الصوم سواء كان على مستوى الجوارح أو الابتعاد عن المفطرات الفقهيّة وهذا ما تريده الآية الشريفة كما فى قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (3).

4\_\_ أن يحتاط العبد من الوقوع فى الشبهات فضلاً عن الحرام الصريح والباطل الواضح وهذا ما أرشدنا إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«إِنَّ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَا يُتَّقَى مِنْهُ خَوْفًا مِنَ الدُّخُولِ فِي الشُّبْهَةِ» (4).

1- سورة الأنعام، الآية: 153.

2- غرر الحكم: 1714. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4828، ح 22447.

3- سورة البقرة، الآية: 183.

4- تنبيه الخواطر: ج 2، ص 62. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4829، ح 22449.

5\_\_ لابد للعبد الذى يطمع أن يكون من المتقين أن يحاسب ويراقب نفسه ويتأكد من حلية ضرورياته، وهو الذى صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى وصيته لأبى ذر:

«يا أبا ذرٍّ، لا يكونُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحَاسَبَةِ الشَّرِيكِ لِشَرِيكِهِ، فَيَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ، وَمِنْ أَيْنَ مَشْرَبُهُ، وَمِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ؟ أَمِنْ حِلِّ ذَلِكَ، أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟»(1).

### ما يمنع التقوى

كما أن للتقوى وسائلًا يصل بها الإنسان إلى رتبة المتقين التى هى رتبة الأنبياء والأولياء والعباد الصالحين كذلك هناك ما يمنع الاتصاف بهذه الصفة وما يحول بين المرء وبين هذه الرتبة ونذكرها على النحو الآتى:

1\_\_ إذا انغمس الإنسان فى زخرف الدنيا وانبهز بزبرجدها يتعلق قلبه بها ويعشقها إلى درجة الوله، فيستولى عليه حب الدنيا فيغلق الباب بوجه التقوى فلا تستطيع الدخول إلى هذا القلب المغرور فضلاً عن الاستقرار فيه، وهذا يتضح من قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«حَرَامٌ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَوَلِّهِ بِالدُّنْيَا أَنْ تَسْكُنَهُ التَّقْوَى»(2).

2\_\_ لا ينسجم بل لا يصح أن يكون المتقى طامعاً بما فى أيدي الناس من حطام الدنيا وقذارتها، ولا يكون المتقى خالياً من الحياء فلذا قال الإمام العسكرى عليه السلام:

«مَنْ لَمْ يَتَّقِ وُجُوهَ النَّاسِ لَمْ يَتَّقِ اللَّهَ»(3).

1- كنز العمال: 8501. ميزان الحكمة: ج11، ص4829، ح22450.

2- غرر الحكم: 4904. ميزان الحكمة: ج11، ص4829، ح22453.

3- بحار الأنوار: ج78، ص377، ح3. ميزان الحكمة: ج11، ص4829، ح22454.

3\_\_ إذا أراد العبد أن يتصف بالتقوى وأن يلمس آثارها وفوائدها لا بد له من حفظ لسانه عما حرم الله تعالى، ولأهمية هذا الشرط نجد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقسم بالله تعالى فيقول:

«والله، ما أرى عبداً يتقى تقوى تنفعه حتى يحزن لسانه»(1).

4\_\_ هناك إحدى الصفات الذميمة التي لا تليق بالمؤمن، بل قد تبعده عن طاعة الله تعالى حذر منها الإمام المعصوم بقوله:

«ولا يستطيع أن يتقى الله من خاصم»(2).

### أُسْئَلَةُ مَهْمَةٌ

نعلم أن الصفات الحسنة والفضائل الكريمة لها درجات متفاوتة بحسب من يتصف بها، فلذا نجد أن من الناس من له رتبة المتقين إلا أنه لا يمكن أن يكون في رتبة إمام المتقين عليه السلام ولذا نرى من المهم أن نطرح هذه الأسئلة لكي نجيب عليها بأجوبة أهل بيت العصمة عليهم السلام.

السؤال: ما هو معنى قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(3).

فكيف نتقى الله حق تقاته؟

الجواب: ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ: أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَأَنْ يُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى»(4).

1- نهج البلاغة: الخطبة 176. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4830، ح 22455.

2- نهج البلاغة: الخطبة 298. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4830، ح 22456.

3- سورة آل عمران، الآية: 102.

4- الدر المنثور: ج 2، ص 282. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4830، ح 22457.

وقد أضاف الإمام الصادق عليه السلام على قول جده صلى الله عليه وآله وسلم (وَيُشْكِرُ فَلَا يَكْفُرُ).

ولكى نقف على نوع هذه التقوى نعرض هذه الأحاديث الشريفة لتبين لنا كيفيتها وهي كما روى عليه السلام:

«اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَدَّ غَلَ التَّمَكُّرِ قَلْبُهُ، وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ، وَأَسَهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ، وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِزَ يَوْمِهِ، وَظَلَفَ الرَّهْدُ شَهْوَاتِهِ» (1).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ تَقِيَّةً مَنْ شَغَلَ بِالْفِكْرِ قَلْبُهُ، وَأَوْجَفَ الذِّكْرَ بِلِسَانِهِ، وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ» (2).

السؤال: ما هو تفسير التقوى فى نظر أهل البيت عليهم السلام؟

الجواب:

التقوى أن تجتنب الحرام وتعصم نفسك من الوقوع فيه وهذا ظاهر فى قولهم عليهم السلام:

«التَّقْوَى اجْتِنَابٌ» (3).

«بِالتَّقْوَى قُرْنَتِ الْعِصْمَةُ» (4).

«التَّقْوَى أَنْ يَتَّقَى الْمَرْءُ كُلَّ مَا يُؤْتِمُهُ» (5).

1- نهج البلاغة: الخطبة 83. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4831، ح 22464.

2- غرر الحكم: 6600. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4831، ح 22467.

3- غرر الحكم: 188. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4831، ح 22468.

4- غرر الحكم: 4316. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4831، ح 22469.

5- غرر الحكم: 1871. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4832، ح 22471.

## بحث أخلاقي

### النصيحة علامة المحب

إذا أحب الإنسان غيره لا بد أن يكون ناصحاً معه أو له لكي يؤكد حبه له وإلا يلزم من خلاف ذلك عدم صدق المدعى، فلذا خاطب القرآن الكريم الناس بلسان أحد أنبياء الله تعالى بأنه من الناصحين لهم لما جاء لهم من رسالات الله تعالى التي تقودهم إلى كمالهم ومصلحتهم وهذا ما صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى:

(أَبْلُغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (1).

(أَبْلُغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) (2).

ولا بد لنا من الوقوف على معنى النصيحة لكي يتسنى لنا معرفة أهميتها فنقول:

النصيحة لغة: هي الخالص من العمل، ناصح مناصحة (نصح نفسه بالتوبة: أخلصها، نصح الشيء نصحاً: خالص).

النصيحة اصطلاحاً: أن تخلص الإرشاد من يستحقه.

ولكي لا يلتبس المعنى على البعض عندما يقرأ (نصح لله، النصيحة لله ولرسوله .... الخ) فنقول:

المراد هنا نصح معه: أي أخلص معه في طاعته واتباعه وامتناله وأمره والانتهاه عن نواهيه.

وأما النصيحة للمسلمين هي الإخلاص في الإرشاد أو في التعامل معهم.

فإذا وزنا سلوك الإنسان مع ربه ومع أخيه المؤمن نجد أن هذا الإخلاص في فعله

1- سورة الأعراف، الآية: 62.

2- سورة الأعراف، الآية: 68.

وقوله ما هو إلا دلالة على حبه لربه أو لأخيه، فمن كان محباً كان ناصحاً ومن كان ناصحاً كان محباً ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما أخلص المودّة من لم ينصح»<sup>(1)</sup>.

وإذا أراد الإنسان أن ينال محبة الطرف الآخر فما عليه إلا أن يكون ناصحاً له في كل ما تصح فيه النصيحة، وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«النصيحة تُثمرُ الوُدَّ»<sup>(2)</sup>.

### النصيحة لمن؟

بعد أن عرفنا النصيحة وعرفنا دلالاتها على المحبة، بل وتثمر المحبة أيضاً، صار لا بد من معرفة من له الحق علينا في النصيحة، وهذا ما سنقدمه في العرض الآتي:

1\_ النصيحة لله تعالى:

قلنا إن النصيحة لله تعالى هي الإخلاص له في الطاعة والانقياد، وإتيان ما يحب واجتناب ما يكره، وهذه النصيحة لا تعود على الله تعالى بالنفع والفائدة لغناه عن طاعة من أطاعه، إلا أننا نجد أن الله تعالى يؤكد على هذه النصيحة بل يجعلها من أحب العبادات إليه تعالى كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: أَحَبُّ ما تَعَبَّدَ لِي بِهِ عَبْدِي، النَّصْحُ لِي»<sup>(3)</sup>.

وما هذا التأكيد إلا لكي ينتفع العبد الناصح بذلك فإن دل على شيء فإنما يدل على لطف الله تعالى ورحمته بعباده.

1- مستدرک الوسائل، الميرزا النوری: ج12، ص433، ح14540. میزان الحکمة: ج10، ص4323، ح20137. غرر الحکم: ح9580.

2- غرر الحکم: 844. میزان الحکمة: ج10، ص4323، ح20143.

3- الترغيب والترهيب: ج2، ص577، ح16. میزان الحکمة: ج10، ص4322، ح20131.

2\_ النصيحة لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم:

ومعنى النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الالتزام بشريعته بعد الإيمان به والتصديق بما جاء به من عند الله العظيم، والحفاظ على دينه والدفاع عن بيضة هذا الدين، والمودة والمولاة لآله الطاهرين عليهم السلام والسير بهداهم، وهذا ما أشار إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ يَضْمَنْ لِي خَمْسًا أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ: النَّصِيحَةَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالنَّصِيحَةَ لِرَسُولِهِ، وَالنَّصِيحَةَ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَالنَّصِيحَةَ لِحِمَاةِ الْمُسْلِمِينَ»(1).

3\_ النصيحة لكتاب الله تعالى:

وهذا يتجسد في تلاوته والالتزام بأحكامه وعدم هجره تلاوة وعملا، والتدبر فيه والتبرك بالنظر إليه، وتطهير الألسن والنفوس بآياته وعبره وحكمه وأمثاله وقصصه.

وهذا أيضا ورد في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«وَالنَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِدِينِ اللَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِحِمَاةِ الْمُسْلِمِينَ»(2).

4\_ النصيحة للإمام بالحق:

التولى للإمام ولأوليائه والتبرى من أعدائه، والافتداء بهديه وسمته، والإقرار بحجته والدفاع عنه والاستشهاد بين يديه إذا استلزم الأمر ذلك هو عين النصيحة له، ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ لَا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَمْ يُصَبِّحْ وَيُمْسِ نَاصِحًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَإِلِمَامِهِ وَلِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ»(3).

1- مشكاة الأنوار: ص 310.

2- ميزان الحكمة: ج 10، ص 4322، ح 20135.

3- الترغيب والترهيب: ج 2، ص 577، ح 17. ميزان الحكمة: ج 10، ص 4322، ح 20132.



## 5\_ النصيحة لعامة المسلمين:

مؤازرتهم ومعاونتهم وإرشادهم ومعاشرتهم بالمعروف والاهتمام بأمرهم والدفاع عن مظلومهم هو ما أرشد إليه الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«والتَّصِيحَةُ لَجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ».

## فوائد

## إشارة

إذا وجدت في شخص بعض هذه الصفات التي سنذكرها الآن فخذ بنصيحته إذا قدمها إليك وهي:

ألف: إذا أراد أن يحكم بين طرفين لا يحكم إلا بالحق دون أن يتأثر بنسب أو مال أو رابطة معينة كالديانة أو المذهبية أو الوطنية.

باء: إذا كان لغيره عليه حق لا يتوانى في إعطائه من نفسه.

جيم: لا يرضى لنفسه شيئاً دون غيره ولا يرضى لغيره إلا ما يرضاه لنفسه.

دال: لا يبغى ولا يظلم ولا يتجاوز حدود الله تعالى.

هذه الصفات ذكرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«أَمَّا عَلَامَةُ النَّاصِحِ فَرَبْعَةٌ: يَقْضَى بِالْحَقِّ، وَيُعْطَى الْحَقَّ، وَيُعْطَى الْحَقَّ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَرْضَى لِلنَّاسِ مَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَعْتَدِي عَلَى أَحَدٍ»(1).

\_\_ لا تنتظر من البخيل اللئيم والحاسد البغيض نصيحة ولا تعاتبهم على ذلك لعدم فائدة العتاب معهم، فإن هذين الصنفين من الناس لا يحركهما إلا الطمع أو الخوف وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

1- تحف العقول: ص 20. ميزان الحكمة: ج 10، ص 4324، ح 20155.

«لَا يَنْصَحُ اللَّئِيمُ أَحَدًا إِلَّا عَنْ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ، فَإِذَا زَالَتِ الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ عَادَ إِلَى جَوْهَرِهِ» (1).

وأشار إلى الصنف الثاني (الحاسد) إمامنا الصادق عليه السلام بقوله:

«النَّصِيحَةُ مِنَ الْحَاسِدِ مُحَالٌ» (2).

\_\_ قد يتلبس بعض السعادة النمامين والمفرقين بين الناس بلباس الناصحين وهم أكثر الناس غشاً فأحذروهم وهذا هو معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه وعهده لمالك الأشتر رضی الله عنه فجاء:

«وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ» (3).

### \_\_ لا تنسى نفسك

تقدم الكلام أن النصيحة الحقبة التي لا- غش فيها ولا تلكأ ولا غاية فاسدة هي ما كانت لله تعالى ولرسوله ولكتابه وللإمام الحق ولعامة المسلمين، ولكي تصدر النصيحة من العبد لما ذكرنا لا بد أن يكون صاحب النصيحة ذا نفس مؤمنة مطيعة منقادة لله تعالى ولرسوله وهذا لا يتم إلا من رجل ينصح نفسه قبل غيره كما صرح بذلك أمير المؤمنين بقوله:

«مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ كَانَ جَدِيرًا بِنُصْحِ غَيْرِهِ، مَنْ غَشَّ نَفْسَهُ كَانَ أَغَشَّ لِغَيْرِهِ» (4).

ولكي يتضح هذا الترابط بين النصيحة وبين العبد المطيع لربه نذكر قول الإمام

1- غرر الحكم: ص 10910. ميزان الحكمة: ج 10، ص 4325، ح 20158.

2- بحار الأنوار: ج 78، ص 194، ح 9. ميزان الحكمة: ج 10، ص 4325، ح 20157.

3- نهج البلاغة: الكتاب 31. ميزان الحكمة: ج 10، ص 4325، ح 20161.

4- غرر الحكم: 9043، 9044. ميزان الحكمة: ج 10، ص 4325، ح 20165.

أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ أَنْصَحَهُمْ لِنَفْسِهِ، وَأَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ» (1).

فمن أراد أن يكون ناصحاً لنفسه لا بد أن يكون من المطيعين، فالمطيع هو الناصح الحقيقي والعاصي هو الغاش لنفسه كما ورد في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنْ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ» (2).

ومن كان ناصحاً لله تعالى ولرسوله ولنفسه رزقه الله تعالى القناعة والرضا بما ناله من هذه الدنيا الفانية، ورزقه في الآخرة برضوان ينجيه من عذابها ولذا ذكر الإمام الصادق عليه السلام قوله هذا:

«مَا نَصَحَ اللَّهُ عَبْدٌ مُسْلِمٌ فِي نَفْسِهِ، فَأَعْطَى الْحَقَّ مِنْهَا وَأَخَذَ الْحَقَّ لَهَا، إِلَّا أُعْطِيَ خَصَلَتَيْنِ: رِزْقاً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقْنَعُ بِهِ وَرِضَىً عَنِ اللَّهِ يُنْجِيهِ» (3).

### \_\_ أسئلة مهمة

السؤال: من هو الذى لا ينتفع بالنصيحة؟

الجواب: ذكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أصنافاً من الناس لا تهمهم النصيحة ولا ينتفعوا بها:

ألف: الفاسد الذى يلتذ بفضيحته ولا يهتم بما قيل فيه وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله:

«كَيْفَ يَنْتَفِعُ بِالنَّصِيحَةِ مَنْ يَلْتَذُّ بِالْفُضِيحَةِ» (4).

1- غرر الحكم: 3515. ميزان الحكمة: ج10، ص4325، ح20162.

2- نهج البلاغة: الخطبة 86. ميزان الحكمة: ج10، ص4325، ح20163.

3- الخصال: 46 \_\_ 47. ميزان الحكمة: ج10، ص4325 \_\_ 4326، ح20166.

4- غرر الحكم: 7008. ميزان الحكمة: ج10، ص4326، ح20169.

باء: من لا- عقد له سواء كان مجنوناً أو أحمقاً أو جاهلاً- جهلاً مركباً، فلذا قال الإمام السجاد عليه السلام عن الأحمق الذى لا يهتم بالنصيحة:

«إن تكلم فضحه حمقه، وإن سكت قصر به عيه، وإن عمل أفسد، وإن استرعى أضاع، لأعلمه من نفسه يغنيه، ولا علم غيره ينفعه، ولا يطيع ناصحه، ولا يستريح مقارنه، تود أمه أنها ثكلته، وامراته أنها فقدته، وجاره بعد داره، وجليسه الوحدة من مجالسته، إن كان أصغر من فى المجلس أعى من فوقه، وإن كان أكبرهم أفسد من دونه»(1).

وتكلم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يصف الجاهل بالجهل المركب الذى لا يقبل قولاً ولا موعظة ولا نصيحة فقال:

«إن الجاهل من عدّ نفسه بما جهل من معرفة العلم عالماً وبرأيه مكتفياً فما يزال من العلماء مباعداً وعليهم زارياً ولمن خالفه مخطئاً ولمن لم يعرف من الأمور مضللاً وإذا ورد عليه من الأمر ما لا يعرفه أنكره وكذب به وقال بجهالته: ما أعرف هذا، وما أراه كان، وما أظن أن يكون، وإنى كان، ولا أعرف ذلك لثقتة برأيه وقلة معرفته بجهالته»(2).

السؤال: ممن نأخذ النصيحة؟

الجواب: نصحننا الإمام عليه السلام أن نأخذها مما يلى:

ألف: إن أفضل ناصح وأكمل نصيحة هي نصيحة الله تعالى لعبده فلذا قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنِ اسْتَنصَحَ اللَّهَ وَفُقَّ»(3).

1- الأمالى للشيخ الطوسى: ص 614، ح 1268/4.

2- الآداب والأخلاق الإسلامى لعبد الله الهاشمى: ص 695.

3- نهج البلاغة: الخطبة 147. ميزان الحكمة: ج 10، ص 4326، ح 20172.

باء: وأن كتاب الله تعالى القرآن الكريم هو خير ناصح لا يغش ويظل وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«اتَّعَظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ، واقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ... واعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ... واستَنْصِرْ حَوْهَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، واتَّهَمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، واستَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ» (1).

جيم: هناك من يمتن علينا بمبادرة منه فيهب لنا نصيحته لتندبرها بعقولنا ثم نعمل بها بعد التأكد من صوابها وهذا ما أشار إليه مولى المتقين عليه السلام بقوله:

«اسْمَعُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاها إِلَيْكُمْ، واعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ» (2).

ورد أيضا عن أمير المؤمنين عليه السلام أن:

«لا تأخذ النصيحة ممن لا عقل له ولا أصل... الخ».

السؤال: ما هي آثار قبول النصيحة أو عدم قبولها؟

الجواب: ألف/ إن لقبول النصيحة آثارا جميلة أوردتها أمير المؤمنين عليه السلام بالأحاديث الآتية:

1\_ قال الإمام على عليه السلام:

«مَنْ نَصَحَكَ فَقَدْ أَنْجَدَكَ» (3).

2\_ وعنه عليه السلام:

«مَنْ قَبِلَ النَّصِيحَةَ مِنْ مَنِ الْفَضِيحَةَ» (4).

1- نهج البلاغة: الخطبة 176. ميزان الحكمة: ج10، ص4326، ح20171.

2- غرر الحكم: 2494. ميزان الحكمة: ج10، ص4327، ح20174.

3- غرر الحكم: 7767. ميزان الحكمة: ج10، ص4327، ح20181.

4- غرر الحكم: 8344. ميزان الحكمة: ج10، ص4327، ح20182.

3\_\_ وعنه عليه السلام:

«مِنَ أَكْبَرِ التَّوْفِيقِ الْأَخْذُ بِالنَّصِيحَةِ»(1).

4\_\_ وعنه عليه السلام:

«مَنْ أَقْبَلَ عَلَيَّ النَّصِيحَ أَعْرَضَ عَنِ الْقَبِيحِ، مَنْ اسْتَعَشَّ النَّصِيحَ غَشِيَتْهُ الْقَبِيحُ»(2).

### \_\_ وقفة وتأمل

لنتأمل في هذه الدرر التي فاض بها علينا سيد الأوصياء عليه السلام فنجده يؤكد على قبول نصيحة الناصح لما فيها من نجاة وخلاص من براثن الشيطان وعثرات النفس، ولما فيها من دفع للفضيحة بين الناس التي ستلحق الضرر الكبير بسمعتنا ومنزلتنا في الدنيا وتحجب عنا رضا ربنا ورضوانه في الآخرة.

باء/ ومن ترك التمسك بالنصيحة ظل وهوى، وأدخل السرور على أعدائه والحزن على أحبائه، فلذا قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ خَالَفَ النَّصِيحَ هَلَكَ»(3).

وعنه عليه السلام:

«مَنْ عَصَى نَصِيحَةَ نَصْرٍ ضِدَّةٌ»(4).

وعنه عليه السلام:

«مَنْ أَعْرَضَ عَنِ نَصِيحَةِ النَّاصِحِ أُحْرِقَ بِمَكِيدَةِ الْكَاشِحِ»(5).

1- غرر الحكم: 9305. ميزان الحكمة: ج10، ص4327، ح20183.

2- غرر الحكم: 8683. ميزان الحكمة: ج10، ص4327، ح20185.

3- غرر الحكم: 7743. ميزان الحكمة: ج10، ص4327، ح20179.

4- غرر الحكم: 8355. ميزان الحكمة: ج10، ص4327، ح20180.

5- غرر الحكم: 8697. ميزان الحكمة: ج10، ص4327، ح20186.

## الحياة البرزخية

بعد أن أوصى الإمام الحسين عليه السلام بالتقوى وحذر الناس من أيام الله تعالى نحا بخطبته على بيان نزول ريب المنون ومرارته واستيلائه على مهج القلوب ووقوفه حاجبا بين العمل وبين صاحبه فينقطع العبد عن الدنيا ليبدأ يومه الأول فى آخرته فيأخذ بقوانين النشأة الأخرى، وأدلى مراحل هذه النشأة هى الحياة البرزخية.

قبل أن نخوض فى تفاصيل هذه الحياة لابد لنا من معرفة البرزخ لغة واصطلاحاً.

البرزخ فى اللغة: الحاجز بين شيئين(1).

البرزخ فى الاصطلاح: جاء عن الجرجاني(2)، البرزخ: هو العالم المشهور بين عالم المعانى المجردة والأجسام المادية، وعرفه أهل البيت عليهم السلام بأنه أمر بين أمرين كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

ورد فى تفسير نور الثقلين عن على بن إبراهيم: البرزخُ هو أمرٌ بين أمرين، وهو الثَّوابُ والعِقَابُ بين الدُّنيا والآخِرة، وهو قولُ الصّادقِ عليه السلام:

«والله، ما أخافُ عليكم إلاّ البرزخ»(3).

وحده الإمام الصادق عليه السلام بكلام صريح بقوله:

«والله، أتخوِّفُ عليكم فى البرزخِ!

قلتُ: وما البرزخُ؟ فقال:

القَبْرُ، مُنْذُ حِينَ مَوْتِهِ إلى يومِ القيامةِ».

1- المعجم الوسيط: ص 49.

2- التعريفات للجرجانى: ص 31.

3- تفسير نور الثقلين: ج 3، ص 553، ح 120. ميزان الحكمة: ج 1، ص 336، ح 1681.

## أحوال البرزخ

تقدم الحديث أن البرزخ هو ما سيكون عليه العبد في القبر الذى يضمه منذ موته إلى حين نشوره وقيامته، فإذا نزل العبد فى ذلك المكان الموحش المظلم الضيق انقطع عن عالم الدنيا وما فيها من الأحبة والأموال والمناصب والعناوين الوقتية والجاه العريض، فيصرح دون أن يسمعه أحد، وينادى فلا يجيبه مجيب، فتبدأ أحوال القبر من ضمة القبر إذ إن القبر يضم صاحبه إذا كان عاصياً ضمة فتتلاقى أضلاعه كما ورد ذلك فى الروايات الشريفة فلقد جاء فى كتاب الأمالى للشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل له: إن سعد بن معاذ قد مات، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقام أصحابه معه.

فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب، فلما أن حنط وكفن وحمل على سريره تبعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا حذاء ولا رداء.

ثم كان يأخذ يمناً السرير مرة ويسرة السرير مرة حتى انتهى به إلى القبر، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى لحدده وسوى اللين عليه، وجعل يقول: ناولونى حجراً، ناولونى تراباً رطباً يسد به ما بين اللين.

فلما أن فرغ وحثا التراب عليه وسوى قبره، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني لأعلم أنه سيلى ويصل البلى إليه؛ ولكن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه، فلما أن سوى التربة عليه قالت أم سعد: يا سعد هنيئاً لك الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أم سعد! مه، لا تجزى على ربك، فإن سعداً قد أصابته ضمة.

قال: فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجع الناس؛ فقالوا له: يا رسول الله



لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد، إنك تبعت جنازته بلا رداء ولا حذاء، فقال صلى الله عليه وآله وسلم إن الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء فتأسيت بها.

فقالوا: وكنت تأخذ يمينة السرير مرة ويسرة السرير مرة، قال: كانت يدي في يد جبرئيل آخذ حيث يأخذ، قالوا: أمرت بغسله وصليت على جنازته ولحدته في قبره ثم قلت: إن سعداً قد أصابته ضمة! قال: فقال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم إنه كان في خلقه مع أهله سوء» (1).

فإن هذه الضمة التي تصيب الميت هي تطهير له لكي يخرج إلى القيامة نظيفاً من بعض الذنوب كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن علي عليه السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان من تضييع النعم» (2).

ثم يلي ضمة القبر سؤال منكر ونكير فيسألان العبد أسئلة عديدة فيكون بعدها إما فائزاً أو هو من الخاسرين نتيجة لأجوبته وهذا ما ذكره لنا صاحب الأمالي فقال:

عن موسى بن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال:

«إذا مات المؤمن شيعة سبعون ألف ملك إلى قبره، فإذا أدخل قبره أتاه منكر ونكير فيقعدانه ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله، ومحمد نبي، والإسلام ديني، فيفسحان له في قبره مد بصره، ويأتياه بالطعام من الجنة، ويدخلان عليه الروح والريحان، وذلك قوله عز وجل:

1- تسلية الفؤاد في بيان الموت والمعاد، السيد عبد الله شبر: ص 85 \_\_ 86.

2- تسلية الفؤاد لعبد الله شبر: ص 86.

(فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ) (1).

يعنى فى قبره.

(وَجَنَّةُ نَعِيمٍ) (2).

يعنى فى الآخرة.

ثم قال عليه السلام:

إذا مات الكافر شيعة سبعون ألفاً من الزبانية إلى قبره، وإنه ليناشد حامله بصوت يسمعه كل شيء إلا الثقلان ويقول: لو أن لى كرة فأكون من المؤمنين، ويقول: ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت، فتجيبه الزبانية: كلا إنها كلمة أنت قائلها، ويناديهم ملك: لورد لعاد لما نهى عنه، فإذا أدخل قبره وفارقه الناس أتاه منكر ونكير فى أهول صورة؛ فيقيمانه ثم يقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيتلهج لسانه ولا يقدر على الجواب، فيضربانه ضربة من عذاب الله يذعر لها كل شيء، ثم يقولان له:

من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان له: لا دريت ولا هديت ولا أفلحت، ثم يفتحان له باباً إلى النار وينزلان إليه الحميم من جهنم وذلك قول الله عز وجل:

(وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (92) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ) (3).

يعنى فى القبر.

(وَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ) (4).

1- سورة الواقعة، الآيتان: 88 و89.

2- سورة الواقعة، الآية: 89.

3- سورة الواقعة، الآيتان: 92 و93.

4- سورة الواقعة، الآية: 94.

يعنى فى الآخرة»(1).

هذه الحالة التى يمر فيها الميت هى مرحلة سابقة لمرحلة البرزخ، أى عندما يوَدَّع الإنسان هذه الدنيا وينتقل إلى عالم الآخرة يكون فى يومه الآخر من أيام الدنيا والأول من أيام الآخرة فيتجسم له ما كان مهتما به أشد الاهتمام ألا وهو المال والأولاد والعمل فعندها تحصل المحاوراة التى تزلزل القلوب وتدمع العيون ويطير لها اللب، وهذا ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام فى الكافى مسنداً عن سويد بن غفلة قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

«إن ابن آدم إذا كان فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة مثل له ماله وولده وعمله فيلتفت إلى ماله فيقول: والله إنى كنت عليك حريصاً شحيحاً فما لى عندك؟ فيقول: خذ منى كفنك.

قال: فيلتفت إلى ولده فيقول: والله إنى كنت لكم محبباً وإنى كنت عليكم محامياً فماذا لى عندكم؟ فيقولون: نؤديك إلى حفرتك نواريك فيها.

قال: فيلتفت إلى عمله فيقول: والله إنى كنت فيك لزاهداً وإن كنت على لتقيلاً فماذا لى عندك، فيقول: أنا قرينك فى قبرك ويوم نشرك حتى أعرض أنا وأنت على ربك.

قال: فإن كان لله ولياً أتاه أطيب الناس ريحاً وأحسنهم منظرأً وأحسنهم ريشاً، فقال: أبشر بروح وريحان وجنة نعيم ومقدمك خير مقدم، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عمك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنة وإنه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يعجله»(2).

1- أمالى الصدوق: ص 174. تسلية الفؤاد، لعبد الله شبر: ص 87 \_\_ 88.

2- الكافى: ج 3، ص 231. تسلية الفؤاد، عبد الله شبر: ص 89 \_\_ 90.

ففى هذه الرواية يكون العمل مجملا لصاحبه.

وهناك ما يدل على تجسم الأعمال تفصيلى، أى أن الصلاة تتجسم بصورة والصوم بصورة أخرى والزكاة بصورة ثالثة وهكذا فلذا ذكر فى المحاسن عن أبى بصير عن أحدهما عليهما السلام قال:

«إذا مات العبد المؤمن دخلت معه فى قبره ست صور، فهن صورة أحسنهن وجهاً، وأبهانهن هيئة، وأطيبهن ريحاً وأنظفهن صورة، قال: فتقف صورة عن يمينه وأخرى عن يساره وأخرى بين يديه وأخرى خلفه وأخرى عند رجله، وتقف التى هى أحسنهن فوق رأسه، فإن أتى عن يمينه منعتة التى عن يمينه، ثم كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الست، قال: فتقول أحسنهن صورة: من أنتم جزاكم الله عنى خيراً؟ فتقول التى عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التى عن يساره، أنا الزكاة، وتقول التى بين يديه: أنا الصيام وتقول التى خلفه: أنا الحج والعمرة، وتقول التى عند رجله: أنا بر من وصلت من إخوانك، ثم يقلن: من أنت، فأنت أحسننا وجهاً وأطيبنا ريحاً وأبهانا هيئة؟ فتقول: أنا الولاية لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين»(1).

عندما تقرأ الروايات التى تتحدث عن أحوال البرزخ تقف مذهولاً فهناك رواية تشير إلى أن المؤمن مهما بلغ إيمانه ودرجته لا بد له من ضمة القبر لمعصية لم يتب منها وهذا ما حصل لسعد بن معاذ كما جاء فى الرواية السابقة الذكر ففى هذه الرواية نجد أن سعداً شيعته الملائكة وعلى رأسهم جبرئيل عليه السلام وحمله سيد الكائنات صلى الله عليه وآله وسلم على عاتقه الشريف وتولى أمر تنزيله فى القبر ووضعته فى محلودة قبره وسوى عليه التراب بيده الشريفة إلا أنه لم ينبج من ضمة القبر بسبب غلظة مع أهله.

## أسئلة مهمة

السؤال: هل هناك من ينجو من ضغطة القبر؟

الجواب: ورد في الروايات أن الناجين من ضغطة القبر قليلون جداً وهذا ما أكده الإمام الصادق عليه السلام في الكافي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

أيفلت من ضغطة القبر أحد؟، قال، فقال عليه السلام:

«نعوذ بالله منها، ما أقل من يفلت من ضغطة القبر، إن رقية لما قتلها عثمان وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبرها، فرفع رأسه إل السماء فدمعت عيناه وقال للناس:

إني ذكرت هذه وما لقيت فرقت لها واستوهبتها من ضمة القبر، قال: فقال اللهم هب لي رقية من ضمة القبر؛ فوهبها الله له»(1).

وهم كالاتى:

ألف: من شفع فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أحد الأئمة عليهم السلام كما في تكملة الرواية السابقة فيقول:

إن رقية لما قتلها عثمان وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبرها، فرفع رأسه إلى السماء فدمعت عيناه وقال للناس:

إني ذكرت هذه وما لقيت فرقت لها واستوهبتها من ضمة القبر، قال: فقال اللهم هب لي رقية من ضمة القبر؛ فوهبها الله له»(2).

باء: من مات في وقت شريف من أيام الأسبوع وهو يوم الجمعة ينجو من هذه

1- الكافي: ج3، ص263. تسليمة الفؤاد، عبد الله شبر: ص94.

2- الكافي: ج3، ص263. تسليمة الفؤاد، عبد الله شبر: ص94 \_\_ 95.

الضغطة المخيفة كما في الرواية الآتية، في محاسن البرقى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«من مات يوم الجمعة كتب الله له براءة من ضغطة القبر»<sup>(1)</sup>.

بل في رواية أخرى هناك توسعة في الوقت مما أشارت إليه الرواية السابقة وهذا ما أشارت إليه الرواية:

«من مات ما بين زوال الشمس يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعة من المؤمنين أعاده الله من ضغطة القبر»<sup>(2)</sup>.

وفي رواية ثالثة أن ليلة الجمعة أو يومها دوراً كبيراً في رفع عذاب القبر كله بما فيه ضغطة القبر وهذا ما ذكره الإمام أبو جعفر عليه السلام بقوله:

«بلغنى أن النبى قال: من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة دفع عنه عذاب القبر»

جيم: وسنذكر بعض الأعمال التي تساعد على النجاة من ضغطة القبر وهي كما يلي:

(الأول: روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«مَنْ قرأ سورة النساء في كل جمعة أو من من ضغطة القبر»<sup>(3)</sup>.

الثاني: روى:

«مَنْ أذَمَّنَ قراءة (حم) الزخرف آمنه الله في قبره من هَوَامِّ الأرض وضغطة القبر»<sup>(4)</sup>.

الثالث: روى:

1- المحاسن: ص 58. تسليمة الفؤاد، عبد الله شبر: ص 91 \_\_ 92.

2- أمالي الصدوق: ص 169، تسليمة الفؤاد، عبد الله شبر: ص 86.

3- ثواب الأعمال للصدوق: ص 131. منازل الآخرة للشيخ عباس القمي: ص 62.

4- ثواب الأعمال للصدوق: ص 141. نقله في البحار: ج 87، ص 2، ح 3.

«مَنْ قرأ سورة (ن) والقلم في فريضة أو نافلة... أعاده الله إذا مات مِنْ ضمة القبر»(1).

الرابع: روى عن الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ مات ما بين زوال الشمس من يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعة أعاده الله مِنْ ضغطة القبر»(2).

الخامس: روى عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«عليكم بصلاة الليل، فما من عبد يقوم آخر الليل فيصلى ثمان ركعات، وركعتي الشفع، وركعة الوتر، واستغفر الله في قنوته سبعين مرّة إلا أجزى مِنْ عذاب القبر وَمِنْ عذاب النار، ومُدَّ في عمره، ووسع عليه في معيشته»(3).

السادس: روى عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ قرأ الهاكم التكاثر عند النوم وقى مِنْ فتنة القبر»(4).

السابع: قراءة دعاء:

(أعددتُ لكل هول لا إله إلا الله...).

الثامن: الدفن في النجف الأشرف، فمن خواص هذه التربة الشريفة أنها تُسقط عذاب القبر وحساب منكر ونكير عَنْ مَنْ يدفن فيها(5).

التاسع: من الأمور النافعة لرفع عذاب القبر وضع جريدتين رطبتين مع الميت.

1- ثواب الأعمال: ص 147. منازل الآخرة للشيخ عباس القمي: ص 63.

2- الأمل للصدوق: ص 231. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج 6، ص 221، ح 17.

3- روضة الواعظين للنيسابوري: ج 2، ص 320. بحار الأنوار: ج 87، ص 161.

4- ثواب الأعمال للصدوق: ص 153. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج 76، ص 200، ح 14.

5- إرشاد القلوب للشيخ الديلمي: ص 439. منازل الآخرة للشيخ عباس القمي: ص 64.

وروى: أنه يتجافى عنه العذاب ما دامت رطبة.

وروى أيضا:

(مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبر يُعَدَّبُ صاحبه، فدعا بجريدة فشققها نصفين، فجعل واحدةً عند رأسه، والأخرى عند رجله، وأنه قيل له: لم وضعتها؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنه يخفف عنه العذاب ما كانتا خضراوين»<sup>(1)</sup>.

ومن النافع أيضاً صبّ الماء على القبر لما ورد أن العذاب يرفع عن الميت ما دام القبر رطباً<sup>(2)</sup>.

العاشر: فى أول يوم من رجب.

(تصلّى عشر ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرّة، وقل هو الله أحد ثلاث مرات... وفاق الله فتنة القبر وعذاب يوم القيامة)<sup>(3)</sup>.

(ويصلى فى الليلة الأولى من رجب بعد صلاة المغرب عشرين ركعة بالحمد والتوحيد، فإنّها نافعة فى رفع عذاب القبر)<sup>(4)</sup>.

الحادى عشر: أن تصوم أربعة أيّام من شهر رجب<sup>(5)</sup>.

وكذلك صوم اثنى عشر يوماً من شعبان<sup>(6)</sup>.

الثانى عشر: ومن الأمور الموجبة للنجاة من عذاب القبر قراءة سورة الملك فوق

1- الفقيه: ج 1، ص 144، ح 402. منازل الآخرة للشيخ عباس القمى: ص 66.

2- الكافى: ج 3، ص 200، ح 6.

3- الإقبال لابن طاوس: ص 637.

4- الإقبال لابن طاوس: ص 629.

5- ثواب الأعمال للصدوق: ص 79. منازل الآخرة للشيخ عباس القمى: ص 67.

6- ثواب الأعمال للصدوق: ص 87. الأمالى للصدوق: ص 30.



قبر الميت كما روى ذلك القطب الراوندى عن ابن عباس قال:

(إن رجلاً ضرب خباءه على قبر ولم يعلم أنه قبر، فقرأ تبارك الذى بيده الملك، فسمع صائحاً يقول: هي المنجية.

فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال:

«هي المنجية من عذاب القبر»<sup>(1)</sup>.

وروى الشيخ الكليني عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال:

«سورة الملك هي المانعة تمنع من عذاب القبر»<sup>(2)</sup>.

الثالث عشر: في دعوات الراوندى نقل عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«ما من أحد يقول عند قبر ميت إذا دفن ثلاث مرّات: (اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد أن لا تُعذّب هذا الميت) إلا دفع الله عنه العذاب إلى يوم ينفخ في الصور»<sup>(3)</sup>.

الرابع عشر: روى الشيخ الطوسى فى (مصباح المتهدج) عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«من صام ليلة الجمعة ركعتين يقرأ فيهما بفاتحة الكتاب وإذا زلزلت الأرض زلزالها خمس عشرة مرّة آمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة»<sup>(4)</sup>.

الخامس عشر: ومن النافع فعله لرفع عذاب القبر صلاة ثلاثين ركعة فى ليلة

1- الدعوات للقطب الراوندى: ص 279، ح 817.س

2- الكافى: ج 2، ص 633، ح 26. منازل الآخرة للشيخ عباس القمى: ص 68.

3- الدعوات للقطب الراوندى: ص 270، ح 770. بحار الأنوار: ج 82، ص 54، ح 43.

4- مصباح المتهدج: ص 228.

النصف من رجب يقرأ في كل ركعة الحمد مائة والتوحيد عشر مرّات (1).

وكذلك في الليلة السادسة عشرة (2) واللييلة السابعة عشرة (3) من رجب.

وكذلك أن يصلى في الليلة الأولى من شعبان مائة ركعة بالحمد والتوحيد، وبعد أن يفرغ من الصلاة يقرأ التوحيد خمسين مرّة (4).

وكذلك يصلى في الليلة الرابعة والعشرين من شعبان ركعتين يقرأ في كل ركعة الحمد مائة، وإذا جاء نصر الله عشر مرات (5).

وورد ليوم النصف من رجب صلاة خمسين ركعة بالحمد والتوحيد والفلق والناس، فإنّها نافعة لرفع عذاب القبر (6).

ومثلها صلاة مائة ركعة ليلة عاشوراء (7) (8).

السؤال: هل يعذب المصلوب عذاب القبر لاسيما ضغطة القبر؟

الجواب: أجب على ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

روى على بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس قال: سألته عن المصلوب يعذب عذاب القبر؟ قال: فقال:

«نعم إن الله عز وجل يأمر الهواء أن يضغطه» (9).

1- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص 652.

2- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص 664.

3- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص 665.

4- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص 683. منازل الآخرة للشيخ عباس القمي: ص 69.

5- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص 722.

6- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص 658. منازل الآخرة للشيخ عباس القمي: ص 70.

7- إقبال الأعمال لابن طاوس: ص 555 \_\_ 556.

8- منازل الآخرة للشيخ عباس القمي: ص 62 \_\_ 70.

9- الكافي للكلييني: ج 3، ص 241، برقم 4728 \_\_ 16.

وفى رواية أخرى، سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المصلوب يصيبه عذاب القبر فقال:

«إن رب الأرض هو رب الهواء فيوحى الله عز وجل إلى الهواء فيضغطه ضغطة أشد من ضغطة القبر»(1).

ويستشف من هذه الرواية أن الميت يتعذب بعذاب القبر وإن لم يكن له قبر ترابى بحسب الظاهر، ولا يقتصر العذاب على ضغطة القبر بل يتعداه إلى غيره بدليل أن السائل الذى سأل الإمام عليه السلام عن عذاب القبر مطلقاً فلم ينفِ الإمام عليهم السلام العذاب عن الميت المصلوب وإنما أشار إلى الضغطة من باب ذكر مصداق من مصاديق العذاب، أو لعل الإمام عليه السلام دفع إشكالاً مقدرأً فى ذهن السائل وهو (كيف يضغط المصلوب ولم يكن له قبر من تراب) فرد عليه بأنه يضغط بالهواء.

السؤال: من هو الذى يتعرض لسؤال منكر ونكير، أجميع الناس يسألون أم هناك فئة دون أخرى؟

الجواب: هناك ثلاثة أصناف من الناس، صنف محض الإيمان محضاً أى كان مؤمناً فى أعلى درجات الإيمان وأرقى رتب المؤمنين، وصنف آخر محض الكفر، وصنف ثالث هو الصنف الذى بين هؤلاء وأولئك، وكذلك الحال مع المستضعفين والبلهاء والأطفال وأبناء المسلمين الذين لم يبلغوا سن الرشد.

فلذا لا يُسأل إلا الصنف الأول والثانى فقط ولغى عن الصنف الثالث وهذا ما أكدته الكثير من الروايات كما فى قول الإمام الصادق عليه السلام:

ورد فى الكافى عن محمد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«لا يسأل فى القبر إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً»(2).

1- المصدر السابق: برقم 4729 \_ 17.

2- الكافى: ج 3، ص 236. تسليمة الفؤاد، السيد عبد الله شبر: ص 101.

وعن أبي بكر الحضرمي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«لا يسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، والآخرين يلهون عنهم» (1).

وعن ابن بكير عن أبي جعفر عليه السلام، وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إنما يسأل في قبره من محض الإيمان محضاً أو الكفر محضاً، وأما ما سوى ذلك فيلهي عنهم» (2).

وعن أبي بكر الحضرمي قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام: من المسؤولون في قبورهم؟ قال:

«من محض الإيمان ومن محض الكفر»).

قال: قلت: فبقيّة هذا الخلق؟ قال:

«يلهي والله عنهم ما يعبا بهم» (3).

وينسجم هذا القول مع قوله تعالى:

(وَأَخْرَجُوا مُرَجُومَ اللَّهِ إِثْمًا يُعَذِّبُهُمْ وَإِثْمًا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (4).

السؤال: هل أن أرواح المؤمنين والكفار تزور أهلها بعد الموت؟

الجواب: ورد في الكافي أن المؤمنين والكفار على حد سواء يزورون أهلهم في أوقات معينة وبصورة العصفور أو أقل منه فيرون أهلهم، فأما المؤمنون يرجعون في فرح

1- الكافي: ج 3، ص 235.

2- المصدر السابق.

3- الكافي: ج 3، ص 237. تسليّة الفؤاد، السيد عبد الله شبر: ص 101 \_\_ 102.

4- سورة التوبة، الآية: 106.

وسرور لما رأوا من حسن حال دين أهلهم، وأما الكفار فإنهم يرون أهلهم ويرجعون إما بحسرة عندما يرون أن أهلهم يعملون بالصالحات وإما في حزن عندما يرونهم بشر وحاجة، ويزور الأموات أهلهم عند زوال الشمس، ولكن المؤمنين يؤذن لهم بالزيارة أكثر من مرة في الأسبوع وعلى قدر فضلهم وهذا ما أشارت إليه الروايات الآتية:

روى ثقة الإسلام في الكافي بإسناده (عن الصادق عليه السلام قال:

«إن المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحب ويستتر عنه ما يكره، وإن الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره ويستتر عنه ما يحب.

قال:

ومنهم من يزور كل جمعة، ومنهم من يزور على قدر عمله» (1).

وعن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام قال:

«ما من مؤمن ولا كافر إلا وهو يأتي أهله عند زوال الشمس، فإذا رأى أهله يعملون بالصالحات حمد الله على ذلك، وإذا رأى الكافر أهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسرة» (2).

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: سألته عن الميت يزور أهله؟ فقال:

«نعم.

فقلت: في كم يزور؟ قال:

في الجمعة وفي الشهر وفي السنة على قدر منزلته.

فقلت: في أي صورة يأتيهم، قال:

1- الكافي: ج 3، ص 230.

2- المصدر السابق.

فى صورة طائر لطيف يسقط على دارهم ويشرف عليهم فإن رآهم بخير فرح وإن رآهم بشر وحاجة وحزن اغتم»(1).

وعن عبد الرحيم القصير قال: قلت له: المؤمن يزور أهله؟ قال:

«نعم، يستأذن ربه فيأذن له فيبعث معه ملكين فيأتيهم فى بعض صور الطير يقع فى داره ينظر إليهم ويسمع كلامهم»(2).

عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبى الحسن عليه السلام: يزور المؤمن أهله؟ فقال:

«نعم».

فقلت: فى كم؟ قال:

على قدر فضائلهم، منهم من يزور فى كل يوم؛ ومنهم من يزور فى كل يومين، ومنهم من يزور فى كل ثلاثة أيام.

قال: ثم رأيت فى مجرى كلامه يقول:

أدناهم منزلة يزور كل جمعة.

قال: قلت فى أى ساعة؟ قال:

عند زوال الشمس ومثل ذلك.

قال: قلت فى أى صورة؟ قال:

فى صورة العصفور وأصغر من ذلك، ويبعث الله عز وجل معه ملكاً فيريه ما يسره ويستتر عنه ما يكره، فيرى ما يسره ويرجع إلى قرة عين»(3).

---

1- المصدر السابق.

2- المصدر السابق.

3- الكافي: ج 3، ص 231. تسليمة الفؤاد، عبد الله شبر: ص 114 \_\_ 115.

## تذكير

لا أظن أن القارئ الكريم قد يغفل عن تكليفه بعدما قرأ هذه الروايات إلا أن الذكرى تنفع المؤمنين.

فأقول:

1\_\_ ليجتهد المؤمن في إدخال السرور على روح أمواته من خلال طاعته لله تعالى وتلبسه بالإيمان والعمل الصالح في آناء الليل وأطراف النهار وليكون سبباً في إدخال السرور على المؤمن وينال بذلك ثواب من أدخل السرور على المؤمنين.

2\_\_ لا ينسى المؤمن أن يتحف أمواته بشيء من الثواب ليرجع الميت إلى قبره بهديته فرحاً كما ورد في الرواية الشريفة:

جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما تصدرت لميت فيأخذها ملك في طبق من نور ساطع ضوءها يبلغ سبع سماوات ثم يقوم على شفير الخندق (القبر) فنأدى:

السلام عليكم يا أهل القبور، أهلكم أهدوا إليكم بهذه الهدية فيأخذها ويدخل بها في قبره فتوسع عليه مضاجعة»<sup>(1)</sup>.

كما روى بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام:

(قال الراوى: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يصلّى عن الميت؟ فقال:

«نعم حتى أنه ليكون في ضيق فيوسع الله عليه ذلك الضيق، ثم يؤتى فيقال له: خفف عنك هذا الضيق بصلاة فلان أخيك عنك».

قال: فقلت له: فأشرك بين رجلين في ركعتين؟ قال:

«نعم...».

ثم قال عليه السلام:

«إن الميت ليفرح بالترحم عليه والإستغفار له كما يفرح الحي بالهدية تهدى إليه»(1).

3\_ لا يتوهم المؤمن بأن الثواب الذى يهديه إلى الميت هو ناشئ عن إطعام الطعام أو الصدقة المادية فقط، وإنما هناك أنواع كثيرة من الثواب تأتي من جراء أعمال سهلة لا مؤنة فيها كإهداء ثواب (الصلوات على محمد وآله) وزيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام أو تلاوة القرآن أو الكلمة الطيبة مع الناس بل كل أعمال البر والخير والمعروف يمكن إهداء ثوابها إلى الموتى.

4\_ ركعتان خفيفتان أحب إلى الميت من البكاء والنوح عليه كما ورد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرِ دَفْنٍ فِيهِ بِالْأَمْسِ إِنْسَانٌ وَأَهْلُهُ يَبْكُونَ فَقَالَ:

«ركعتان خفيفتان مما تحتقرون أحب إلى صاحب هذا القبر من دنياكم كلها»(2).

السؤال: ما هى المعاصى التى توجب عذاب القبر؟

الجواب:

ذكرت الروايات مجموعة من المعاصى توجب عذاب القبر للمؤمن، كالنميمة وسوء الخلق مع الأهل وعدم النزه من البول.... الخ، وهذا ما تدلنا عليه الروايات الآتية:

1- منازل الآخرة للشيخ عباس القمى: ص 74؛ من لا يحضره الفقيه: ج 1، ص 183، وفيه بدل ثم قال: فقال.... .

2- تنبيه الخواطر: ج 2، ص 225.



1\_\_ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«استنزهوا من البول، فإن عامة عذاب القبر منه»(1).

2\_\_ عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«عذاب القبر يكون من النميمة والبول وعزب الرجل عن أهله»(2).

السؤال: ما هي الأعمال التي تدفع هول منكر ونكير؟

الجواب: جاء في الروايات أن الصورة التي يأتي فيها الملكان لصورة مهولة مرعبة ترتعد منها الفرائص وتخرس الألسن وتشبح العيون خائفة ويطير لها اللب، وهذا ما يصفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«إذا أقبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير يقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمناً فيقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يمسح في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ذراعاً، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله، حتى يبعثه الله من مضجعة ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله، لا أدري!

فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيه معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»(3).

وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

1- بحار الأنوار: ج6، ص275. تسليمة الفؤاد، عبد الله شبر: ص108.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج72، ص265، ح10.

3- بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج6، ص276. تسليمة الفؤاد، عبد الله شبر: ص110.

«فإذا أدخل قبره أتاه ملكا القبر يجران أشعارهما ويخدان الأرض بأقدامهما، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول:

الله ربي وديني الإسلام، ونبيي محمد (صلى الله عليه وآله)، فيقولان له:

ثبتك الله فيما تحب وترضى، وهو قول الله عز وجل:

(يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) (1).

ثم يفسحان له في قبره مد بصره ثم يفتحان له بابا إلى الجنة، ثم يقولان له: نم قرير العين، نوم الشاب الناعم، فإن الله عز وجل يقول:

(أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) (2).

قال : وإن كان لربه عدوا فإنه يأتيه أقيح من خلق الله زيا ورؤيا وأنتنه ريحا فيقول له: أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم وإنه ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يحبسوه فإذا أدخل القبر أتاه ممتحنا القبر فألقيا عنه أكفانه ثم يقولان له: من ربك وما دينك؟ ومن نبيك؟، فيقول: لا أدرى فيقولان: لا دريت ولا هديت، فيضربان يافوخه بمرزبة معهما ضربة ما خلق الله عز وجل من دابة إلا وتذعر لها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له بابا إلى النار.

ثم يقولان له: نم بشر حال فيه من الضيق مثل ما فيه القنا من الزج حتى أن دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه ويسلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامها فتتهشحه حتى يبعثه الله من قبره وإنه ليتمنى قيام الساعة فيما هو فيه من الشر» (3).

1- سورة إبراهيم، الآية: 27.

2- سورة الفرقان، الآية: 24.

3- الكافي للشيخ الكليني: ج 3، ص 233، 4708\_\_1. تسليمة الفؤاد، عبد الله شبر: ص 90.

فبعد أن اطلعت على وصف الملكين وهولهما لا بد من الاطلاع على الأعمال التي تنجى منهما ومن سؤالهما وهي كما يلي:

1\_\_ أن يلقن الميت بعد دفنه من قبل أحد أقربائه الشهادتين والعقائد الحقة والولاية لأهل البيت عليهم السلام والاعتراف بإمامتهم والإقرار بالغيب.

2\_\_ أداء الصلاة والزكاة والصبر بأنواعه تدافع عن صاحبها أشد الدفاع مع منكر ونكير.

3\_\_ صيام شهر شعبان بل من صام تسعة أيام منه عطف عليه منكر ونكير.

4\_\_ إحياء ليلة الثلاث والعشرين من شهر رمضان بالعبادة والصلاة مئة ركعة فيها.

5\_\_ الدفن في تربة النجف(1).



## الخطبة الثالثة: في مكارم الأخلاق

إشارة



## نص الخطبة

## إشارة

«يا أَيُّهَا النَّاسُ، نَافِسُوا فِي الْمَكَارِمِ، وَسَارِعُوا فِي الْمَغَانِمِ، وَلَا تَحْتَسِبُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تُعْجَلُوا، وَآكُسِبُوا الْحَمْدَ بِالنُّجْحِ، وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَطْلِ ذِمًّا: فَمَهْمَا يَكُنْ لِأَحَدٍ عِنْدَ صَنِيعَةِ (1) لَهُ رَأَى أَنَّهُ لَا يَقُومُ بِشُكْرِهَا فَاللَّهُ لَهُ بِمُكَافَأَتِهِ، فَإِنَّهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا.

وَاعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، فَلَا تَمْلُوا النِّعَمَ فَتَحْوَرَّ نِقْمًا.

وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَعْرُوفَ مُكْسَبٌ حَمْدًا، وَمُعَقَّبٌ أَجْرًا، فَلَوْ رَأَيْتُمْ الْمَعْرُوفَ رَجُلًا - رَأَيْتُمُوهُ حَسَنًا جَمِيلًا - يَسُدُّ النَّاطِرِينَ، وَلَوْ رَأَيْتُمْ اللَّوْمَ رَأَيْتُمُوهُ سَمِجًا مَشُوهًا تَنْفِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ، وَتُغْضُ دُونَهُ الْأَبْصَارُ.

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ جَادَ سَادَ، وَمَنْ بَخِلَ رُذِلَ، وَإِنَّ أَجُودَ النَّاسِ مَنْ أَعْطَى مَنْ لَا يَرْجُوهُ، وَإِنَّ أَعْفَى النَّاسِ مَنْ عَفَا عَنْ قُدْرَةٍ، وَإِنَّ أَوْصَلَ النَّاسِ مَنْ وَصَلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَالْأَصُولُ عَلَى مَغَارِسِهَا بِفُرُوعِهَا تَسْمُو، فَمَنْ تَعَجَّلَ لِأَخِيهِ خَيْرًا وَجَدَهُ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ غَدًا، وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

1- المطل: تأجيل موعد الوفاء بحقه مرة بعد أخرى. والصنعة: كل ما عمل من خير أو إحسان.

بِالصَّنِيعَةِ إِلَى أَخِيهِ كَأَنَّهُ بِهَا فِي وَقْتِ حَاجَتِهِ، وَصَدَرَ عَنْهُ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ، وَمَنْ نَفَسَ كُرْبَةً مُؤْمِنٍ فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ أَحْسَنَ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

### المعنى العام

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ، نَافِسُوا فِي الْمَكَارِمِ، وَسَارِعُوا فِي الْمَغَانِمِ، وَلَا تَحْتَسِبُوا بِمَعْرُوفٍ لَمْ تُعْجَلُوا، وَآكُسِبُوا الْحَمْدَ بِالنُّجْحِ، وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَطْلِ ذَمًّا: فَمَهْمَا يَكُنْ لِأَحَدٍ عِنْدَ صَنِيعَةٍ لَهُ رَأَى أَنَّهُ لَا يَقُومُ بِشُكْرِهَا فَاللَّهُ لَهُ بِمُكَافَأَتِهِ، فَإِنَّهُ أَجْزَلُ عَطَاءٍ وَأَعْظَمُ أَجْرًا).

أيها الناس تسابقوا وتباروا في فعل الخيرات، وعجلوا في تحصيل الربح والنفعة، ولا تكشفوا بمعروف لم تسارعوا في فعله، واطلبوا واربحوا الثناء الجميل بالنجاح والفوز، ولا تطلبوا بتأخير فعل المعروف الملامة والإعاية، وإذا عمل أحد العباد خيرا ومعروفا لأخيه دون أن ينال شكرا منه، فالله تعالى هو الذي يجزيه ويشكره، فهو كثير وعظيم النوال والثواب لمن شاء.

(وَاعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، فَلَا تَمَلُّوا النِّعَمَ فَتَحُورَ يَقْمًا).

أي عليكم أن تعرفوا وتتيقنوا أن طلبات وضروريات الناس وافتقارهم إليكم من منن الله وفضله عليكم، فلا تسأموا ولا تضجروا هذه النعم فترجع بلاء وعقوبة.

(وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَعْرُوفَ مُكْسَبٌ حَمْدًا، وَمُعَقَّبٌ أَجْرًا، فَلَوْ رَأَيْتُمْ الْمَعْرُوفَ رَجُلًا رَأَيْتُمُوهُ حَسَنًا جَمِيلًا يَسُرُّ النَّاطِرِينَ، وَلَوْ رَأَيْتُمْ اللَّؤْمَ رَأَيْتُمُوهُ سَمِجًا مُسْتَوْهًا تَنْفِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ، وَتُغْضُّ دُونَهُ الْأَبْصَارُ).



أدركوا وتيقنوا أن العمل الحسن يورث الثناء والشكر، وتارك ثوابا، فلو تمثل عمل الخير بهيئة رجل لكان رجلا ذا هيئة بهية تدخل الفرح على من يراها، ولو شاهدتم الشمة والدناء لشاهدتم رجلا قبيحا غير سوى تعرض عنه القلوب وتتركه، وتكف عنه العيون.

(إِنَّهَا النَّاسُ مَنْ جَادَ سَادَ، وَمَنْ بَخِلَ رُذِلَ، وَإِنَّ أَجْوَدَ النَّاسِ مَنْ أُعْطِيَ مَنْ لَا يَرْجُوهُ، وَإِنَّ أَعْفَى النَّاسِ مَنْ عَفَا عَنْ قُدْرَةٍ، وَإِنَّ أَوْصَلَ النَّاسِ مَنْ وَصَلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَالْأَصْوَلُ عَلَى مَغَارِسِهِهَا بِفُرُوعِهَا تَسْمُو، فَمَنْ تَعَجَّلَ لِأَخِيهِ خَيْرًا وَجَدَهُ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ عَدَاً، وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالصَّنِيعَةِ إِلَى أَخِيهِ كَافَأَهُ بِهَا فِي وَقْتِ حَاجَتِهِ، وَصَدَرَ عَنْهُ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ، وَمَنْ نَفَسَ كُرْبَةً مُؤْمِنٍ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ أَحْسَنَ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

أيها الناس من اختار أو أتى بالحسن من القول والعمل صار من أهل الشرف والمجد، ومن شح وقر صار رديئا غير فاضل، وإن أكرم الناس وأسأخاهم من بذل إلى من لا ينتظر منه جزاء ولا شكورا، وإن من أكثر الناس مسامحة وصفحاً من صفح عن قدرة واستطاعة، وإن من أرحم الناس وأعطفهم من ترحم وتعطف على قاطع الرحم وعاقها وهاجرها، والمنابت حسب الأرض التي غرست فيها فهي ترتفع وتعلو إذا كان المغرس طيبا، فمن بادر لصنع المعروف وأسدها إلى أخيه يجد أن هذا الصنيع محفوظ له عند أخيه، ومن كان صنيعه لوجه الله تعالى سيدخرها له عند حاجته إليها، ويرد عنه من آلام الدنيا وهمومها، ومن لطف أو فرج مشقة أو حزناً أو همّاً عن أخيه المؤمن وسع الله عليه كل شدة في الدنيا والآخرة، ومن فعل معروفًا يجزيه الله تعالى والله يحب أهل الإحسان.

## بحث أخلاقي

### صنع المعروف

لابد للتعاشيش الإنساني الناجح من طريقة راقية مؤطرة بإرشاد الشريعة وتعاليمها ومزينة بجمال العرف وحسنه، ومليئة بأريحية المجتمع وتآلفه، ولا شك في أن الجامع لكل هذه الشروط هو المعروف الذي يمثل الجمال والعدل والإحسان والحق والإيثار، فلذا نجد الآيات الشريفة تؤكد على هذا المعنى الشريف في كل مفردات الحياة، بل الظاهر من النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة أن الحياة معروف والمعروف هو الحياة الحقيقية — والتي — بخلافها لا يكون الإنسان إنسانا، لا تقصد بالمعروف وهو الإحسان فقط دون المعاني الأخرى التي سبق ذكرها بل هو المعروف الذي جمع كل المعاني العالية، ولكي نطمئن من صحة ما تقدم لابد أن نقف على المعنى اللغوي والاصطلاحي للمعروف.

المعروف في اللغة: هو الخير، الإحسان(1)، المعروف: اسم لكل فعل يعرف حسنه بالعقل أو الشرع: وهو خلاف المنكر، هو الصنعة التي يسديها المرء إلى غيره(2).

المعروف في الاصطلاح: هو كل خير وكل فعل حسن عقلا وشرعا.

تناولت الآيات الكريمة هذه الكلمة في مواضع عديدة تشير من خلالها إلى القول الطيب والفعل الحسن كما في قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (3).

1- المنجد النجدي: ص

2- المعجم الوسيط: ص 595.

3- سورة البقرة، الآية: 178.

وقال تعالى:

(الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (1).

وقال سبحانه وتعالى:

(وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) (2).

وفى قوله عز وجل:

(قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ) (3).

وقال الله سبحانه وتعالى فى سورة النساء:

(وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) (4).

وقال عز وجل:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضَبُوهُنَّ لِيَتَذَهَبْنَ بِبَعْضِ مَّا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ

1- سورة البقرة، الآية: 229.

2- سورة البقرة، الآية: 241.

3- سورة البقرة، الآية: 263.

4- سورة النساء، الآية: 6.

كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (1).

وقال الباری عزّ وجل في سورة الممتحنة:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (2).

وقال سبحانه وتعالى في سورة آل عمران:

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (3).

وحتت الأحاديث الشريفة على فعل المعروف من خلال وصفها له بصفات عديدة، فتارة يصفه الحديث أنه عين السيادة كما في قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«المَعْرُوفُ سِيَادَةٌ» (4).

وأخرى هو الحسب كما في قوله عليه السلام:

«المَعْرُوفُ حَسَبٌ» (5).

1- سورة النساء، الآية: 19.

2- سورة الممتحنة، الآية: 12.

3- سورة آل عمران، الآية: 110.

4- غرر الحكم: ص 32. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2558، ح 12590.

5- غرر الحكم: ص 80. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2558، ح 12592.

وفى ثالثة هو وسيلة لتحصيل المدح والثناء فى الدنيا والثواب والجزاء الحسن فى الآخرة وهذا ما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام بقوله:

«اعلموا أنّ المَعْرُوفَ مُكْسَبٌ حَمْدًا، وَمُعْتَبٌ أَجْرًا، فَلَوْ رَأَيْتُمْ المَعْرُوفَ رَجُلًا لَرَأَيْتُمُوهُ حَسَنًا جَمِيلًا يُسِّرُ النَّاطِرِينَ وَيَقُوقُ العَالَمِينَ، وَلَوْ رَأَيْتُمُ اللُّؤْمَ رَأَيْتُمُوهُ سَمِجْحًا قَبِيحًا مُشَوِّهًا تَنْفِرُ مِنْهُ القُلُوبُ وَتَغْضُ دُونَهُ الأَبْصَارُ»(1).

بل أن الإمام الصادق عليه السلام لا يرى شيئاً أفضل من المَعْرُوفِ إلا الأجر الإلهى بقوله:

«رَأَيْتُ المَعْرُوفَ كَاسْمِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنَ المَعْرُوفِ إِلَّا ثَوَابُهُ وَذَلِكَ يُرَادُ مِنْهُ»(2).

ولأهمية المَعْرُوفِ للفرد والمجتمع معا نجد أمير المؤمنين عليه السلام يدعونا إلى صنعه ولو ببذل أقصى الجهود بقوله:

«اصْطَنَعُوا المَعْرُوفَ بِمَا قَدَرْتُمْ عَلَى اصْطِنَاعِهِ»(3).

ويقول الإمام الجواد عليه السلام بأن الذين يصنعون المَعْرُوفَ هم أول من يستفيد من هذا المَعْرُوفِ بقوله:

«أهلُ المَعْرُوفِ إِلَى اصْطِنَاعِهِ أَحْوَجُ مِنَ أهلِ الحَاجَةِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ لَهُمْ أَجْرَهُ وَفَخْرَهُ، فَهَمَّا اصْطَنَعَ الرَّجُلُ مِنَ مَعْرُوفٍ فَإِنَّمَا يَبْدَأُ فِيهِ بِنَفْسِهِ، فَلَا يَطْلُبَنَّ شُكْرَ مَا صَنَعَ إِلَى نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِهِ»(4).

1- مستدرک الوسائل: ج 12، ص 343، ح 14242. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2558، ح 12595.

2- الكافي: ج 4، ص 26، ح 3. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2559، ح 12596.

3- الخصال: ص 617، ح 10. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2559، ح 12600.

4- كشف الغمة: ج 3، ص 137. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2559، ح 12603.

## لمن يبذل المعروف؟

بعد أن عرفنا أن المعروف جميل بذاته ينبغي أن نعلم أن بذله أجمل لما فيه من تجلى صور الرحمة والحنو والرأفة والمروءة، فلذا جاءت الروايات الشريفة تحث على بذله إلى البر والفاجر من الناس، بل وصلت بحثها على بذله إلى الحيوانات.

إن فعل المعروف خير، وكل ما هو خير لا يصح البخل به على إنسان دون آخر، فلذا صارت فضيلته فوق كل فضيلة وجزاؤه فوق كل جزاء، وهذا ما أشار إليه مولى الموحدين بقوله عليه السلام:

«ابْذُلْ مَعْرُوفَكَ لِلنَّاسِ كَافَّةً؛ فَإِنَّ فَضِيلَةَ فِعْلِ الْمَعْرُوفِ لَا يَعْدِلُهَا عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ شَيْءٌ» (1).

ولكى نطلع بدقة على ما حث عليه الروايات الشريفة نذكرها على النحو الآتي:

1\_ حث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين على فعل المعروف إلى العالمين دون أن يميزوا بين من يستحق ومن لا يستحق بقوله:

«رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الدِّينِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ، وَاصْطِنَاعُ الْخَيْرِ إِلَى كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ» (2).

وعند تأمل هذا الحديث الشريف نستنتج منه ما يلي:

ألف: إن المعروف لا يقتصر على بذل المال أو ما هو مادي فقط بل يتعداه إلى الخلق الحسن والقول الطيب وهذا ما أشار إليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الدِّينِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ».

باء: بما أن الخير فعل حسن لا ضرر فيه يحتاجه كل مخلوق في حياته، صار بذله

1- غرر الحكم: 2470. ميزان الحكمة: ج6، ص2562، ح12623.

2- بحار الأنوار: ج74، ص401، ح44. ميزان الحكمة: ج6، ص2562، ح12624.

جميلاً إلى الإنسان الصالح والطالح على السواء كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«واصطناع الخير إلى كل بر وفاجر».

ولكى لا يقع المؤمن في التباس من أمره فيقول كيف أصنع الخير للفاجر وهو فاجر عاصى لله تعالى؟

فأقول: ورد من جهة أخرى، إذا علمت بأن معروفك سيكون عوناً على الإثم ويستعين به الفاجر على معصية الله تعالى لا يصح لك أن تعينه على ذلك لقوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَيْئاً مَعَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمْيِنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (1).

2\_ حث أهل بيت العصمة عليهم السلام على بذل المعروف إلى الحيوانات أيضاً، مما يدل على سعة رحمة الله تعالى، ورعايته لمخلوقاته فلذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمن يستعمله على الصدقات:

«ثُمَّ أَحَدُ (2) إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ نَصَبٌ بِيْرُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَيَا إِذَا أَخَذَهَا أَمِيْدَكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَلَا - يَحْوُلُ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا (3)، وَلَا يَمْصُرُ (4) لَبَنَهَا فَيُضْرَّ ذَلِكَ بَوْلِدِهَا، وَلَا يَجْهَدَنَّهَا زُكُوباً، وَلْيُعْدِلْ بَيْنَ صَوَابِحَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرْفَهُ عَلَى الْلاَغِبِ (5)»

1- سورة المائدة الآية: 2.

2- أى سُق إلينا سريعاً.

3- فصيل الناقة: ولدها وهو رضيع.

4- مَصْر اللبن: حلب ما فى الضرع جمعيه.

5- أى لِيُرِيح ما الْغِب أى أعياه التعب.

وَلَيْسَتْ أَنْ (1) بِالنَّقَبِ (2) وَالظَّالِعِ (3)، وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدْرِ (4)، وَلَا يَعْدِلُ بِهَا عَنِ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطَّرِيقِ (5)، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ، وَلْيَمَهِّلْهَا عِنْدَ النَّطَافِ (6) وَالْأَعْشَابِ، حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدْنًا (7) مُنْقِيَاتٍ (8) غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ (9) (10).

### إشكال وتوجيه

سبق أن بينا أن الأحاديث الشريفة السابقة تحت المؤمن على فعل المعروف لجميع الناس برهم وفاجرهم، وسواء كان من أهل المعروف أو لم يكن كذلك كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«اصْطَنِعَ الْخَيْرَ إِلَى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ، وَإِلَى مَنْ هُوَ غَيْرُ أَهْلِهِ، فَإِنْ لَمْ تُصِبْ مَنْ هُوَ أَهْلُهُ فَانْتَ أَهْلُهُ» (11).

إلا أننا نجد في مكان آخر أحاديث تحت عنوان ترك بذل المعروف إلى من لا يستحقه وهي كما يلي:

1\_\_ قال الإمام على عليه السلام:

- 1- لَيْسَتْ أَنْ: أَيْ يَرْفِقُ، مِنَ الْأَنَاءِ بِمَعْنَى الرَّفْقِ.
- 2- النَّقَبِ \_\_ بفتح فكسر \_\_ مَا نَقَبَ خَفَّهُ \_\_ كَفَرِحَ \_\_: أَيْ تَخَرَّقَ.
- 3- ظَلَعَ الْبَعِيرُ: غَمَزَ فِي مَشِيئَتِهِ.
- 4- الْغُدْرُ \_\_ جَمْعُ غَدِيرٍ \_\_: مَا غَادَرَهُ السَّيْلُ مِنَ الْمِيَاهِ.
- 5- أَيْ الطَّرِيقِ الَّتِي لَا مَرْعَى فِيهَا.
- 6- النَّطَافُ \_\_ جَمْعُ نُطْفَةٍ \_\_: الْمِيَاهُ الْقَلِيلَةُ، أَيْ يَجْعَلُ لَهَا مُهْلَةً لِتَشْرَبَ وَتَأْكُلَ.
- 7- الْبُدْنُ \_\_ بضم الباء وتشديد الدال \_\_: السَّمِينَةُ.
- 8- الْمُنْقِيَاتُ: اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ أَنْقَتَ الْإِبِلَ إِذَا سَمِنَتْ.
- 9- مَجْهُودَاتُ: بَلَغَ مِنْهَا الْجَهْدَ وَالْعَنَاءَ مَبْلَغًا عَظِيمًا.
- 10- نَهْجُ الْبَلَاغَةِ: الْكِتَابُ 25. مِيزَانُ الْحِكْمَةِ: ج 6، ص 2563 \_\_ 2564، ح 12632.
- 11- عِيُونُ أَخْبَارِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ج 2، ص 35، ص 76. مِيزَانُ الْحِكْمَةِ: ج 6، ص 2562، ح 12626.



«لا تَصْلُحِ الصَّنِيعَةُ إِلَّا عِنْدَ ذِي حَسَبٍ أَوْ دِينٍ» (1).

2\_ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«لَيْسَ لِوَأَضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحِظِّ فِيمَا أَتَى إِلَّا مَحَمَدَةُ النَّامِ، وَتَنَاءُ الْأَشْرَارِ. وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ مَا دَامَ مَنَعِمًا عَلَيْهِمْ: مَا أَجْوَدَ يَدُهُ! وَهُوَ عَنِ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٍ» (2).

3\_ وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَمَا تَدِينُ تَدَانُ، وَكَمَا تَعْمَلُ كَذَلِكَ تُجْزَى، مَنْ يَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ إِلَى أَمْرِ السَّوِّءِ يُجْزَى شَرًّا» (3).

4\_ ورد في الأمالي للمفيد عن كعب الأحمار:

«مَنْ صَنَعَ مَعْرُوفًا إِلَى أَحْمَقٍ فَهِيَ خَطِيئَةٌ تَكْتَبُ عَلَيْهِ» (4).

5\_ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«ظَلَمَ الْمَعْرُوفَ مَنْ وَضَعَهُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ» (5).

6\_ عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

«مَنْ أَسَدَى مَعْرُوفًا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ظَلَمَ مَعْرُوفَهُ» (6).

وبعد تأمل هذين النوعين من الأحاديث الشريفة نلمس تناقضا ظاهراً بينهما،

1- الخصال: ص 620، ح 10.

2- نهج البلاغة: الخطبة 142. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج 9، ص 74. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2566، ح 12643.

3- بحار الأنوار: ج 74، ص 412، ح 26. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2566، ح 12644.

4- أمالي المفيد: 137، ح 7. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2566، ح 12645.

5- غرر الحكم: 6063. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2566، ح 12650.

6- غرر الحكم: 8547. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2566، ح 12651.

ولكى لا يقع القارئ الكريم فى التباس بين الحث على بذل المعروف وبين النهى عن ذلك لابد من توجيه الأحاديث التى حثت على ترك بذل المعروف وتبدأ كما يلى:

ألف: لا تنهى الأحاديث عن فعل المعروف إلى غير أهله وإنما ترشد إلى ذلك من باب النهى الإرشادى.

باء: تريد الأحاديث أن تبين أن البازل للمعروف إلى غير أهله لا ينتظر منهم جزاءً ولا شكوراً، ولذا فليكن بذله للمعروف لله تعالى ولجمال وحسن البذل.

جيم: تشير الأحاديث إلى ترك بذل المعروف لمن كان مجرباً بنكران الجميل أو من لا يشكر المعروف بدليل القول الذى ورد فى الحديث أعلاه وهو:

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«لَيْسَ لِوَأَضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحِظِّ فِيمَا أَتَى إِلَّا مَحْمَدَةٌ اللَّئَامِ، وَثَنَاءُ الْأَشْرَارِ. وَمَقَالَةٌ الْجُهَّالِ مَا دَامَ مَنَعِمًا عَلَيْهِمْ: مَا أَجْوَدَ يَدُهُ! وَهُوَ عَنِ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٍ».

دال: وردت أحاديث تتضمن إرشادات تنهى عن صنف اتصف بالحمق دون غيره من الصفات.

خلاصة القول:

1\_\_ إن بذل المعروف لأهله أى لمن يفعل المعروف من باب رد الجميل، ولغير أهله الذين يحبون فعل المعروف ولكن لا يستطيعون ذلك.

2\_\_ إذا فعلت المعروف لا تنتظر من أحد جزاءً ولا شكوراً.

3\_\_ إن بعض أنواع المعروف كبذل الحكمة لا تضعها إلا عند أهلها، وأما ما يصدر منك من خير دون أن يترتب عليه ضرر فابذله لمن شئت.

## آثار فعل المعروف

وردت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة بكثرة مبينة الآثار الطيبة لفعل المعروف سواء كان ذلك في الحياة الدنيا أو في الآخرة ولكي يتضح الموضوع أكثر نبوّب هذه الآثار كالاتي:

\_\_ الآثار في الدنيا \_\_

1\_\_ لكي تنال الجاه وتحظى بالتقدم على الغير وتنال الطاعة والاحترام لا بد لك من فعل المعروف، وهذا ما أكدته الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«المعروف سيادة».

وقول الإمام الصادق عليه السلام:

«عَجِبْتُ مِمَّنْ يَشْتَرِي الْمَمَالِيكَ بِمَالِهِ، كَيْفَ لَا يَشْتَرِي الْأَحْرَارَ بِمَعْرُوفِهِ فَيَمْلِكُهُمْ»<sup>(1)</sup>.

2\_\_ ضمن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لفاعل المعروف ربحاً ونمأةً نتيجة بذله للمعروف بقوله عليه السلام:

«إنما المعروف زرع من أنمى الزرع، وكنز من أفضل الكنوز»<sup>(2)</sup>.

3\_\_ بذل المعروف يحافظ على النعم ويدفع عنها خطر السلب فيكون مصداقاً للدعاء الشريف: (اللهم أعوذ بك من الذنوب التي تسلب النعم).

وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«المعروف زكاة النعم، وما أدت زكاته فهو مأمون السلب»<sup>(3)</sup>.

1- تحف العقول: ص 204. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2559، ح 12602.

2- جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردى: ج 14، ص 476، ح 3144(15).

3- ميزان الحكمة: ج 3، ص 1931.

4\_\_ بذل المعروف يؤدي إلى أن ينال فاعله شكراً ومدحاً من أناس لم يصيبهم هذا المعروف، ولكن لحبهم وإنصافهم يشكرون الباذل للمعروف، وهذا ما نستشفعه من قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«فإنه قد يشكرك عليه من يسمع منك فيه»(1).

5\_\_ فعل المعروف يرد على صاحبه بكل ما هو جميل فلذا ورد عن الإمام على عليه السلام:

«مَنْ عَامَلَ النَّاسَ بِالْجَمِيلِ كَأَفْوَاهِهِ بِهِ»(2).

6\_\_ يفضل باذل المعروف بكثرة على غيره ممن لم يفعل المعروف، ويقر له جميع الناس بالأفضلية كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ كَثُرَ جَمِيلُهُ أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى تَفْضِيلِهِ»(3).

7\_\_ من أراد أن ينال قاعدة جماهيرية، وتتسع سمعته الحسنة فما عليه إلا أن يكثر من بذل المعروف مع جميع الناس ولا يقتصر فعله على فئة دون أخرى أو شخص دون آخر وهذا لعله المراد من قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ كَثُرَتْ عَوَارِفُهُ كَثُرَتْ مَعَارِفُهُ»(4).

### الآثار في الآخرة

1\_\_ إذا بذل المعروف للمؤمن ينقذ باذله من الدخول إلى نار جهنم كما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام:

1- ميزان الحكمة: ج3، ص1930.

2- غرر الحكم: 8716. ميزان الحكمة: ج6، ص2562، ح12619.

3- غرر الحكم: 8407. ميزان الحكمة: ج6، ص2562، ح12620.

4- غرر الحكم: 8164. ميزان الحكمة: ج6، ص2562، ح12621.

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيَمُرُّ عَلَيْهِ بِالرَّجُلِ وَقَدْ أَمَرَ بِهِ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ لَهُ: يَا فُلَانُ أَغْنَيْتَنِي، فَقَدْ كُنْتُ أَصْنَعُ إِلَيْكَ الْمَعْرُوفَ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ لِلْمَلِكِ: حَلَّ سَبِيلَهُ فَيَأْتُرُ اللَّهُ الْمَلِكَ أَنْ أَحْزِرَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِ، فَيُحَلِّي الْمَلِكُ سَبِيلَهُ»(1).

2\_\_ أمرنا الله سبحانه بالاستعداد للموت والتزود بالبضاعة الحسنة للمعاد يوم لا ينفع مال ولا بنون، فلذا لا بد من صنع المعروف لخلق الله تعالى لكي نذهب بيزاد نافع وهذا ما يشير إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«عَلَيْكُمْ بِصَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ؛ فَإِنَّهَا نِعَمَ الزَّادِ إِلَى الْمَعَادِ»(2).

3\_\_ وعد الله تعالى المؤمنين العاملين بالجنة، وخلق الله تعالى لهذه الجنة أبواباً وجعل بعضاً من هذه الأبواب باسم بعض المؤمنين كباب الريان للصائمين وباب المعروف لأهل المعروف كما ورد ذلك في الحديث الشريف عن أبي هاشم: (سَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ يَقُولُ:

«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ: الْمَعْرُوفُ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ.

فَحَمِدْتُ اللَّهَ تَعَالَى فِي نَفْسِي وَفَرِحْتُ مِمَّا أَتَكَلَّفُهُ مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ، فَنَظَرْتُ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ:

نَعَمْ قَدْ عَمِلْتَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ؛ وَإِنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ، جَعَلَ اللَّهُ مِنْهُمْ يَا أَبَا هَاشِمٍ وَرَحِمَكَ»(3)(4).

4\_\_ الباذل للمعروف ولو بقي الماء ورعاية الخلق لاسيما العجماءات (الحيوانات) سيجعله الله تعالى تحت ظله الذي لا يستغنى عنه أحد في يوم شديد لا ظل فيه كما ورد

1- المحاسن: ج 1، ص 294، ح 589. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2560، ح 12609.

2- غرر الحكم: 6166. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2560، ح 12610.

3- المناقب لابن شهر آشوب: ج 4، ص 432.

4- ميزان الحكمة: ج 6، ص 2561، ح 12617.

فى الحديث الشريف عن الإمام الباقر عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ إِبْرَادَ الْكَبِدِ الْحَرَّى، وَمَنْ سَقَى كَبِدًا حَرَّى مِنْ بَهِيمَةٍ أَوْ غَيْرِهَا أَظَلَّهُ اللَّهُ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»<sup>(1)</sup>.

5\_ لا يحتاج أهل المعروف إلى حسناتهم يوم القيامة لاستغنائهم عنها بفضل الله تعالى ومثته، وسيتبرعون بها إلى من هو بحاجة إليها كما جاء ذلك فى حديث الإمام الصادق عليه السلام:

«أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ تَرَجَّحَ لَهُمُ الْحَسَنَاتُ، فَيَجُودُونَ بِهَا عَلَى أَهْلِ الْمَعَاصِي»<sup>(2)</sup>.

### فوائد

1\_ لا يمنعك من فعل المعروف وبذله إلى خلق الله تعالى الناكرون والجاحدون فإنك تبدله لله تعالى وهو الذى يشكرك عليه وهذا ما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«فَلَا يُزْهَدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ كُفْرٌ مِنْ كَفْرِهِ، وَلَا جُحُودٌ مَنْ جَحَدَهُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ يَسْمَعُ مِنْكَ فِيهِ»<sup>(3)</sup>.

2\_ أنت لمعروفك أحوج من أهل الحاجة إليه كما فيه ثواب كبير وذكر دائم وسمعة حسنة.

3\_ لا تتردد فى أن تكون وسيلة لإيصال الخير إلى الآخرين وإن لم تكن أنت باذله، فإن لك كأجر الباذل كما أكد ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

1- الكافي: ج 8، ص 58، ح 6. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2563، ح 12631.

2- أمالى الطوسى: ص 304، ح 610. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2561، ح 12615.

3- مستدرک الوسائل: ج 12، ص 340، ح 14229. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2559، ح 12597.

«لَوْ جَرَى الْمَعْرُوفُ عَلَى ثَمَانِينَ كَفًّا لَأَجْرُوا كُلَّهُمْ فِيهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ صَاحِبُهُ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا»<sup>(1)</sup>.

4\_\_ لا تعطِ الخير ناقصاً ولا تفعل المعروف إلا بتمامه إذا كنت قادراً على ذلك وهذا ما أشار إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«استتمام المعروف أفضل من ابتدائه»<sup>(2)</sup>.

وما أرشدنا إليه وصيه الأول أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«جمال المعروف إتمامه»<sup>(3)</sup>.

5\_\_ إذا وفقت لبذل المعروف عليك الالتزام بخواصه الثلاث التي تجعله معروفاً كاملاً نافعاً في الدنيا والآخرة، فلا بد حينئذ من استقلاله (تصغيره)، وكنمه وسريته، والإسراع به إلى من هو بحاجة إليه وكن لقول أمامك الصادق عليه السلام مطبقاً إذ يقول:

«رَأَيْتُ الْمَعْرُوفَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِثَلَاثِ خِصَالٍ: تَصْغِيرِهِ، وَتَسْتِيرِهِ، وَتَعْجِيلِهِ؛ فَإِنَّكَ إِذَا صَدَّ غَرَّتَهُ عَظَمَتُهُ عِنْدَ مَنْ تَصْنَعُهُ إِلَيْهِ، وَإِذَا سَتَرْتَهُ تَمَمَّتْهُ، وَإِذَا عَجَلْتَهُ هَنَأَتْهُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ سَخَفَتْهُ وَنَكَدَتْهُ»<sup>(4)</sup>.

6\_\_ أن تأتي متأخراً خيراً من أن لا تأتي، وأن تبذل المعروف وإن كان قليلاً فهو نافع لاسيما في وقت الحاجة إليه فلذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَا تُحَقِّرَنَّ شَيْئاً مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهَكَ مَبْسُوطٌ إِلَيْهِ»<sup>(5)</sup>.

1- الكافي: ج 2، ص 18، ح 2. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2565، ح 12638.

2- ميزان الحكمة: ج 3، ص 1936، ح 2679.

3- ميزان الحكمة: ج 3، ص 1936، ح 2679.

4- الكافي: ج 4، ص 30، ح 1. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2567، ح 12662.

5- كنز الفوائد للكراچكى: ج 1، ص 212. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2568، ح 12665.

7\_\_ إذا أردت أن تعلم أنك مقبولاً- عند الله تعالى وأن معروفك سيجلب لك الثواب الجزيل، أنظر إلى موضعه فإذا أصاب معروفك موضعه فهو لا شك من الأعمال المقبولة عند الله تعالى وهذا ما أراد الإمام الصادق عليه السلام قوله:

لما سئل عن علامة قبول العبد عند الله \_\_:

«عَلَامَةُ قَبُولِ الْعَبْدِ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يُصِيبَ بِمَعْرُوفِهِ مَوَاضِعَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ كَذَلِكَ» (1).

### صفات أهل الفضل

ورد في مواقع متعددة من القرآن الكريم ما يشير إلى الأفضلية والتفاضل كما في قوله تعالى:

(انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) (2).

وقوله تعالى:

(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) (3).

وقوله تعالى:

(وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ) (4).

1- بحار الأنوار: ج74، ص419، ح47. ميزان الحكمة: ج6، ص2568، ح12667.

2- سورة الإسراء، الآية: 21.

3- سورة البقرة، الآية: 253.

4- سورة الأنعام، الآية: 86.



وما جاءت الآيات الكريمة إلا لتبين أن هناك رجحات لشخص على آخر هي سر التفاضل بين الأنبياء والمرسلين.

فالفضيلة كما جاء في اللغة هي الدرجة الرفيعة في حسن الخلق(1).

وتفاضل القوم: تنافسوا في الفضل أى فيما هو رفيع وشريف وعالٍ.

حث الأئمة الأطهار عليهم السلام على التحلى بالفضائل لما لها من آثار وفوائد عالية وهذا ما نلمسه في قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«فخر المرء بفضله لا بأصله»(2).

ولكى نطلع على صفات أهل الفضل لابد من الوقوف على موجبات الفضيلة التي تعد سلماً للرفعة والعلو:

1\_\_ الإيثار الذي هو تقديم مصلحة الغير على مصلحة النفس يوجب الفضيلة لقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«من آثر على نفسه استحق اسم الفضيلة»(3).

2\_\_ عدم العجب بالنفس وعدم الترفع على الآخر مما يجعل المرء فاضلاً كما في قول الإمام على عليه السلام:

«كفى بالمرء فضيلة أن يُتَّقَصَّ نفسه»(4).

3\_\_ الصفح والتسامح والعفو عند القدرة صفات أهل الفضل كما ورد عنه عليه السلام:

«الفضل أنك إذا قدرت عفوت»(5).

1- المعجم الوسيط: ص 693.

2- جامع أحاديث أهل البيت عليهم السلام، الشيخ هادي النجفي: ج 8، ص 475، ح 10453.

3- ميزان الحكمة: ج 1، ص 18، ح 4 منزلة الإيثار.

4- ميزان الحكمة: ج 3، ص 2433، ح 3212 ما به فضيلة الإنسان.

5- المصدر السابق.

4\_ الإحسان والابتداء به يقود إلى الفضل كما فى قوله عليه السلام:

«الفضل مع الإحسان»(1).

5\_ الورع والطاعة والانتقاد لله تعالى تجسد التقوى فى صاحبها فيكسب بذلك أن يكون من أهل الفضل كما فى وصف أمير المؤمنين عليه السلام للمتقين:

«فالمتمتقون فيها هم أهل الفضائل: منطقتهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد»(2).

وهناك كثير من الفضائل التى تصبغ صاحبها بالفضيلة كالمروءة وبث المعروف والإحسان وأداء المفروضات والنوافل والابتعاد عن الشبهات وهذا ما أشارت إليه مجموعة من الأحاديث الشريفة تركناها للاختصار، ومن شاء الإطلاع عليها فليطلبها من مظانها(3).

وما جاء عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بيّن منزلة أهل الفضل ومقامهم فى يوم القيامة كما بيّن الأعمال التى جعلتهم هكذا كما فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا جُمِعَ الخلائقُ يومَ القيامةِ نادى مُنادٍ: أينَ أهلُ الفضلِ؟ فيقومُ أناسٌ وهم يسيرونَ سراعاً إلى الجنّةِ، فتلقاهم الملائكةُ فيقولونَ: إنّا نراكم سراعاً إلى الجنّةِ! فيقولونَ: نحنُ أهلُ الفضلِ، فيقولونَ: ما كانَ فضلُكم؟ فيقولونَ: كُنّا إذا ظلّمنا غفّرنّا، وإذا أسىءَ إلينا عَفَونا، وإذا جُهِلَ علينا حلّمنا، فيقالُ لَهُم: ادخلوا الجنّةَ فَنِعَمَ أجرُ العاملينَ»(4).

1- المصدر السابق.

2- ميزان الحكمة: ج3، ص2433، ح3212 أفضل الفضائل.

3- ميزان الحكمة: ج8، ص3218 \_\_ 3219.

4- تنبيه الخواطر: ج1، ص124. ميزان الحكمة: ج8، ص3219 \_\_ 3220، ح15963.

## الخطبة الرابعة: في مكارم الأخلاق

إشارة



## نص الخطبة

## إشارة

(إِنَّ الْجَلْمَ زِينَةٌ، وَالْوَفَاءَ مُرُوءَةً، وَالصَّلَةَ نِعْمَةً، وَالْإِسْمَ تِكْبَارَ صَلَفٍ، وَالْعَجَلَةَ سَفَهٌ، وَالسَّفَهَ ضَعْفٌ، وَالْغُلُوبَ وَرُطَةً، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الدَّنَاءَةِ شَرٌّ، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْفِسْقِ رَيْبَةٌ).

إن الأناة وضبط النفس وكظم الغضب حسن وجمال، والصدق بالوعد والعدد كمال الرجولة، والرحمة والتواصل وعدم الهجران منة وفضل من الله تعالى، والتعالي والتعاطف وعدم قبول الحق عجب وتكبر، والتسرع خفة وطيش وجهل، وهذه الخفة والطيش هي قلة فطنة وضعف فؤاد، وتجاوز الحد والإفراط أمر يتعسر النجاة منه، والقعود مع الأراذل والاختلاط بهم سوء وفساد ومغالطة، والقعود مع أهل العصيان تهمة وظن وشك.

## بحث أخلاقي

## مكارم الأخلاق شيمة المؤمنين

منذ أن وطئ الإنسان بقدميه تراب هذه الأرض وطئها وهو مزودٌ بالأخلاق الفاضلة وعارفٌ للأخلاق الفاسدة ومأمورٌ من قبل الله تعالى بالتحلى بكل الفضائل لكي يصل إلى غايته التي خلق من أجلها ألا وهي عبادة الله سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (1).

فصارت مكارم الأخلاق من لوازم الحياة الصحيحة على الأرض ومن لوازم الأمم التي تنشأ الرفعة والطهارة، فأخذت الشرائع السماوية كمال الإنسان غاية لها وبدأ الأنبياء عليهم السلام بالإرشاد والتربية والترقية لهذه النفوس الجامحة التي تميل بطبعها للراحة الدعة، وتوالت الأنبياء عليهم السلام على قيادة البشرية إلى الكمال حتى وصلت إلى خاتمها وسيد رسلها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي صرح بكلمته الخالدة:

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(1).

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«حُسْنُ الْخُلُقِ مِنْ أَفْضَلِ الْقِسْمِ وَأَحْسَنِ الشِّيمِ»(2).

ولكى نقف على معنى الأخلاق وحسنها وما يترتب عليها لابد من الحديث عن العنوانين المختلفة في ذلك.

### الخلق وعاء الدين

تقدم بيان علاقة الدين بالأخلاق الفاضلة، وعرفنا حرص الأنبياء عليهم السلام على تزويد أممهم بالمكارم والسمو ولكى يتضح العنوان لابد من معرفة مفهومه في اللغة والاصطلاح:

الخلق في اللغة: حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر أو روية، ومجموعها أخلاق(3).

الخلق في الاصطلاح: سلوك يسلكه الإنسان في ميدان الفضائل أو الرذائل

1- ميزان الحكمة: ج1، ص804، ح1111.

2- غرر الحكم: 4842. ميزان الحكمة: ج3، ص1073، ح5000.

3- المعجم الوسيط: ص252.

ويصنع صاحبه بالحسن أو القبح.

والسلوك أو الحال الذى يتصف به الإنسان له ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: هى الاتصاف بصفة على وجه السرعة وفقدانها بذات السرعة وهذا ما يسمى (بالحال) كما فى حمرة الخجل أو صفرة الوجل التى تحصل للمرء عند وجود السبب لها وترتفع بارتفاعه.

المرتبة الثانية: هى الاتصاف بصفة ما ببطء وتكرار حتى ترسخ فى النفس إلى درجة (الملكة) فتصدر عن صاحبها بسهولة وسرعة دون تأمل أو روية.

المرتبة الثالثة: هى اتصاف الإنسان بصفة وصلت إلى حد (الاتحاد) مع ذاته ولا تزول إلا بزوال الذات.

فالحالة الأولى لا يمكن أن نطلق عليها بأنها خلق لسرعة الاتصاف بها وسرعة زوالها، وأما الحالة الثانية والثالثة هى المعنيّة بذلك وهى التى يصدق عليها بأنها (خلق) فالاتصاف بالخلق الفاضل هو الدين أو من الدين وهذا ما أكدّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم من بين يديه فقال: يا رسولَ الله، ما الدينُ؟ فقال:

حُسْنُ الخُلُقِ.

ثُمَّ أتاه عن يمينه فقال: ما الدينُ؟ فقال:

حُسْنُ الخُلُقِ.

ثُمَّ أتاه من قِبَلِ شماله فقال: ما الدينُ؟ فقال:

حُسْنُ الخُلُقِ.

ثُمَّ أتاه من ورائه فقال: ما الدينُ؟ فالتفت إليه وقال:

أَمَا تَقْقَهُ؟! الدِّينُ هُوَ أَنْ لَا تَغْضَبَ»(1).

فلذا صار الخلق وعاءً ومكاناً مناسباً للدين وهذا ما اتصف به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي أفاض الله تعالى عليه نعمة النبوة وحباه بالوحي دون غيره لخلقه الرفيع الذي وصل إلى درجة أن ينال مدح الله تعالى وثناء المولى على العبد بقوله:

(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (2).

### مكارم الأخلاق في نظر أهل البيت عليهم السلام

مكارم الأخلاق هبة يهديها الله تعالى لخلقه ترتفع بصاحبها إلى الدرجات العليا والمراتب الرفيعة، وهي درع واقية ضد الآثام والذنس فلذا أكثر أهل البيت عليهم السلام من الحث عليها بأنواعه الآتية:

1\_\_ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«عَلَيْكُمْ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَنِي بِهَا، وَإِنَّ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ أَنْ يَعْفُو الرَّجُلُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِيَ مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَأَنْ يَعُودَ مَنْ لَا يَعُودُهُ»(3).

2\_\_ وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ صِلَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، فَحَسَبُ أَحَدِكُمْ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِخُلُقٍ مُتَّصِلٍ بِاللَّهِ»(4).

1- تنبيه الخواطر: ص 89. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1076، ح 5030.

2- سورة القلم، الآية: 4.

3- أمالي الطوسي: ص 478، ح 1042. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1081 \_\_ 1082، ح 5061. س

4- تنبيه الخواطر: ج 2، ص 122. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1082، ح 5063.



3\_\_ وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«فَهَبْ أَنَّهُ لَا ثَوَابَ يُرْجَى وَلَا عِقَابَ يُتَّقَى، أَفْتَرَّهَدُونَ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ؟!» (1).

4\_\_ وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«ثَابِرُوا عَلَى أَقْبَانِ الْمَكَارِمِ» (2).

وهناك الكثير من الأحاديث التي حثت البشرية على التحلى بهذه المكارم التي لا غنى عنها لعامل متبصر ولا لأمة تنشد الحياة الحقيقية، ولكي يتضح الأمر ويسعى المرء لنيل هذه المكارم لابد من الاطلاع عليها ومعرفتها، فلقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حديثان جمع فيهما أغلب مكارم الأخلاق وهما كما يلي:

1\_\_ قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَصَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَاْمْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ؛ فَإِنْ كَانَتْ فِيكُمْ فَاحِمَةٌ دَوَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَارْغَبُوا إِلَيْهِ فِي الزِّيَادَةِ مِنْهَا.

فَذَكَرَهَا عَشْرَةً: الْيَقِينُ، وَالْقَنَاعَةُ، وَالصَّبْرُ، وَالشُّكْرُ، وَالْحِلْمُ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَالسَّخَاءُ، وَالغَيْرَةُ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالْمُرُوَّةُ» (3).

2\_\_ وعنه عليه السلام:

«الْمَكَامُ عَشْرٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَطَعَتْ أَنْ تَكُونَ فِيكَ فَلْتَكُنْ، فَإِنَّهَا تَكُونُ فِي الرَّجُلِ وَلَا تَكُونُ فِي وَلَدِهِ، وَتَكُونُ فِي وَلَدِهِ وَلَا تَكُونُ فِي أَبِيهِ، وَتَكُونُ فِي الْعَبْدِ وَلَا تَكُونُ فِي الْحُرِّ: صِدْقُ الْبَأْسِ، وَصِدْقُ اللِّسَانِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةُ

1- غرر الحكم: 6278. ميزان الحكمة: ج3، ص1081، ح5060.

2- غرر الحكم: 4712. ميزان الحكمة: ج3، ص1079، ح5046.

3- أمالي الصدوق: ص184، ح8. ميزان الحكمة: ج3، ص1080، ح5052.

الرَّحِمِ، وإِقْرَاءِ الضَّيْفِ، وإِطْعَامِ السَّائِلِ، وَالْمُكَافَأَةِ عَلَى الصَّنَائِعِ، وَالتَّدَمُّمِ لِلجَارِ، وَالتَّدَمُّمِ لِلصَّاحِبِ، وَرَأْسُهُنَّ الحَيَاءُ»(1).

وعند التأمل في هذين الحديثين نجد الإمام عليه السلام يحث على رفض الشك باطناً وظاهراً، والرضا بما قسم الله تعالى، والتحلى بعدم الجزع ونبذ الجزع ونبذ الشعور بالملل لاسيما في الطاعات، والعرفان بالجميل ومكافأة المنعم، والتحلى بضبط النفس عند الغضب، والعشرة بالمعروف والتلبس بالأداب الجميلة، والكرم والبذل ابتداءً أو عند السؤال، والحرص على الدين والمعرض والمقدسات، ورد العادى والثبات له، والفتوة والشيمة، وقول الحقيقة، والحفاظ على أمانات الناس وإرجاعها، والتواصل مع القربى، وإكرام الضيف وحسن الجوار، والخجل من الله تعالى ومن الناس عند الإقدام على ما يخدش الحياء.

كما أن هناك صفات أخرى عدّها الأئمة عليهم السلام من مكارم الأخلاق كالعفو عن الظالم، ومواساة الرجل أخاه في ماله، وذكر الله تعالى كثيراً.

## \_\_ نَمَائِج

1\_\_ هناك تلازم بين الخلق الحسن والعقل، وبين الخلق السيئ والجهل وهذا ما يحث على طلب الالهى لبناء (كما هو فى الأصل)

العقل وكماله لكى يتصف صاحبه بالخلق الحسن فلذا نجد أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد على ذلك بقوله:

«الْخُلُقُ الْمَحْمُودُ مِنْ ثِمَارِ الْعَقْلِ، الْخُلُقُ الْمَذْمُومُ مِنْ ثِمَارِ الْجَهْلِ»(2).

2\_\_ إذا كانت صورة المؤمن جميلة فليحافظ على جمالها بحسن الخلق، يقولون

1- الخصال: ص 431، ح 11.

2- غرر الحكم: 1280 \_\_ 1281. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1072، ح 4993.

جميلاً في الظاهر والباطن كما ورد ذلك في سفينة البحار عن جرير بن عبد الله قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّكَ امْرَأَةٌ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ خَلْقَكَ فَأَحْسِنِ خُلُقَكَ» (1).

3\_\_ إذا ادعى شخص الإيمان فانظر إلى ما يستند عليه هذا لإيمان فإن كان له خلق حسن فنعم السند وإلا فلا، وهذا أشار إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِيمَانَ قَالَ: اللَّهُمَّ قَوِّنِي، فَقَوَّاهُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ وَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْكُفْرَ قَالَ: اللَّهُمَّ قَوِّنِي، فَقَوَّاهُ بِالْبُخْلِ وَسُوءِ الْخُلُقِ» (2).

4\_\_ إذا رغبت في ثواب القائمين والصائمين عليك بالخلق الحسن لتنال درجاتهم وهذا ما أشار إليه نبي الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ بَلَغَهُ اللَّهُ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ» (3).

5\_\_ إذا ضعفت نفسك عن العبادة ولم تتوفر لك مستلزمات كصحة البدن وعدم الغفلة والنشاط البدني والإقبال القلبي، ليس لك دواء لدائك إلا حسن الخلق فلذا اسمع قول سيد المرسلين في ذلك إذ يقول:

«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ وَسُرْفِ الْمَنَازِلِ، وَإِنَّهُ لَصَعِيفُ الْعِبَادَةِ» (4).

6\_\_ إذا أردت لميزانك أن يكون ثقيلاً يوم توضع الموازين عليك بالتحلى بالخلق الحسن، وهذا ما صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ» (5).

1- سفينة البحار: ج 1، ص 410. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1073، ح 4998.

2- المحجّة البيضاء: ج 5، ص 90. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1072، ح 4986.

3- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج 2، ص 71، ح 328. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1074، ح 5009.

4- المحجّة البيضاء: ج 5، ص 93. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1074، ح 5010.

5- ميزان الحكمة: ج 3، ص 1074، ح 5016. بحار الأنوار: ج 71، ص 383، ح 17.

## أَسْئَلَةٌ مَهْمَةٌ

السؤال الأول: ما هي الصفات التي اتصف بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكي ينال المدح الإلهي بقوله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم)؟.

الجواب: كان خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الانقياد والطاعة والعبودية التامة لربه سبحانه، وهذا ما ذكره الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى:

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (1).

«هو الإسلام» (2).

وكان خلقه القرآن كما ذكر ذلك الحسن البصري وقبله عائشة.

السؤال الثاني: من هو الذي سيجلس قريبا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة ويكون محبوباً إليه؟

الجواب: هذا ما أجاب عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبُكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْلِسًا أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا وَأَشَدُّكُمْ تَوَاضُعًا» (3).

السؤال الثالث: ما هو تفسير حسن الخلق؟

الجواب: 1— أن تكون متواضعا لطيفا ذا رفق ورحمة، وأن لا تتكلم إلا بما يرضى الله تعالى وليقع كلامك في قلوب مستمعيك، وأن تعلق وجهك بطلاقة وسماحة، فإن هذه الصفات هي التي يتجسد فيها حسن الخلق كما أخبر بذلك الإمام الصادق عليه السلام لَمَّا سُئِلَ عَنْ حَدِّ حُسْنِ الْخُلُقِ قَالَ:

1- سورة القلم، الآية: 4.

2- معاني الأخبار: ص 188، ح 1. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1075، ح 5019.

3- بحار الأنوار: ج 71، ص 385، ح 26.

«تَلِينُ جَانِبِكَ، وَتُطِيبُ كَلَامَكَ، وَتَلْقَى أَخَاكَ بِبِشْرِ حَسَنِ» (1).

2\_ الرضا بعطاء الله تعالى والقناعة به، وعدم الغضب والانفعال عند عدم الحصول على الدنيا، هكذا فسر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حسن الخلق بقوله:

«إِنَّمَا تَفْسِيرُ حُسْنِ الْخُلُقِ: مَا أَصَابَ الدُّنْيَا يَرْضَى، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ لَمْ يَسْخَطْ» (2).

3\_ التنزه عن المعاصى وترك الانغماس فيها، والسعى فى طلب الرزق الحلال الطيب، وإكرام الزوجة والأولاد أو من تجب عليك إعالته، هذا مما عدّه أمير المؤمنين من حسن الخلق بقوله:

«حُسْنُ الْخُلُقِ فِي ثَلَاثٍ: اجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ، وَطَلْبُ الْحَلَالِ، وَالتَّوَشُّعُ عَلَى الْعِيَالِ» (3).

السؤال الرابع: ما هو المميز بين الفضائل والردائل؟

الجواب: عدم الإفراط أو التفريط هو الذى يسبغ الأفعال والأقوال بالصيغة الحسنة، وبعكسه يقع القبح وتشوه الصورة، ولا بأس أن نبين ذلك من خلال المثال:

إذا أردت أن تنفق فإن زاد عن حده فهو إسراف وإن قصر عن حده فهو بخل، وهكذا تجرى القاعدة فى الأمور الأخرى، وخير ما يؤكد ذلك قول الإمام العسكرى عليه السلام إذ يقول:

«إِنَّ لِلسَّخَاءِ مِقْدَاراً فَإِنْ زَادَ عَلَيْهِ فَهُوَ سَدْرٌ، وَلِلْحَزْمِ مِقْدَاراً فَإِنْ زَادَ عَلَيْهِ فَهُوَ جُبْنٌ، وَلِلْاِقْتِصَادِ مِقْدَاراً فَإِنْ زَادَ عَلَيْهِ فَهُوَ بُخْلٌ، وَلِلشَّجَاعَةِ مِقْدَاراً فَإِنْ زَادَ عَلَيْهِ فَهُوَ تَهَوُّرٌ» (4).

1- معانى الأخبار: ص 253، ح 1. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1076، ح 5027.

2- كنز العمال: 5229. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1076، ح 5028.

3- بحار الأنوار: ج 71، ص 394، ح 63. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1076، ح 5029.

4- بحار الأنوار: 69، ص 407، ح 115.

السؤال الخامس: كيف نحكم على من نعاشر؟

الجواب: 1\_\_ ينصح أمير المؤمنين عليه السلام من يريد أن يكون رأياً عن صاحبه أن ينظر إلى أفعاله وصفاته فإن وجد صفة جيدة فليتنظر إلى الصفات الأخرى هل ستكون بجانبها وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله:

«إِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ خَلَّةٌ رَائِقَةٌ فَانْتَظِرْ وَأَخْوَاتِهَا» (1).

2\_\_ إذا لمست بخلاًّ وسوء خلق من صاحبك فاحكم ببعده عن الإيمان، وذلك ما صرح به رسول الإنسانية صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«خَصَلْتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مَوْءِنٍ: الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ» (2).

### ثمرات حسن الخلق

#### إشارة

ما حثت الشرائع وما صدع الأنبياء عليهم السلام بحسن الخلق إلا لما فيه من فوائد جمّة على مستوى الدنيا والآخرة، ولقد تقدم بيان ثماره في الآخرة في أحاديث متفرقة: كبلوغ صاحب الخلق الحسن درجة الصائمين والقائمين، والقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجلساً يوم القيامة، وثقل الميزان بالحسنات والثواب الجزيل.

وأما ثماره في الدنيا فهي كالاتي:

1\_\_ ينال صاحبه سعة في رزقه ويكثر أصدقاؤه كما قال ذلك الإمام على عليه السلام:

«حُسْنُ الْخُلُقِ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ، وَيُؤْنَسُ الرَّفَاقُ» (3).

1- نهج البلاغة: الحكمة 445. ميزان الحكمة: ج3، ص 1088، ح 5123.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج6، ص 337. ميزان الحكمة: ج3، ص 1085، ح 5097.

3- غرر الحكم: 4856. ميزان الحكمة: ج3، ص 1083، ح 5076.

2\_ قالوا إن دار الظالم خراب، وأقول إن دار سيئ الخلق مثله، ولكن دار من حسن خلقه عامرة بأهلها وبنائها، وعمر سيئ الخلق قصير مبتور، وعمر حسن الخلق طويل في طاعة الله تعالى، ولذا نجد الإمام الصادق عليه السلام يقول:

«إِنَّ الْبِرَّ وَحُسْنَ الْخُلُقِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»(1).

3\_ إذا سر العاقل أن يكون محبوبا ومحترما عند الناس، فما عليه إلا أن يكون ملتزما بحسن الخلق، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«حُسْنُ الْخُلُقِ يُنْبِتُ الْمَوَدَّةَ»(2).

### \_\_ سوء الخلق في نظر أهل البيت عليهم السلام

تقدم الكلام عن حسن الخلق ومكارمه في نظر أهل البيت عليهم السلام فكان كلاما يسر العقول ويشنف الأسماع ويقوى القلوب ويبعث على التنافس في المكارم، فحسن الخلق طيب يتعطر به المؤمنون، وتاج يتزين به العقلاء، ودرع يتوقى بها مجاهدوا النفوس، ووسيلة يتقرب بها المتقربون، وجلباب يتجلبب به أهل الحياء، ودرجة يرتقى بها أهل العلو والرفعة، وفضل يمنّ به المحسنون، وعدل يحكم به الحاكمون، وبر يبذله أهل المعروف، ورضا تقنع به النفوس، واطمئنان تتحلى به القلوب، وأنس يأنس به الأصحاب.

وأما سوء الخلق! مرض يصيب الجاهلين، وتنانة يفر منها أهل الذوق، ودناءة للنفوس، وتسافل في الدرجات، وفساد للعمل الصالح، وقرين مانع للخير، ووحشة للأهل والأحباب، وحاجب عن التوبة، وغم لا ينجلى، وهم لا ينكشف، وعذاب لا يزول إلا بزوال صاحبه، ونكد للعيش، وبعد عن الله تعالى، وجفوة للدين، ومخالفة لسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، وترك لسيرة المعصومين عليهم السلام وسبيل إلى النار.

1- بحار الأنوار: ج 71، ص 395، ح 73. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1083، ح 5077.

2- بحار الأنوار: ج 77، ص 148، ح 71. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1084، ح 5080.

## آثار سوء الخلق

## إشارة

بعد هذا الوصف الذى وصف أهل البيت عليهم السلام فيه سوء الخلق نجد أنفسنا فى غنى عن ذكر آثاره ولكن ليطمئن قلب القارئ بذكر بعض أحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام الذين حذروا من سوء الخلق وبيّنوا سوء عواقبه:

1\_\_ ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ أَشْفَلَ دَرَكِ جَهَنَّمَ» (1).

2\_\_ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَبْعَدِكُمْ مِنِّي شَبَهًا؟»

قالوا: بلى يا رسول الله، قال:

الفاحشُ المُتَفَحِّشُ البَذِيءُ، البَخِيلُ، المُخْتَالُ، الحَقُودُ، الحَسُودُ، القاسى القلب، البعيدُ من كُلِّ خَيْرٍ يُرْجَى، غَيْرُ المَأْمُونِ من كُلِّ شَرٍّ يُتَّقَى» (2).

3\_\_ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«الْخُلُقُ السَّيِّئُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ» (3).

4\_\_ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ أَعْوَزَهُ الصَّدِيقُ وَالرَّفِيقُ» (4).

وقال عليه السلام:

«مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ ضَاقَ رِزْقُهُ» (5).

1- المحجبة البيضاء: ج 5، ص 93. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1086، ح 5101.

2- الكافي: ج 2، 291، ح 9. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1086 \_ 1087، ح 5110.

3- الكافي: ج 2، 321، ح 1. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1084، ح 5086.

4- غرر الحكم: 9187. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1086، ح 5105.

5- غرر الحكم: 8023. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1086، ح 5106.



5\_\_ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«سُوءُ الْخُلُقِ شَرُّ قَرِينٍ»(1).

وعنه عليه السلام:

«سُوءُ الْخُلُقِ نَكْدُ الْعَيْشِ وَعَذَابُ النَّفْسِ»(2).

وقال عليه السلام أيضا:

«سُوءُ الْخُلُقِ يُوحِشُ النَّفْسَ، وَيَرْفَعُ الْأَنْسَ»(3).

6\_\_ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ»(4).

### \_\_ الحلم

أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى صفة لا غنى عنها في الحياة الدنيا لاسيما عند معاشره اللؤماء والجاهلين، فهذه الصفة تظهر بتمامها في اسم الحلیم الذي هو من أسماء الله تعالى الحسنی، إلا أن تفسير هذه الصفة التي يتصف بها الله تعالى غير تفسيرها عندما يتصف بها العبد، ولكي يتضح الأمر بدرجة أكثر لا بد من التعرض لمعرفة مفهوم الحلم لغة واصطلاحا.

الحلم في اللغة: هو ترك العجلة، الصفح والستر، هو الأناة وضبط النفس، حَلْمٌ: تأنى وسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة وقوة(5).

- 1- غرر الحكم: 5567. ميزان الحكمة: ج3، ص1085، ح5089.
- 2- غرر الحكم: 5639. ميزان الحكمة: ج3، ص1085، ح5090.
- 3- غرر الحكم: 5640. ميزان الحكمة: ج3، ص1085، ح5091.
- 4- بحار الأنوار: 78، ص246، ح62. ميزان الحكمة: ج3، ص1086، ح5102.
- 5- المعجم الوسيط: ص194.

الحلم فى الاصطلاح: هو السيطرة على النفس عند هيجان الغضب وضبطها عن الانتقام مع القدرة عليه دون أن يستلزم ذلك الذل والهوان. وصف أهل البيت عليهم السلام الحلم بأنه من الفضائل التى يتجمل به صاحبه، ويتخذ منه واقياً من الإصابة بالبلايا والعواقب الوخيمة، بل هو من لوازم الإيمان وكمال العقول، وهو علامة الاتزان، وسبب تكوّن العشيرة، ودلالة على عبادة صاحبه، ووسيلة لسيادته على غيره، وطريقة للانتصار على العدو، ورد للسفيه، ومدعاة للسلم.

## بحث عقائدى

### غضب وحلم الله تعالى

تقدم الكلام عن أن الحلم هو الأناة وضبط النفس والسكن عند الغضب، فلذا ورد فى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ما يصرح بأن الله سبحانه يتصف بالحلم ويتسمى بالحليم كما فى قوله تعالى:

(وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَذَكَّرُونَ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (1).

وفى قوله تعالى:

(إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ) (2).

1- سورة البقرة، الآية: 235.

2- سورة التغابن، الآية: 17.

وهناك الكثير من الآيات الأخرى التى تصرح بذلك، كما ورد أيضا فى الأحاديث الشريفة، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم، من دعائه فى يوم الأحزاب:

«إلهى أنت الحليم الذى لا يجهل»(1).

وورد أيضا عن الإمام الكاظم عليه السلام فى صفة الله تعالى قوله:

«الحليم الذى لا يعجل»(2).

ومما لا شك فيه أن الاتصاف بالحلم لا يأتى إلا بعد غضب يعترى الساكن فيهيج بسببه فيبادر إلى رد فعل عنيف أو يحاول ضبط نفسه والسيطرة على سلوكه، فيلزم من ذلك حدوث تغير فى حاله، ولكن لا تجرى هذه التغيرات فى الله سبحانه لاستحالة قيام الحوادث وطريئها على ذاته سبحانه لأنه واجب الوجود، ولكى يتضح الأمر جليا لابد من الوقوف على معنى الغضب الإلهى سواالحلم الإلهى.

قبل الاطلاع على معنى الغضب الإلهى لابد أن نعرف أن الله تعالى يغضب على عباده العصاة كما ورد ذلك فى كثير من الآيات الشريفة كما فى قوله تعالى:

(صَبَرْتُ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبَلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبَلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَصَبَرْتُ عَلَيْهِمُ الْمَسَكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (3).

وفى قوله تعالى:

(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (4).

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج 91، ص 212، ح 7.

2- موسوعة العقائد الإسلامية، محمد الريشهرى: ج 4، ص 152، ح 4443.

3- سورة آل عمران، الآية: 112.

4- سورة النساء، الآية: 93.

وقوله تعالى:

(كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى) (1).

وهناك الكثير من الآيات الأخرى التي تصرح بذلك فراجع.

ورد في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يؤكد ذلك كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم لما سأله رجل: أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ آمِنًا مِنْ سَخَطِ اللَّهِ \_\_ قال:

«لَا تَغْضَبْ عَلَى أَحَدٍ تَأْمَنَ غَضَبَ اللَّهِ وَسَخَطَهُ» (2).

وورد عن الإمام الباقر عليه السلام أن الغضب مذکور في التوراة أيضا كما في قوله عليه السلام:

«مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ...: يَا مُوسَى، أَمْسِكْ غَضَبَكَ عَمَّنْ مَلَكَتْكَ عَلَيْهِ، أَكُفَّ عَنْكَ غَضَبِي» (3).

وما ذكره السيد المسيح عليه السلام يؤكد أن الأديان السماوية تشير إلى أن الله تعالى يغضب ويحل غضبه على من يستحقه كما في قوله عليه السلام:

(لَمَّا سَأَلَهُ الْحَوَارِيُّونَ: أَيُّ الْأَشْيَاءِ أَشَدُّ؟ \_\_: أَشَدُّ الْأَشْيَاءِ غَضَبُ اللَّهِ.

قالوا: فيما يُتَّقَى غَضَبُ اللَّهِ؟، قال: بَأَنْ لَا تَغْضَبُوا) (4).

بعد أن عرفنا بموجب الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أن الله تعالى يغضب

1- سورة طه، الآية: 81.

2- كنز العمال: 44154. ميزان الحكمة: ج 7، ص 3009، ح 15052.

3- الكافي: ج 2، ص 303، ح 7. ميزان الحكمة: ج 7، ص 3008، ح 15050.

4- مشكاة الأنوار: ص 219. ميزان الحكمة: ج 7، ص 3008، ح 15051.

على من يستحق الغضب وينزل غضبه على ذلك العاصي المستحق لهذا الغضب وعرفنا من خلال الآيات التي تقدم ذكرها في ذكر صفة الحلم بأنه تعالى يتصف بالحلم ويصف نفسه سبحانه بالحليم، فبعد هذا صار من الضروري أن نعرف المعنى الحقيقي لغضب الله تعالى وحلمه على عباده فنقول:

عرف أهل اللغة الغضب بأنه: البغض وحب الانتقام من المبعوض(1).

وجاء في المعجم الوسيط، غضب عليه غضباً: سخط عليه وأراد الانتقام منه، الغضب: استجابة لانفعال تتميز بالميل إلى الاعتداء(2).

الغضب في الاصطلاح: هو هياج يعتري الإنسان يدفعه إلى رد فعل عنيف.

ولو تأملنا ما تقدم من معان للغضب لا نجد لها تصالحاً للإنطباق على الغضب الإلهي لما فيها من فساد عقائدي فلم يبق لنا إلا أن نطرق باب أهل بيت العصمة عليهم السلام لنعرفنا المعنى الحقيقي لغضب الله تعالى.

لقد ورد من محاوراة بين رجل يدعى (عمرو بن عبيد) والإمام الصادق عليه السلام في ذلك وهي كالاتي:

قال عمرو بن عبيد: أخبرني (جعلت فداك) عن قوله جل ذكره:

(وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى) (3).

ما غضب الله؟

فقال أبو جعفر عليه السلام:

«غضب الله عقابه يا عمرو، ومن ظن أن الله يغيره شيء فقد كفر».

1- المنجد الأجدى: ص 737.

2- المعجم الوسيط: ص 654.

3- سورة طه، الآية: 81.

وورد في توحيد الصدوق: (أن أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا الحسن بن علي السكري، قال: حدثنا محمد بن زكريا الجوهري، عن جعفر بن عمارة، عن أبيه قال: سألت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله أخبرني عن الله عز وجل هل له رضا وسخط؟ فقال:

«نعم وليس ذلك على ما يوجد في المخلوقين ولكن غضب الله عقابه، ورضاه ثوابه»(1).

وعند التأمل في هذين الحديثين الشريفين يتضح لنا المعنى الحقيقي لـ (غضب الله تعالى) وليس هو إلا عقابه أو عذابه وليس ثورة وهياجاً وتغييراً لاستحالة ذلك في الذات الإلهية.

وأما المعنى الحقيقي لحلم الله تعالى هو الغض عن معاصي العباد، وأنه لا يعجل في مؤاخذتهم، بل يمهل ولا يهمل أى يرجئ العقوبة إلى حين آخر بحكمته، وهذا ما أكدته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«أوصى الله عز وجل إلى أخى العزيز.. لا تأمن مكرى حتى تدخل جنتي، فاهتز عزيز يبكي، فأوصى الله إليه لا تبك يا عزيز، فإن عصيتني بجهلك غفرت لك بحلمي، لأنى كريم لا أعجل بالعقوبة على عبادى وأنا أرحم الراحمين»(2).

خلاصة الكلام: أن الغضب الإلهي هو العقاب والعذاب وليس هياجاً أو فورة دم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وأما الحلم فهو تأخير العقوبة وإرجاؤها إلى حين وليس سكوناً وهدوءاً وضبط نفس لاستحالة اتصافه بذلك لأنه تعالى ليس محلاً لطوء الحوادث أو التغيير.

1- كتاب التوحيد للصدوق: ص 170.

2- موسوعة العقائد الإسلامية: ج 2، ص 151.

## الحلم فى نظر أهل البيت عليهم السلام

## إشارة

الحلم هذه الصفة التى لا يستغنى عنها العقلاء فسرّها أهل البيت عليهم السلام بأنها الرّبط الشّديد لفوهة النفس لكى لا يخرج غضبها والسيطرة والاستيلاء على القلب عندما تعصف به فورة الدم ولذلك قال الإمام الحسن عليه السلام وقد سئل عن الحلم:

«كظم الغيظ وملك النفس»(1).

ويرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الحلم بأنه القدرة على الاحتمال بقوله:

«كمال العلم، وكمال الحلم، وكثرة الاحتمال والكظم»(2).

بل يدعو الإمام إلى أن يترجم الحليم حلمه إلى تجلّد وسكوت كما فى قوله عليه السلام:

«الحلم كالصبر والصمت»(3).

ويشير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى زاوية أخرى ليعرف لنا الحلم بالعشرة الهادئة التى يضطر إليها الإنسان عند ابتلائه بلثيم أو أحمق أو سبئ العشرة ولذا نجده يقول صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَيْسَ بِحَلِيمٍ مَنْ لَمْ يُعَاشِرْ بِالْمَعْرُوفِ مَنْ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُعَاشَرَتِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَخْرَجًا»(4).

ويرى الإمام الباقر عليه السلام أن دفع الشر والضرر من أفراد الحلم الذى يحتاج عند الابتلاء بذلك كما فى قوله عليه السلام:

«لَيْسَ الْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَتَّقَى أَحَدًا فِي مَكَانِ التَّقْوَى»(5).

1- تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص 225.

2- موسوعة العقائد الإسلامية: ج 2، ص 412، 2913.

3- المصدر السابق.

4- كنز العمال: 5815. ميزان الحكمة: ج 2، ص 910، ح 4348.

5- الكافي: ج 8، ص 55، ح 16. ميزان الحكمة: ج 2، ص 910، ح 4350.

**\_\_ آثار الحلم**

لا شك أن لكل فضيلة يتصف بها الإنسان من ثمرات دنيوية وأخرية جزاءً لما اتصف به ومن تلك الفضائل فضيلة الحلم التي تعود على صاحبها بثمرات لا غنى عنها لمن أراد الرفعة والمودة كما يلي:

1\_\_ التحلى بالحلم يوجب السيادة والتقدم على الآخرين كما جاء ذلك على لسان أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«مَنْ حَلَّمَ سَادَ» (1).

2\_\_ ومن يشد السلامة والابتعاد عن الدخول في الاختلافات التي توقع الضرر فليتصف بالحلم عند تعامله مع الآخرين كما دل على ذلك قول إمام الموحدين عليه السلام:

«السُّلْمُ ثَمَرَةُ الْحِلْمِ» (2).

3\_\_ إذا دخل المرء في أزمة مع غيره إلى درجة العداوة وكان راغباً في الانتصار عليه فليتحلى بالحلم لينال مبتغاه كما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«مَنْ حَلَّمَ عَنْ عَدُوِّهِ ظَفَرَ بِهِ» (3).

4\_\_ ومن أراد الأمان والاطمئنان في الآخرة من غضب الله تعالى فليلتزم بالحلم عندما يغضب في الدنيا وهذا ما أكده إمام المتقين عليه السلام بقوله:

«الْحِلْمُ عِنْدَ شِدَّةِ الْغَضَبِ يُؤْمِنُ غَضَبَ الْجَبَّارِ» (4).

1- بحار الأنوار: ج 77، ص 208، ح 1. ميزان الحكمة: ج 2، ص 909، ح 4334.

2- غرر الحكم: 901. ميزان الحكمة: ج 2، ص 909، ح 4335.

3- كنز الفوائد: ج 1، ص 319. ميزان الحكمة: ج 2، ص 909، ح 4338.

4- غرر الحكم: 1776. ميزان الحكمة: ج 2، ص 910، ح 4346.



**\_\_ أسئلة مهمة**

السؤال: إذا كنت معتادا على الغضب ولم أستطع أن أملك نفسي فما هو العلاج؟

الجواب: ينصح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بتدريب النفس على الحلم حتى يصل صاحبها إلى الاتصاف بالحلم وهذا ما صرح به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ؛ فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ»<sup>(1)</sup>.

السؤال: وصف القرآن الكريم إبراهيم بأنه حلیم في قوله تعالى:

(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ) <sup>(2)</sup>.

ووصف الله تعالى بأنه حلیم أيضا في قوله تعالى:

(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) <sup>(3)</sup>.

فكيف يصح تسمية إبراهيم عليه السلام باسم من الأسماء الحسنى المختصة بالله تعالى؟

الجواب: 1\_\_ إن الله تعالى متصف بالحلم بمعنى تأخير العقوبة دون حدوث انفعال في ذاته المقدسة، بينما يتصف إبراهيم عليه السلام بالحلم بعد حدوث انفعال في ذاته.

2\_\_ الله تعالى حلیم بالاستقلال دون تعلم أو تربية تلقاهما من أحد، وأما إبراهيم عليه السلام فهو حلیم بتأديب الله تعالى له.

1- نهج البلاغة: الحكمة 207. ميزان الحكمة: ج2، ص 907، ح 4318.

2- سورة هود، الآية: 75.

3- سورة البقرة، الآية: 235.

السؤال: كيف نميّز بين الحليم والجبان؟

الجواب: إذا اقترن السكون وضبط النفس بالقدرة على الرد والانتقام فصاحبه حليم وإذا فقد القدرة على الرد فهو عجز وجبن وذل.

السؤال: ورد في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (1).

فهل هناك علاقة بين العلم والحلم؟

الجواب: لا نستطيع أن نتصور عالماً لا يتحلى بالفضائل لاسيما بفضيلة الحلم لما لهذه الفضيلة من أهمية في حياة العلماء الذين أخذوا على أنفسهم تعليم الجاهلين والصبر على إرشادهم وتحمل نزفهم وهذا لا يتم إلا بالتحلى بصفة الحلم، وما جاء عن أهل البيت عليهم السلام ما أكد هذا المعنى كقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا جُمِعَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ» (2).

وقول أمير المؤمنين عليه السلام الذي يشير إلى أن العلم لا يعطى فائدة ترجى إلا إذا ازدوج مع الحلم كما في هذا الحديث الشريف:

«لَنْ يُثْمَرَ الْعِلْمُ حَتَّى يُقَارِنَهُ الْحِلْمُ» (3).

وأكد الإمام الباقر عليه السلام أن اللباس الذي يلبسه العلماء هو الحلم فلذلك يقول:

«الْحِلْمُ لِبَاسُ الْعَالِمِ، فَلَا تَعْرَيْنَنَّ مِنْهُ» (4).

1- سورة النساء، الآية: 12.

2- كنز العمال: 5829. ميزان الحكمة: ج2، ص911، ح4362.

3- غرر الحكم: ص7411. ميزان الحكمة: ج2، ص911، ح4358.

4- الكافي: ج8، ص55، ح16. ميزان الحكمة: ج2، ص911، ح4356.

**\_\_ الوفاء**

الوفاء فضيلة وعلامة تدل على أن صاحبها من أهل المعروف والرفعة والعلو لما فيها من آثار حميدة فى الدنيا والآخرة، والاتصاف بالوفاء يتم عن نفس عزيزة تحترم عهودها وأقوالها وعقودها وشروطها، وهى لباس المؤمنين قبل غيرهم فلذا نجد القرآن الكريم فى آيات متعددة أكد على ضرورة الاتصاف بالوفاء بل أمر بذلك كما فى قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُجَلِّى الصَّبَدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ) (1).

وقوله تعالى:

(وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) (2).

ولكى يطّلع القارئ الكريم على مفهوم الوفاء لابد من معرفة معنى الوفاء لغة واصطلاحاً:

الوفاء فى اللغة: وفى فلان نذره: آداه، وفى بعهده: عمل به، وفى فلانا حقه: أوفاه إياه (3).

الوفاء فى الاصطلاح: هو حفظ العهد وعدم نقضه، والالتزام بالوعد وتحقيقه وامضاء العقود وعدم الرجوع فيها دون مسوّغ.

إذن الوفاء وسيلة لدرء صفة الغدر القبيحة، وعلامة على إيمان المؤمن، وردع

1- سورة المائدة، الآية: 1.

2- سورة الإسراء، الآية: 34.

3- المعجم الوسيط: ص 1047.

لدفع الازدراء والانتقاص، وجمال يزين الأخوة، ورفعة بين الناس، وأحد الأسس الدينية، وركن من الأركان الأخلاقية، وعنوان للمودة، وقرين للصدق.

لقد حثت الشريعة الإسلامية على ضرورة الوفاء بالعهد والعقد والشرط والوعد، وأشارت الأحاديث الشريفة إلى هذه الفضيلة وسموها كما في الأحاديث الآتية:

1\_\_ قال الإمام على عليه السلام:

«الكَرْمُ فَضْلٌ، الْوَفَاءُ نُبْلٌ» (1).

2\_\_ وعنه عليه السلام:

«الْوَفَاءُ تَوْأَمُ الصِّدْقِ» (2).

3\_\_ وعنه عليه السلام:

«بِحُسْنِ الْوَفَاءِ يُعْرَفُ الْأَبْرَارُ» (3).

وهناك بعض الأحاديث التي تشير إلى منزلة صاحب هذه الفضيلة كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أَقْرَبُكُمْ غَدًا مِنِّي فِي الْمَوْقِفِ أَصْدَقُكُمْ لِلْحَدِيثِ، وَأَدَاكُمْ لِلْأَمَانَةِ، وَأَوْفَاكُمْ بِالْعَهْدِ، وَأَحْسَنُكُمْ خُلُقًا، وَأَقْرَبُكُمْ مِنَ النَّاسِ» (4).

وحديث آخر يصرح أن الوفاء سبب في جعل صاحبه من المصطفين عند الله تعالى وعند الناس كما في قوله أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ أَحْسَنَ الْوَفَاءَ اسْتَحَقَّ الْإِصْطِفَاءَ» (5).

1- غرر الحكم: 13. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4796، ح 22276.

2- غرر الحكم: 271. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4796، ح 22274.

3- غرر الحكم: 4331. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4797، ح 22281.

4- بحار الأنوار: ج 75، ص 94، ح 12. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4795 \_\_ 4796، ح 22263.

5- غرر الحكم: 8690. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4797، ح 22283.

## \_\_ سؤال مهم

السؤال: إذا لزم من الوفاء تقويت مصلحة ما، فهل يجوز لنا تركه؟

الجواب: لا يجوز ذلك أخلاقياً وفقهياً حسب ما ورد عن العلماء الأعلام.

## وقفة

## إشارة

أخبرنا القرآن الكريم أن الله تعالى لا يخلف الميعاد كما جاء في قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) (1).

وقوله تعالى:

(رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) (2).

وسيفي لمن وعده بالثواب على عمله الصالح وهذا ما وهذا ما صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ وَعَدَهُ اللَّهُ عَلَى عَمَلٍ ثَوَابًا فَهُوَ مُنْجَزُهُ لَهُ، وَمَنْ أَوْعَدَهُ عَلَى عَمَلٍ عِقَابًا فَهُوَ فِيهِ بِالْخِيَارِ» (3).

وأكد هذا القول أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ، وَارْغَبُوا فِيهَا وَعَدَّ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ» (4).

وما هذا الالتزام بتحقيق الوعد إلا وفاء لما وعدنا به، وفي هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تربية لنا على ضرورة الوفاء بالوعد، إن الوعد دين في ذمة صاحبه،

1- سورة الرعد، الآية: 31.

2- سورة آل عمران، الآية: 9.

3- التوحيد: ص 406، ح 3. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4734، ح 21949.

4- نهج البلاغة: الخطبة 110. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4734، ح 21951.

وحق يجب الوفاء به كما أمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«العدة دين ويل لمن وعد ثم أخلف، ويل لمن وعد ثم أخلف ويل لمن وعد ثم أخلف».

وما هذا التشديد على الوفاء بالوعد إلا علامة على سمو ورفعة الأخلاق الإسلامية.

ولكى نرى عظمة الإسلام من خلال هذه الفضيلة لابد أن نطلع على ما قاله أئمة المسلمين عليهم السلام بالحق فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يصور لنا حاله عند إعطائه وعداً لأحد الناس بقوله:

«ما بات لرجل عندي موعداً قط فبات يتململ على فراشه ليغدو بالظفر بحاجته، أشد من تمللى على فراشى حرصاً على الخروج إليه من دين عديته، وخوفاً من عائق يوجب الخلف؛ فإن خلف الوعد ليس من أخلاق الكرام»<sup>(1)</sup>.

ونردف قول أمير المؤمنين عليه السلام بقول الإمام الصادق عليه السلام الذى ينقل لنا ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جراء التزامه بوعد قطعه لرجل فيقول:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واعد رجلاً إلى الصخرة فقال: أنا لك ها هنا حتى تأتي، قال: فاشتدت الشمس عليه.

فقال له أصحابه: يا رسول الله، لو أنك تحولت إلى الظل! قال:

وعدتته إلى ها هنا وإن لم يجئى كان منه المحشر»<sup>(2)</sup>.

فيتضح مما تقدم ضرورة الالتزام بالوعد والوفاء به حتى لو لحق بصاحبه الضرر.

1- غرر الحكم: 9692. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4735، ح 21959.

2- مكارم الأخلاق: ج 1، ص 64، ح 63. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4736، ح 21971. س

**\_\_ نصيحة معصومية**

يعلم أهل بيت العصمة عليهم السلام أن بعض الناس قد يخلف الوعد ويترك الوفاء به اضطراراً دون إرادته بسبب عدم قدرته على إنجاز الوعد فلذا أكدوا على ترك الوعد عند العلم بعدم القدرة على الوفاء به كما في الأحاديث الآتية:

قال الإمام على عليه السلام:

«لَا تَعِدَنَّ عِدَّةً لَا تَتَّقُ مِنْ نَفْسِكَ بِإِنجَازِهَا» (1).

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«لَا تَعِدَنَّ أَخَاكَ وَعِدًّا لَيْسَ فِي يَدِكَ وَفَاؤُهُ» (2).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال لرجلٍ قالَ لَهُ: عِدْنِي —:

«كَيْفَ أَعِدُّكَ وَأَنَا لِمَا لَا أَرْجُو أَرْجِي مَنِّي لِمَا أَرْجُو!» (3).

**الاستكبار****إشارة**

هذه الصفة من الصفات العجيبة إذ إنها رذيلة من جهة وكمال من جهة أخرى، فهي رذيلة بلحاظ العبد وكمال بلحاظ المولى جل وعلا، فالكبر رداء الله تعالى فلا يحق لغيره منزعته رداءه والتشبه به، بل أن العبد بذاته الفقيرة المحتاجة لا يليق به أن يكون مستكبراً، فإن فعل ذلك فهو ناشئ من جهله وحماقته، وهذا ما فعله إبليس فاستحق على أثره الطرد والتصغير كما في قوله تعالى:

«قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ» (4).

1- غرر الحكم: 10297. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4737، ح 21973. سس

2- بحار الأنوار: ج 78، ص 250، ح 94. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4737، ح 21974.

3- كتاب الفقيه: ج 3، ص 165، ح 3610. ميزان الحكمة: ج 11، ص 4737، ح 21975.

4- سورة الأعراف، الآية: 13.

ولذا لا بد من معرفة هذه الصفة الذهبية لغة واصطلاحاً:

استكبر في اللغة: امتنع عن قبول الحق معاندة وتكبرا، والكبر: العظمة والتجبر (1).

الاستكبار في الاصطلاح: هو التعالي على الآخرين وإعطاء قدرٍ لنفسه فوق قدر الغير.

فالتكبر خلق إبليس الذي كان سبباً في طرده من رحمة الله تعالى، فلا يصح لعاقل أن يتصف بهذه الصفة الذميمة لما لها من عاقبة وخيمة وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«إِيَّاكَ وَالْكِبْرَ؛ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ وَالْأَمُّ الْعُيُوبِ، وَهُوَ حَلِيَّةُ إِبْلِيسَ» (2).

وهذه الصفة الذميمة لها آثار وخيمة ندرجها كما يلي:

1\_ التكبر يوجب ضياع الأعمال الصالحة كما في قول سيد الممتقين عليه السلام:

«فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ وَجَهَدَهُ الْجَهِيدَ... عَنْ كَبِيرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ! فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسَلِّمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟!» (3).

2\_ التكبر يوجب نقصان العقل كما في قول الإمام الباقر عليه السلام:

«مَا دَخَلَ قَلْبَ امْرِئٍ شَيْءٌ مِنَ الْكِبْرِ إِلَّا نَقَصَ مِنْ عَقْلِهِ مِثْلُ مَا دَخَلَهُ مِنْ ذَلِكَ، قَلَّ ذَلِكَ أَوْ كَثُرَ» (4).

3\_ عاقبة التكبر ويكتب صاحبه في سجل الطغاة الظلمة كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

1- لسان العرب: ج5، ص126.

2- غرر الحكم: 2652. ميزان الحكمة: ج8، ص3508، ح17206.

3- نهج البلاغة: الخطبة 192. ميزان الحكمة: ج8، ص3508، ح17208.

4- بحار الأنوار: ج78، ص186، ح163. ميزان الحكمة: ج8، ص3509، ح17214.



«لا يزال الرجل يتكبر ويذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين، فيصيبه ما أصابهم»(1).

4\_\_ يُبعد صاحبه عن دار النعيم كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا أبا ذرٍّ، مَنْ ماتَ وفي قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من كِبَرٍ لم يجدْ رائحةَ الجنةِ إلا أن يتوبَ قبلَ ذلك»(2).

## \_\_ فوائد

عند تأمل الأحاديث الشريفة التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام تظهر لنا بعض الفوائد العلمية فيما يرتبط بالتكبر وهي كما يلي:

1\_\_ إن التكبر صفة قد تصيب حتى الفقير المعدم إذا كان ذا قلب خالٍ من الخير كما صرح بذلك الإمام الصادق عليه السلام:

«الكِبْرُ قد يكونُ في شِرَارِ الناسِ مِنْ كُلِّ جنسٍ.. إنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله وسلم مرَّ في بعضِ طُرُقِ المَدِينَةِ، وسوداءُ تَلْقَطُ السَّرِقِينَ، فقبلَ لها: تَنحَّى عن طريقِ رسولِ اللهِ، فقالت: إنَّ الطَّرِيقَ لَمَعْرُضٌ، فَهَمَّ بها بعضُ القومِ أن يتناولَها، فقالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله وسلم: دَعُوها، فإنَّها جَبَّارَةٌ»(3).

2\_\_ قد يكون تباعد بعض الناس عن تباعد عنه تكبرا ولكن هناك من يتباعد عن من هو متباعد عنه احتراماً لنفسه ورفعاً لها عن الابتدال كما أشار إليه الإمام علي عليه السلام في قوله في صفة المُنْتَمِنِ \_\_:

1- كنز العمال: 7749. ميزان الحكمة: ج 8، ص 3509، ح 17221.

2- بحار الأنوار: ج 77، ص 90، ح 3. ميزان الحكمة: ج 8، ص 3511 \_\_ 3512، ح 17233.

3- بحار الأنوار: ج 73، ص 209، ح 2. ميزان الحكمة: ج 8، ص 3508، ح 17213.

«بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ، وَدُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ وَعَظْمَةٍ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ» (1).

3\_\_ لم يسمح الله تعالى لأحد بالتكبر لأن الكبرياء لباسه وحده الذى لا يليق إلا به سبحانه كما فى قول إمام المتقين عليه السلام:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ الْعِزُّ وَالْكَبْرِيَاءُ، وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَ لِهَاتِي حَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ» (2).

4\_\_ إذا كان قلب المرء عارفا بالله تعالى ولكنه محبٌ للجمال فيتظاهر به فليس هذا من التكبر بشىء وهذا ما دل عليه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً! قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ» (3).

5\_\_ إن للكبر ظاهراً وباطناً فأما الظاهر ما ظهر على الجوارح وأما الباطن ما كان فى قلبه أنه يرى نفسه فوق الغير.

6\_\_ كل متكبر لا يتكبر إلا بسبب شعوره بالنقص كما دل على ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام:

«مَا مِنْ رَجُلٍ تَكَبَّرَ أَوْ تَجَبَّرَ إِلَّا لِلذَّلَّةِ وَجَدَهَا فِي نَفْسِهِ» (4).

1- نهج البلاغة: الخطبة 193. ميزان الحكمة: ج 8، ص 3510، ح 17222.

2- نهج البلاغة: الخطبة 192. شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج 13، ص 127. ميزان الحكمة: ج 8، ص 3510، ح 17227.

3- الترغيب والترهيب: ج 3، ص 567، ح 31. ميزان الحكمة: ج 8، ص 3512، ح 17234.

4- الكافي: ج 2، ص 312، ح 17. ميزان الحكمة: ج 8، ص 3517، ح 17262.

7\_\_ من أراد معالجة هذه الصفة الذميمة فعليه أن ينظر إلى عظمة الله تعالى ويحقر نفسه أمام عظمة ربه بالطاعات والعبادات كما أرشد إلى ذلك الإمام الحسن عليه السلام بقوله:

«لا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَاطَمَ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَوَاضَعَ عَوَاءً، وَ(عَزَّ) الَّذِينَ يَعْرِفُونَ مَا جَلَالُ اللَّهِ أَنْ يَتَذَلَّلُوا (لَهُ)»(1).

8\_\_ ومن معالجة الكبر ممارسة الحاجات باليد دون الاعتماد على خادم أو غلام أو أحد أفراد الأسرة فإن ذلك مما يخرج الكبر من النفس وهذا ما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«مَنْ حَلَبَ شَاتَهُ وَرَفَعَ قَمِيصَهُ وَخَصَفَ نَعْلَهُ وَوَاكَلَ خَادِمَهُ وَحَمَلَ مِنْ سَوْقِهِ، فَقَدْ بَرِيَ مِنَ الْكِبْرِ»(2).

9\_\_ إذا أردت العلو والرفعة فعليك بالتواضع هذا ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً يَرْفَعُهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ اللَّهُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً يَضَعُهُ اللَّهُ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ»(3).

10\_\_ تذكر أن المتكبر لا يحشر كما يحشر الناس بل سيكون أصغر شيء حتى يسحق بأقدام أهل المحشر كما ورد ذلك في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يُحْشَرُ الْجَبَّارُونَ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورِ الذَّرِّ، يَطَّوَّهُمُ النَّاسُ لِهَوَانِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى»(4).

1- بحار الأنوار: ج78، ص104، ح3.

2- كنز العمال: 7794. ميزان الحكمة: ج8، ص3520، ح17277.

3- الترغيب والترهيب: ج3، ص560، ح6. ميزان الحكمة: ج8، ص3523، ح17300.

4- المحجبة البيضاء: ج6، ص215. ميزان الحكمة: ج8، ص3523، ح17302.

**\_\_ السفه**

كل جميل في باطنه يرغب أن يكون ذا ظاهر جميل أيضا فيسعى لنيل الفضائل ويجاهد نفسه ليتحلى بها، ومن هذه الفضائل التي يتمنى المرء التحلى بها الوقار والاتزان والتعقل وهذه الفضائل لا تجتمع مع السفه في حال من الأحوال لاسيما إذا عرفنا أن السفه كما ورد في كتب اللغة:

الخفة والطيش والجهل وعدم الحلم ورداءة الخلق(1).

وأما ما اصطلح عليه فالسفه: هو سلوك بعيد عن العقل والعلم والاحترام يسقط صاحبه من أعين الناس، فلذلك صار سببا في نفرة الأصدقاء والأحبة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِيَّاكَ وَالسَّفَهَ؛ فَإِنَّهُ يُوحِشُ الرَّفَاقَ»(2).

بل قد يكون مدعاة لشتيم صاحبه وإحراق الضرر به كما قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«السَّفَهُ مِفْتَاحُ السَّبَابِ»(3).

وفي قول آخر:

«السَّفَهُ يَجْلِبُ الشَّرَّ»(4).

بل للسفه آثار وخيمة تدعو العاقل للهروب من هذه الصفة القبيحة.

1- المعجم الوسيط: ص 343. المنجد الأبجدى: ص 552.

2- غرر الحكم: 2655. ميزان الحكمة: ج 4، ص 1754، ح 8642.

3- غرر الحكم: 313. ميزان الحكمة: ج 4، ص 1754، ح 8643.

4- غرر الحكم: 834. ميزان الحكمة: ج 4، ص 1754، ح 8644.

## أَسْئَلَةٌ مَهْمَةٌ

السؤال: ما هو معنى السفه في نظر أهل البيت عليهم السلام؟.

الجواب: وصف أهل البيت عليهم السلام بعض الناس الذين يسلكون سلوكا مشينا من خلال معاشره الوضيع والدوني، أو من يرتكب جريمة شرب المسكر كما في قول الإمامين الحسن والباقر عليهما السلام إذ يقول الإمام الحسن عليه السلام، لما سئل عن السفه:

«اتَّبَعَ الدُّنَاةَ وَمُصَاحِبَةَ الغَوَاةِ»(1).

وقال الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى:

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ (2).

«كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ فَهُوَ سَفِيهٌ»(3).

السؤال: ما هي علامة السفه؟.

الجواب: للسفيه علامات يعرف من خلالها وهي كما يلي:

1\_\_ يتجاوز على من هو أقل رتبة أو مقاما، وينقاد ويطيع لمن هو أعلى منه رتبة ومقاما كما في قول الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ السَّفَهَ خُلِقَ لَيْئِمٌ، يَسْتَطِيلُ عَلَى مَنْ (هو) دُونَهُ، وَيَخْضَعُ لِمَنْ (هو) فَوْقَهُ»(4).

2\_\_ السفه من يبذر الأموال ويجهل التصرف بها كما دل على ذلك قول الإمام أبي عبد الله عليه السلام عندما سأله سنان: وما السَّفِيه؟

1- بحار الأنوار: ج78، ص104، ح2. ميزان الحكمة: ج4، ص1755، ح8653.

2- سورة النساء، الآية: 5.

3- تفسير العياشي: ج1، ص220، ح22. ميزان الحكمة: ج4، ص1755، ح8654.

4- الكافي: ج2، ص322، ح1. ميزان الحكمة: ج4، ص1755، ح8655.

فقال عليه السلام:

«الذِي يَشْتَرِي الدَّرْهَمَ بِأُضْعَافِهِ» (1).

السؤال: كيف نتعامل مع السفيه؟.

الجواب: هناك مجموعة إرشادات وآداب للتعامل مع السفيه صدرت عن أهل البيت عليهم السلام وهي كالاتي:

1\_\_ قابل السفيه بسعة الصدر وعدم الوقوع في الغضب كما قال الإمام علي عليه السلام:

«مَنْ غَاظَكَ بِقُبْحِ السَّفَةِ عَلَيْكَ، فَغِظْهُ بِحُسْنِ الْجِلْمِ عَنْهُ» (2).

2\_\_ ترك الرد على مخاطبة السفيه وترك العتب معه لما فيه من ضرر كبير، وهذا ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام:

«مَنْ عَدَلَ سَفِيهًا فَقَدْ عَرَّضَ لَلْسَبِّ نَفْسَهُ» (3).

## بحث عقائدي

### \_\_ الغلو

الغلو انحراف عقائدي وزلل أخلاقي يذهب بصاحبه إلى حيث الابتعاد عن الإنصاف ومجانبة الحقيقة، بل يسلك بقلب من ابتلى به في طريق الدنس والقذارة ويسير بعقل المتوهم في طريق الاعوجاج والتعثر، فلذا نجد القرآن الكريم حذر أهل الكتاب من هذا البلاء الفاجر للعقل والدين بقوله تعالى:

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا

1- تهذيب الأحكام: ج9، ص182، ح731. ميزان الحكمة: ج4، ص1755، ح8656.

2- غرر الحكم: 8620. ميزان الحكمة: ج4، ص1755، ح8658.

3- غرر الحكم: 9171. ميزان الحكمة: ج4، ص1756، ح8660.

الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمْنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (1).

أى لا تضعوا عيسى بن مريم فوق ما وضعه ربه ولا تصفوه بغير ما وصفه فإن فعلكم هذا خلاف الدين الذى أَرَادَهُ اللهُ تعالى لكم، فجعلكم المسيح عليه السلام إلهًا يعبد مع الله تعالى هو عين الزيف لاسيما وأنتم تعلمون أن المسيح عليه السلام بشر محتاج يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق فكيف يرتقى إلى الغنى المطلق وهذا المعنى أكدته القرآن الكريم بقوله تعالى:

(مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (2).

### الإمام الحسين عليه السلام يحذر من الغلو

وصف الإمام الحسين عليه السلام الغلو بأنه مشكلة عويصة لا حل لها إلا بالتخلص من أسبابه فلذا نجده عليه السلام يقول:

«والغلو ورطة».

ولكى يتضح لنا معنى قول الإمام عليه السلام لا بد من معرفة مفهوم الغلو لغة واصطلاحاً:

1- سورة النساء، الآية: 171.

2- سورة آل عمران، الآيتان: 79 و80.

الغلو لغة: الزيادة والارتفاع ومجاوزه الحد، وغلو المرء في الدين تشدد وجاوز الحد وأفرط(1).

الغلو اصطلاحاً: تجاوز الحد الذي بينته الشريعة وفرضه العقل في العقائد والتكاليف الدينية.

فالغلو يجعل العقيدة فاسدة ويخيب أمل صاحبه إذ يتوهم أنه ينال القرب الإلهي من خلال اعتقاده بهذه الطريقة، ولأن الاعتقاد أو التخلق بصفة ما لا بد أن يكون بعيداً عن الإفراط والتفريط جاءت الأحاديث الشريفة تترى لتبين انحراف المرء الذي يغالى في عقيدته أو في أخلاقه كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«رَجُلَانِ لَا تَنَالُهُمَا شَفَاعَتِي: صَاحِبُ سُلْطَانٍ عَسُوفٌ عَشُومٌ، وَغَالٍ فِي الدِّينِ مَارِقٌ»(2).

ثم ركزت الأحاديث التي صدرت عن النبي وأهل بيته الكرام صلوات الله عليهم على الغلو كونه خروجاً عن الجادة المستقيمة والرأى الصائب، بل هو ابتعاد عن الإسلام كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَا نَصِيبَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ: الْغُلَاةُ وَالْقَدَرِيَّةُ»(3).

### \_\_ الشيعة براء من الغلو

اتهم الكثيرون الشيعة بأنهم يغالون في عقيدتهم بإمامة أهل البيت عليهم السلام وبدأوا بإطلاق الأحكام الجائرة عليهم فتارة يصفونهم بالكفر وأخرى باليهود وثالثة بالشرك كما جاء ذلك في بعض كتب القوم كقول:

1- المعجم الوسيط: ص 66.

2- بحار الأنوار: ج 25، ص 269، ح 13. ميزان الحكمة: ج 7، ص 3042، ح 15250.

3- بحار الأنوار: ج 25، ص 270، ح 14. ميزان الحكمة: ج 7، ص 3042، ح 15251.



الدكتور الشيعي (وأول هذه الفكرة \_ فكرة الغلو \_ نادى بها أصحاب حجر بن عدى الذين قتلوا صبيرا بسبب تكفيرهم للخليفة عثمان، وامتناعهم عن البراءة من الإمام على عليه السلام. ويقول صاحب الممل (والغلاة من الشيعة مذهبهم الحلول)(1).

إلا- أن الشيعة براء من ذلك، بل أنهم ملتزمون بأوامر أهل البيت عليهم السلام التي تنهى عن الغلو ونصف المغالين بالكفر كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام:

«الغلاة كفار والمفوضة مشركون...»(2).

### \_\_ سؤال مهم

السؤال: هناك روايات في كتب معينة تصوّر أمير المؤمنين عليه السلام بأنه يمارس دور الإله سبحانه كالتصوير في الأرحام أو توزيع الأرزاق أو غير ذلك مما هو معروف بالصفات الأفعالية، فما هو قولكم؟

الجواب: رد أهل البيت عليهم السلام على من يقول مثل ذلك القول بالأحاديث الآتية:

1\_\_ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ: مُحِبُّ مَفْرَطٍ يَفْرُطُنِي بِمَا لَيْسَ لِي، وَمُبْغِضٌ يَحْمِلُهُ سَنَانِي عَلَى أَنْ يَبْهَتَنِي»(3).

2\_\_ عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«مَنْ تَجَاوَزَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعُبُودِيَّةَ فَهُوَ مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَمِنَ الضَّالِّينَ»(4).

1- الممل والنحل، الشهرستاني: ج 1، ص 108.

2- عيون أخبار الرضا للصدوق: ج 1، ص 219، ح 4.

3- بحار الأنوار: ج 25، ص 285، ح 37. ميزان الحكمة: ج 7، ص 3043، ح 15256.

4- بحار الأنوار: ج 25، ح 274، ح 20. ميزان الحكمة: ج 7، ص 3044، ح 15265.

3\_\_ وعن الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله أبو بصير، قال: عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه الصلاة والسلام: إنهم يقولون! قال عليه السلام:

«وما يقولون؟».

قلت: يقولون: يَعْلَمُ قَطْرَ الْمَطَرِ، وَعَدَدَ النُّجُومِ وَوَزْنَ الشَّجَرِ، وَوَزْنَ مَا فِي الْبَحْرِ، وَعَدَدَ التُّرَابِ، فَرَفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:  
«سَبِحَانَ اللَّهَ سَبِحَانَ اللَّهِ، لَا وَاللَّهِ مَا يَعْلَمُ هَذَا إِلَّا اللَّهُ»(1).

إلا أننا نرى أن فضل أهل البيت عليهم السلام لا يدانيه فضل بعد جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فلذلك قالوا بعض الأحاديث التي تخرج الإنسان عن حد الإفراط والتفريط كقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوفِئِنَا، قُولُوا إِنَّا عَبِيدٌ مَرْبُوبُونَ، وَقُولُوا فِي فَضْلِنَا مَا سِئْتُمْ»(2).

وقوله عليه السلام:

«لَا تَتَجَاوَزُوا بِنَا الْعُبُودِيَّةَ ثُمَّ قُولُوا مَا سِئْتُمْ وَلَنْ تَبْلُغُوا، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوفِئِنَا النَّصَارَى؛ فَإِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الْغَالِيْنَ»(3).

وقول الإمام المهدي عليه السلام لمحمد بن هلال الكرخي:

«يَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، تَعَالَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا يَصِفُونَ، سَبِحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ، لَيْسَ نَحْنُ شُرَكَاءُهُ فِي عِلْمِهِ، وَلَا فِي قُدْرَتِهِ»(4).

هذا الحديث الشريف يؤكد عدم جواز القول بالوهية أهل البيت عليهم السلام أو أداء أفعال الله تعالى.

1- بحار الأنوار: ج 25، ص 294، 52. ميزان الحكمة: ج 7، ص 3045، ح 15271.

2- الخصال: ص 614، ح 10. ميزان الحكمة: ج 7، ص 3045، ح 15267.

3- بحار الأنوار: ج 25، ص 274، ح 20. ميزان الحكمة: ج 7، ص 3045، ح 15268.

4- بحار الأنوار: ج 25، ص 266، ح 9. ميزان الحكمة: ج 7، ص 3045، ح 15273.

ورد ذكر هذه الدنية في الكتاب الكريم بأنها ارتكاب المنكر وفعل المحرمات وتجاوز الحدود وترك حكم الحق سبحانه وظلم العباد وإفساد البلاد وإنكار الكتب السماوية وعدم الإيمان بالأنبياء والرسل، ولكي نقف على بعض الآيات الكريمة التي ذكر فيها الفسق وصفا لعمل الحرام وذم الغاسقين لانحرافهم عن الشريعة الحقنة فلا بد أن نبوّب هذه الآية الكريمة كالآتي:

1\_ ذكر الفسق وصفا لفعل الحرام كما في قوله تعالى:

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (1).

2\_ ذكر الفسق وصفا لآكلى اللحم غير المذكى كما في قوله تعالى:

(وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) (2).

3\_ ذكر الفسق وصفا للقذارات والنجاسات التي يجب التنزه عنها كما في قوله تعالى:

(قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا

1- سورة المائدة، الآية: 3.

2- سورة الأنعام، الآية: 121.

مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمِ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(1).

4\_\_ ذكر الفسق وصفا للذين لم يؤمنوا بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما في قوله تعالى:

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ(2).

5\_\_ ذكر الفسق وصفا للذين لم يحكموا بالشريعة الإسلامية كما في قوله تعالى:

وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْأَنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(3).

6\_\_ ذكر الفسق وصفا للمنافقين في قوله تعالى:

كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَقْبُؤُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ(4).

وقال الله عز وجل:

(الْمُتَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُتَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(5).

7\_\_ ذكر الفسق وصفا للذين لم يؤمنوا بالله ورسوله في قوله تعالى:

1- سورة الأنعام، الآية: 145.

2- سورة البقرة، الآية: 99.

3- سورة المائدة، الآية: 47.

4- سورة التوبة، الآية: 8.

5- سورة التوبة، الآية: 67.

(وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) (1).

وهناك الكثير من الآيات الكريمة التي يضيق بذكرها المقام تركناها للاختصار.

### \_\_ الفسق والفاسق في نظر أهل البيت عليهم السلام

الحديث عن الفسق والفاستقين في القرآن الكريم كثير بعدد الفاستقين في الأرض إلا أننا نريد أن نطلع على حديث العدل الثاني للقرآن ألا وهم أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، فلقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام بيان لمفهوم الفسق وتوضيح لصفة الفاسق كما في قوله عليه السلام:

«وَمَعْنَى الْفِسْقِ: فَكُلُّ مَعْصِيَةٍ مِنَ الْمَعَاصِي الْكِبَارِ فَعَلَهَا فَاعِلٌ، أَوْ دَخَلَ فِيهَا دَاخِلٌ بِجِهَةِ اللَّذَّةِ وَالشَّهْوَةِ وَالشَّوْقِ الْغَالِبِ، فَهُوَ فِسْقٌ وَفَاعِلُهُ فَاسِقٌ خَارِجٌ مِنَ الْإِيمَانِ بِجِهَةِ الْفِسْقِ، فَإِنْ دَامَ فِي ذَلِكَ حَتَّى يَدْخُلَ فِي حَدِّ التَّهَاوُنِ وَالِاسْتِخْفَافِ، فَقَدْ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ بِتَهَاوُنِهِ وَاسْتِخْفَافِهِ كَافِرًا» (2).

وورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قول يدل على الفاسق ويشير إليه، فهو الإنسان الذي يلهو بما حرم الله تعالى والذي يتعاطى الكلام المحرم كالغناء أو الخوض في الباطل، والذي يتجاوز حدود الله تعالى ويعتدى على عباده ظلما وطغيانا، والذي يكيل التهم الباطلة لغيره كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أَمَّا عِلَامَةُ الْفَاسِقِ فَرْبَعَةٌ: اللَّهْوُ وَاللَّغْوُ وَالْعُدْوَانُ وَالْبُهْتَانُ» (3).

وحذر أمير المؤمنين عليه السلام من الانقياد والامتثال لأوامر المتكبرين وإن كانوا

1- سورة التوبة، الآية: 84.

2- بحار الأنوار: ج68، ص278، ح31. ميزان الحكمة: ج8، ص3210، ح15913.

3- تحف العقول: ص22. ميزان الحكمة: ج8، ص3211، ح15914.

من سادة وقادة القوم لما فى ذلك من أثر سيئ كما فى قوله عليه السلام:

«أَلَا فَالْحَدَرَ الْحَدَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكِبْرَائِكُمُ الَّذِينَ تَكْبَرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ... فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ... وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ»(1).

ووصف الإمام على عليه السلام الفاسق بأنه يفعل الحرام برغبة ومحبة دون نفور وتردد بل يبقى ملازماً للحرام حتى يصيبه الوهن وتعطله الشيخوخة كما قال عليه السلام:

«أَثْرُوا عَاجِلًا وَأُخْرُوا آجِلًا، وَتَرَكُوا صَافِيًا وَشَرِبُوا آجِنًا، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَالْفَهْمُ، وَبَسِيَ بِهِ وَوَأَقَفَهُ، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وَصَبِغَتْ بِهِ خِلَانَتُهُ»(2).

## \_\_ آثار الفسق

عند تأمل الآيات الكريمة فى القرآن الكريم نقف على العواقب السيئة للفسق، وهى كما يلى:

1\_\_ الفسق يوجب هلاك الأمم وعذاب الدنيا قبل الآخرة كما فى قوله تعالى:

(وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا)(3).

2\_\_ الفسق يوجب الدخول فى جهنم كما فى قوله تعالى:

(وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمْ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ)(4).

1- نهج البلاغة: الخطبة 192. ميزان الحكمة: ج 8، ص 3211، ح 15915.

2- نهج البلاغة: الخطبة 144. ميزان الحكمة: ج 8، ص 3211، ح 15916.

3- سورة الإسراء، الآية: 16.

4- سورة السجدة، الآية: 20.

3\_ الفسق يوجب العذاب الشديد الذى يجعل الطغاة والجبابرة أذلاء كما فى قوله تعالى:

(وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ)(1).

4\_ الفسق يوجب سقوط العذاب من السماء على الفاسقين كما فى قوله تعالى:

(فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)(2).

5\_ الفسق يوجب عدم الثقة بصاحبه كما فى قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)(3).

6\_ الفسق يوجب الضلال وعدم الهداية والإيمان كما فى قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ إِنَّ يَضُرُّ رَبِّ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا تُغَضِّدُ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)(4).

وقوله تعالى:

(ذَلِكَ أَذَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ

1- سورة الأحقاف، الآية: 20.

2- سورة البقرة، الآية: 59.

3- سورة الحجرات، الآية: 6.

4- سورة البقرة، الآية: 26.

وَأَسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ(1).

7\_ الفسق يوجب عدم قبول الأعمال كما فى قوله تعالى:

قُلْ أَنْتُمْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ(2).

8\_ الفسق يوجب عدم رضى الله تعالى عن الفاسقين:

يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ(3).

9\_ يكون الفاسق بمنزلة فرعون وقومه كما فى قوله تعالى:

إِسْرَافَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَإِصْرَهُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ(4).

10\_ الفسق يوجب الخزى يوم القيامة كما فى قوله تعالى:

مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ(5).

11\_ الفسق يوجب زيغ القلوب وانحرافها عن الحق كما فى قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذُّونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ(6).

1- سورة المائدة، الآية: 108.

2- سورة التوبة، الآية: 53.

3- سورة التوبة، الآية: 96.

4- سورة القصص، الآية: 32.

5- سورة الحشر، الآية: 5.

6- سورة الصف، الآية: 5.



**الخطبة الخامسة: وفيها يذمّ الدّنيا ويحدّر منها**

**إشارة**



خطبها غداة اليوم الذي استشهد فيه، حمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال:

### نص الخطبة

#### إشارة

(يا عباد الله، اتقوا الله، وكونوا من الدنيا على حذر، فإن الدنيا لو بقيت على أحد أو بقي عليها أحد لكانت الأنبياء أحق بالبقاء، وأولى بالرضاء، وأرضى بالقضاء؛ غير أن الله تعالى خلق الدنيا للفناء، فجددناها بال، ونعيمها مضمحل، وسرورها مكفهرة، والمنزل تلعة، والدار قلة، فترددوا فإن خير الزاد التقوى، واتقوا الله لعلكم تفلحون).

#### المعنى العام

يا أيها الخاضعون والمنقادون والمملوكون لله تعالى، اخشوا الله تعالى، كونوا من الدنيا متيقظين ومحترزين، إن الدنيا لو دامت وثبتت لأحد أو دام وثبت عليها أحد لكانت مجموعة الأنبياء أحق من غيرهم بالدوام والخلود، وأجدر بالقبول والاختيار، وأشد قبولاً بالحكم، إلا أن الله تعالى صنع الدنيا وأبدعها للانتهاة والإبادة، فالحديث أو الطرى من الدنيا يصبح قديماً وعتيقاً ويعفى عليه الزمن، وطب عيشها ورفاهيتها قليل متلاشٍ، وفرصها منقبض كالح لا يرى فيه أثر بشر ومكان النزول عميق مخيف والدار دار ارتحال وعدم استقرار، اتخذوا زاداً لمعادكم وأن أفضل الزاد هي خشية الله تعالى وطاعته، وبهذا الزاد تصلون إلى الفوز والنجاح.

## بحث أخلاقي

### ذم الدنيا

عندما نتأمل الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة نشعر بأن لسانها لسان ذم واستصغار، ونلمس في كثرتها شدة التحذير من الاغترار بها والانتفاء في شهواتها والافتتان بزبرجدها، فهذه الدنيا لا تساوى عند الله تعالى جزءاً من مخلوق ضعيف كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لو أنّ الدنيا كانت تعدل عند الله عزّ وجلّ جناح بعوضةٍ ما سقى الكافرَ والفاجرَ منها شربةً من ماءٍ» (1).

فلذا يتوجب على العقلاء أن يحتقروا هذه الدنيا الدنية التي صارت ميداناً لمعصية المولى المنعم جل ذكره والتي قطع في حبيها رأس نبي الله يحيى بن زكريا عليه السلام ورأس سيد شباب أهل الجنة عليه السلام فداروا به في البلدان، ولهذه الدنيا المذمومة مجموعة خصائص تميزها عن الدنيا المباحة التي لا ينالها لسان الذم والتحذير وهي كما يلي:

1\_ إذا كانت توجب الاغترار.

2\_ إذا كانت توجب الخسران.

3\_ إذا كانت توجب الخروج عن سلوك العقلاء.

4\_ إذا كانت توجب عدم الصفاء والاستقرار.

5\_ إذا كانت توجب الشر والباطل.

6\_ إذا كانت توجب الذل والهوان.

---

1- أمالي الطوسي: ص 531، ح 1162. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1224، ح 5954.

وهناك الكثير من الخصائص أو الآثار السلبية التي تمتاز بها الدنيا المذمومة فلذا جاءت الأحاديث الشريفة تترى لتبين سوء عاقبة من يتعلق بزخارفها وزبرجدها كما ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام:

— عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«حُبُّ الدُّنْيَا أَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَأَوَّلُ كُلِّ ذَنْبٍ» (1).

— وعن الإمام على عليه السلام أنه قال:

«إِنَّ الدُّنْيَا لِمُفْسِدَةِ الدِّينِ وَمُسَلِّبَةُ اليَقِينِ، وَإِنَّهَا لِرَأْسِ الفِتَنِ وَأَصْلُ المِحْنِ» (2).

— وعن الإمام زين العابدين عليه السلام قال:

«ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من بغض الدنيا، فإن لذلك لشعبا كثيرة، وللمعاصي شعب، فأول ما عُصِيَ الله به الكبر معصية إبليس حين:

(أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ) (3).

ثم الحرص وهي معصية آدم وحواء عليهما السلام حين قال الله عز وجل لهما:

(وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) (4).

فأخذنا ما لا حاجة بهما إليه، فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة، وذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه.

ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب

1- تنبيه الخواطر: ج 2، ص 122. ميزان الحكمة: ج 2، ص 896، برقم 1221، حب الدنيا رأس كل خطيئة.

2- غرر الحكم: 4870. ميزان الحكمة: ج 2، ص 896، برقم 1221، حب الدنيا رأس كل خطيئة.

3- سورة البقرة، الآية: 34.

4- سورة البقرة، الآية: 35.

النساء، وحب الدنيا، وحب الرياسة، وحب الراحة، وحب الكلام، وحب العلو والثروة، فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا فقالت الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنيا ان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة»(1).

\_\_\_ وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن أول ما عُصِيَ الله به ست: حب الدنيا، وحب الرياسة، وحب الطعام، وحب النساء، وحب النوم، وحب الراحة»(2).

### أُسْئَلَةُ مَهْمَةٌ

### إِشَارَةٌ

السؤال: هل أن بغض الدنيا يعنى عدم جواز التمتع بلذائدها؟

الجواب: كلا: إن بغض الدنيا يختص بالدنيا التي تكون سببا للوقوع فى الحرام، وكذلك يعنى بغضا للذاتها التي حرمها الله تعالى وهذا ما أشارت إليه الآيات الكريمة التالية:

قال الله تبارك وتعالى:

(زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)(3).

وقال سبحانه وتعالى:

(زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج 7، ص 19، ح 9.

2- المحاسن للبرقي: ج 1، ص 295، ح 459.

3- سورة البقرة، الآية: 212.

الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ(1).

وقال عز وجل:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِمًا تَبْتَغُونَ عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)(2).

وقال تبارك وتعالى:

(وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)(3).

وهناك الكثير من الآيات التي يستشعر منها ذم الدنيا.

السؤال: متى يجوز حب الدنيا؟

الجواب: عندما تكون وسيلة للقرب الإلهي، وتكون ميداناً للعمل الصالح، وهذا ما تشير إليه الآيات الكريمة والروايات الآتية:

قال تعالى:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97) فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ

1- سورة آل عمران، الآية: 14.

2- سورة النساء، الآية: 94.

3- سورة الأنعام، الآية: 32.

بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(1).

2\_ وردت أحاديث شريفة تؤكد أن الدنيا مزرعة الآخرة كما في قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«الدنيا مزرعة الآخرة»(2).

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«بالدنيا تُحرز الآخرة»(3).

إن الدنيا المبعوضة هي التي تمنع الإنسان عن بلوغ درجة الكمال وذلك من خلال حبها والتعلق بها إلى درجة نسيان الآخرة، وهذا ما ورد في الأحاديث الشريفة الآتية:

\_\_ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّهُ مَا سَكَنَ حُبُّ الدُّنْيَا قَلْبَ عَبْدٍ إِلَّا التَّاطُّ فِيهَا بِثَلَاثَ: شُغْلٍ لَا يَنْفَعُ عَنَاؤُهُ، وَقَفْرٍ لَا يُدْرِكُ غِنَاهُ، وَأَمَلٍ لَا يُنَالُ مُنْتَهَاهُ»(4).

\_\_ وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«مَنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِالدُّنْيَا تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِثَلَاثِ خِصَالٍ: هَمٌّ لَا يَفْنَى، وَأَمَلٌ لَا يُدْرِكُ، وَرَجَاءٌ لَا يُنَالُ»(5).

\_\_ وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

1- سورة النحل، الآيات: 97 و98 و99.

2- عوالي اللآلى: ج1، ص267، ح66. ميزان الحكمة: ج3، ص1193، ح5747.

3- نهج البلاغة: الخطبة 156. ميزان الحكمة: ج3، ص1193، ح5746.

4- بحار الأنوار: ج77، ص188، ح38. ميزان الحكمة: ج3، ص1203، ح5833.

5- الكافي: ج2، ص320، ح17. ميزان الحكمة: ج3، ص1203، ح5831.



«مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هِمَّتَهُ اشْتَدَّتْ حَسْرَتُهُ عِنْدَ فِرَاقِهَا» (1).

\_\_\_ التمتع بلذائذ الدنيا ليس حراما إذا كان مما يصلح شأن العبد بل لا يعد حبا للدنيا بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَيْسَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا طَلَبُ مَا يُصْلِحُكَ» (2).

ويظهر من الروايات الشريفة أن هناك شروطا تجعل التمتع بلذائذ الدنيا مقبولا عند أهل البيت عليهم السلام بدليل قول الإمام الكاظم عليه السلام:

«اجْعَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ حَقًّا مِنَ الدُّنْيَا بِإِعْطَائِهَا مَا تَشْتَهُى مِنَ الْحَلَالِ وَمَا لَا يَثْلِمُ الْمُرُوَّةَ وَمَا لَا سَرْفَ فِيهِ، وَاسْتَعِينُوا بِذَلِكَ عَلَى أُمُورِ الدِّينِ، فَإِنَّهُ زُوِيَ: لَيْسَ مِمَّا مَن تَرَكَ دُنْيَاهُ لِدِينِهِ، أَوْ تَرَكَ دِينَهُ لِدُنْيَاهُ» (3).

1\_\_\_ أن لا تتجاوز الضرورة والحاجة، بدليل قول الإمام الكاظم عليه السلام:

«لَيْسَ مِمَّا مَن تَرَكَ دُنْيَاهُ لِدِينِهِ، أَوْ تَرَكَ دِينَهُ لِدُنْيَاهُ».

2\_\_\_ أن لا تسبب ضررا لصاحبها أو لغيره، بدليل وصية لقمان الحكيم لابنه:

(يَا بُنَيَّ، لَا تَدْخُلْ فِي الدُّنْيَا دُخُولًا يَصْنُرُ بِأَخْرَجَتِكَ، وَلَا تَتْرُكْهَا تَرْكًا تَكُونُ كَلًّا عَلَى النَّاسِ) (4).

السؤال: لماذا أكد أهل بيت العصمة عليهم السلام على ضرورة ترك ما تتجاوز الحاجة من الدنيا؟

الجواب: لا يشك عاقل أن لنفسه عليه حقا ينبغي أن يعطيها إياه، فإذا أعطى

1- بحار الأنوار: ج71، ص181، ح34. ميزان الحكمة: ج3، ص1203، ح5835.

2- كنز العمال: 5439. ميزان الحكمة: ج3، ص1202، ح5824.

3- بحار الأنوار: ج78، ص321، ح18. ميزان الحكمة: ج3، ص1231، ح6002.

4- بحار الأنوار: ج73، ص124، ح112. ميزان الحكمة: ج3، ص1231، ح6004.

نفسه حقها سلم من الدخول فى عنوان الظالمين بل دخل فى ربة المنصفين ونجا من مكائد الشيطان، ولكى يتضح الأمر حليا نقف على أحاديث أهل البيت عليهم السلام ليعرفونا أسباب تأكيدهم على ذلك:

1\_\_ يؤكد أمير المؤمنين عليه السلام على أن ما زاد عن الحاجة فى هذه الدنيا ليس من نصيب صاحبه كما فى قوله عليه السلام لرجلٍ شكَا إليه الحاجة:

«إِعْلَمَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ تُصَيَّبُهُ مِنَ الدُّنْيَا فَوْقَ قُوَّتِكَ فَإِنَّمَا أَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِعَيْرِكَ» (1).

2\_\_ إن الاهتمام بتحصيل ما هو فائض عن الحاجة يؤدى إلى خسران العمر ودنو الأجل كما فى قول الإمام على عليه السلام:

«هُؤَلَاءِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَأَصْفِيَاؤُهُ تَتَزَهَوْنَ عَنِ الدُّنْيَا... ثُمَّ اقْتَصَصَ الصَّالِحُونَ آثَارَهُمْ... وَأَنْزَلُوا الدُّنْيَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَالْمِيتَةِ الَّتِي لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَشْبَعَ مِنْهَا إِلَّا فِي حَالِ الضَّرُورَةِ إِلَيْهَا، وَأَكَلُوا مِنْهَا بِقَدْرِ مَا أَبْقَى لَهُمُ النَّفْسَ وَأَمْسَكَ الرُّوحَ، وَجَعَلُوهَا بِمَنْزِلَةِ الْجِيفَةِ الَّتِي اشْتَدَّ تَنْتُهَا، فَكُلُّ مَنْ مَرَّ بِهَا أَمْسَكَ عَلَى فِيهِ، فَهُمْ يَتَبَلَّغُونَ بِأَدْنَى الْبَلَغِ...» (2).

3\_\_ الاكتفاء بالضرورة مما ينجى من شدة العذاب كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«فَرُّوا مِنْ فَضُولِ الدُّنْيَا كَمَا تَقَرُّونَ مِنَ الْحَرَامِ، وَهَوِّتُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ الدُّنْيَا كَمَا تَهَوِّتُونَ الْجِيفَةَ، وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ فَضُولِ الدُّنْيَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِكُمْ، تَنْجُوا مِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ» (3).

1- بحار الأنوار: ج 73، ص 90، ح 61. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1195، ح 5760.

2- بحار الأنوار: ج 73، ص 110، ح 109، ميزان الحكمة: ج 3، ص 1196، ح 5769.

3- مستدرک الوسائل: ج 12، ص 54، ح 13496. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1197، ح 5775.

السؤال: ما هو المراد من الزهد في الدنيا؟

الجواب: قبل الخوض في جواب هذا السؤال الذي يصلح أن يكون كتابا خاصا بالزهد، لابد أن أوضح أمراً في غاية الأهمية فأقول:

لا شك أننا نحب درجة الزاهدين ونتمنى منزلتهم في الآخرة، وقد يبادر بعضنا للإتصاف بالزهد ولكن دون جدوى، لأن مجرد حب درجة الزاهدين وتمنيها لا يفى بالعرض بل لابد من مجاهدة النفس وتخليصها من علائق الدنيا وحبائلها قولا وفعلا، وأود أن أضيف أيضا أن التكلم عن الزهد والزاهدين دون التلبس به عمليا أمر مخجل جدا إلا إذا قصدنا تحصيل الثواب من تذكير المؤمنين به وحثهم عليه من باب حب لغيرك ما تحب لنفسك.

بعد هذه المقدمة البسيطة والصادقة والصريحة نعطف البحث إلى معنى الزهد في نظر أهل بيت العصمة والطهارة عليه السلام فأقول:

1\_ الزهد هو الثقة بالله تعالى والرغبة في عطاياه كما ورد ذلك في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَلَا إِضَاعَةِ الْمَالِ، وَلَكِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَكُونَ بِمَا فِي يَدَيْكَ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ، وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْمُصِيبَةِ إِذَا أَنْتَ أَصَبْتَ بِهَا أَرْغَبَ مِنْكَ فِيهَا لَوْ أَنَّهَا أُبْقِيَتْ لَكَ»<sup>(1)</sup>.

2\_ الزهد هو أن لا نتعامل مع مفردات الحياة الدنيا كما يتعامل معها أهل الدنيا فلا تفرح إلى درجة البطر بما ناله منها ولا نحزن إلى درجة الجزع لما فقدناه منها وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«الزُّهْدُ كُلُّهُ فِي كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

1- كنز العمال: 6059. ميزان الحكمة: ج4، ص1567، ح7703.

(لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) (1).

فَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَىٰ الْمَاضِي وَلَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَهُوَ الزَّاهِدُ» (2).

3\_ الزهد هو أن نعيش ذكر الموت دائماً، ولا نغرق في الأمانى والطموحات التي تنسينا زيارة ملك الموت المفاجئة لنا، وأن نؤدى حقوق الله تعالى من خلال الابتعاد عن المعاصى وأداء الواجبات أما خوفاً أو طمعاً أو شكراً وهذا ما صرح به الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قَصْرُ الْأَمَلِ، وَشُكْرُ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَالْوَرَعُ عَنْ كُلِّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ» (3).

4\_ الزهد هو التنزه عن حب الظهور والمدح، وعدم الانشغال عن الكمال وتركية النفس من أوساخ الدنيا وهجر كل ما هو لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر، وترفع عن الشهوات المحرمة وهذا ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«الزُّهْدُ مِفْتَاحُ بَابِ الْآخِرَةِ، وَالْبِرَاءَةُ مِنَ النَّارِ، وَهُوَ تَرْكُ كُلِّ شَيْءٍ يَشْغَلُكَ عَنِ اللَّهِ، مِنْ غَيْرِ تَأْسُفٍ عَلَىٰ فَوْتِهَا، وَلَا إِعْجَابٍ فِي تَرْكِهَا، وَلَا انْتِظَارٍ فَرَجٍ مِنْهَا، وَلَا طَلْبٍ مَحْمَدَةٍ عَلَيْهَا، وَلَا عَوَظٍ مِنْهَا، بَلْ تَرَىٰ فَوْتَهَا رَاحَةً وَكَوْنَهَا آفَةً، وَتَكُونُ أَيْدِي هَارِباً مِنَ الْآفَةِ، مُعْتَصِماً بِالرَّاحَةِ» (4).

السؤال: ما هو مراد القرآن الكريم (اعلموا إنما الحياة الدنيا لهو ولعب وزينة وتفاخر بينكم)؟

1- سورة الحديد، الآية: 23.

2- بحار الأنوار: ج78، ص70، ح27. ميزان الحكمة: ج4، ص1566، ح7695.

3- تحف العقول: ص58. ميزان الحكمة: ج4، ص1567، ح7700.

4- بحار الأنوار: ج70، ص315، ح20.

الجواب: لا نريد أن نفسر هذه الآية الكريمة ولكن لنا أن نقول ما يلي:

إن الله تعالى حكيم خلق الخلق لغرض وهدف سام كما في قوله تعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (1).

فيعلم من هذه الآية الكريمة سر وجود الإنسان على هذه الأرض، إذ وجد الإنسان لكي يصل إلى كماله وقربه الإلهي وهذا لا يتم إلا من خلال ما شرعه الله تعالى من شرائع، ونهجه من مناهج، وسنه من سنن، فالالتزام بهذا كله يؤدي إلى الغاية السامية ويحقق الغرض الحكيم، فإذا اتضح هذا يتضح أن الابتعاد عن الشرائع والسنن والاشتغال بغيرها هو عين اللهو واللعب لخلوه من الغرض والنفع الحقيقي فيكون مثل المنشغل بأمور الدنيا كممثل الطفل الذي يلعب مع أقرانه لمجرد التسلية واللعب ثم يرجع بعدها إلى بيته يبحث عما ينفعه من طعام وشراب ومأوى، فإذا يمكن أن نسمى الأفعال الخالية من الأغراض السامية والأهداف النبيلة لعباً، ونطلق على كل ما يشغلنا عما خلقنا لأجله بأنه لهو، ونعد ما نتظاهر به من صلاح وحب للخير دون أن يكون له وجود في باطننا زينة، ويلزم من تباھينا في الأحساب والأنساب والثروة والمناصب دون التقوى تفاخر لا قيمة له عند الله تعالى.

فلذا ينبغي للعقلاء أن يجعلوا لأفعالهم أغراضاً نبيلة ترضى الله تعالى وتقربهم إليه لكي لا ينطبق عليهم عنوان اللاعبين، وأن ينتبهوا إلى ذكر الله تعالى فلا يشغلهم تجارة ولا بيع ولا أولاد عن ذلك فيخرجوا عن مصداق أهل اللهو، وأن يطابق ظاهرهم باطنهم في الصلاح فتكون زينتهم أخروية وليست زينة دنيوية، وأن يتعدوا عن التعالي بالقشور كالأحساب والشهرة والمال والمناصب ويتحلوا بالتقوى فينالوا الكرامة الإلهية.

السؤال: كيف نفسر عبادة الناس للدنيا وما هي صفات عبيد الدنيا؟

الجواب: الإنسان مفطور على الإسلام والتسليم والانقياد لله تعالى، فإذا صان فطرته وحفظها من الانحراف دامت سلامتها وظل عبداً صالحاً، وإذا تغيرت هذه الفطرة بالأفكار السقيمة وعصفت بها وساوس الشيطان وغلبة الهوى صار صاحبها عبداً للدنيا دون الله تعالى ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«مَنْ أَحَبَّ الدِّينَارَ والدِّرْهَمَ فَهُوَ عَبْدُ الدُّنْيَا» (1).

وورد عنه أيضاً قوله عليه السلام:

«قَدْ خَرَقَتْ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلَهَتْ عَلَيْهَا نَفْسَهُ فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثَمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثَمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا» (2).

وأما صفات عبيد الدنيا فقد جاء في حديث المعراج بيان ذلك:

«أهل الدنيا من كثر أكله وضحكه ونومه وغضبه، قليل الرضا، لا يعتذر إلى من أساء إليه، ولا يقبل معذرة من اعتذر إليه، كسلان عند الطاعة، شجاع عند المعصية، أمله بعيد، وأجله قريب، لا يحاسب نفسه، قليل المنفعة، كثير الكلام، قليل الخوف، كثير الفرح عند الطعام.

وإن أهل الدنيا لا يشكرون عند الرخاء، ولا يصبرون عند البلاء، كثير الناس عندهم قليل، يحمدون أنفسهم بما لا يفعلون، ويدعون بما ليس لهم، ويتكلمون بما يتمنون، ويدكرون مساوي الناس ويخفون حسناتهم.

قال: يا رب هل يكون سوى هذا العيب في أهل الدنيا؟ قال: يا أحمد، إن عيب أهل الدنيا كثير، فيهم الجهل والحُمق، لا يتواصعون لمن يتعلمون منه، وهم عند

1- الخصال: ص 113، ح 91. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1220، ح 5926.

2- نهج البلاغة: الخطبة 109. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1220، ح 5929.

أَنْفُسِهِمْ عُقْلَاءٌ وَعِنْدَ الْعَارِفِينَ حُمْقَاءٌ»(1).

السؤال: ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»(2).

كيف صارت كذلك؟

الجواب: ذكر العلماء عدة أوجه لتفسير هذا الحديث الشريف وهي كما يلي:

عن المحدث الحر العاملي (عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»).

وهذا الحديث مستفيض من طرق العامة والخاصة، والإشكال فيه: أن كثيراً من المؤمنين حالهم في الدنيا في نهاية الاستقامة والسعة؛ وكثيراً من الكفار حالهم في الدنيا في نهاية الضيق والعسر؛ ويمكن دفع هذا الإشكال بوجه.

الأول: إن المؤمن وإن كان حاله في الدنيا في سعة ويسر إلا أنه بالنسبة إلى حاله في الآخرة ومحلها فيها سجن في الدنيا والكافر بعكس ذلك، وهذا الجواب مروى عن أبي محمد الحسن عليه السلام حين اعترض عليه اليهودى فأجابه بهذا الجواب.

الثاني: أن يكون محمولاً على الأغلبية بالنسبة إلى جميع المؤمنين وجميع الكفار والبناء على الغالب جائز في سائر المقامات.

الثالث: إن المؤمن في الدنيا لما كان لم يزل في ملاحظة الطاعات والالتيان بالواجبات والمستحبات في جميع الأوقات وفي اجتناب المحرمات والمكروهات ولم يزل يتأمل في العواقب، ويتذكر النار والحساب والعقاب، فهو من حيث ملاحظة هذه الأمور وعدم مفارقتها لها في سجن.

1- بحار الأنوار: ج 77، ص 23، ح 6. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1220 \_ 1221، ح 5930.

2- دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي: ج 1، ص 47.

والكافر لما كان دائماً فى الانهماك فى المعاصى واللذات ولا يخطر بباله جنة ولا نار ولا حساب ولا عقاب فالدنيا جنة له.

الرابع: أن يكون المراد الدنيا سجن للمؤمن الكامل فى الإيمان وجنة للكافر الكامل فى الكفر، كما روى أن أشد الناس بلاء فى الدنيا الأنبياء ثم الأوصياء ثم الأمثل فالأمثل.

الخامس: أن يكون خبيراً بمعنى الأمر أى ينبغى للمؤمن أن يجعل الدنيا على نفسه بمنزلة السجن كما أن المحبوس فى السجن لا يريد تناول ما زاد على أقل الكفاية كسد الرمق وفكره مصروف إلى أسباب الخروج، وهذا المعنى فى بقية الحديث لا يخلو عن بُعد، ويمكن أن يوجه بأنه بالنسبة إلى الكافر على وجه التهديد والوعيد كقوله تعالى:

(اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ)(1).

أو المعنى: يحق للكافر أن يتخذ الدنيا جنة له فإنه ليس له فى الآخرة نصيب إلا العذاب والعقاب.

السادس: أن يكون المعنى أن المؤمن يعدّ الدنيا على نفسه سجناً فلا يرغب إليها ولا يميل إلى لذاتها ويخشى من غوائلها وإن كان متنعماً فيها ظاهراً والكافر بعكس ذلك)(2).

ويمكن لنا أن نضيف وجهاً آخر بلحاظ الزمان إذ إن السجن يتصف بفترة زمنية معينة ثم تنتهى فيتحرر صاحبه من قيوده فكذلك الدنيا لا بد لها من نهاية فيتحرر صاحبها من وطأة شهواتها ولذائدها الفانية فيذهب إلى دار لا لغو فيها ولا تأثيم، وإن كان كافراً فلا يغتر بجنته فهو خارج منها إلى الآخرة حيث العذاب والألم الشديد.

1- سورة فصلت، الآية: 40.

2- مصابيح الأنوار، السيد عبد الله شبر: ج 2، ص 23 \_\_ 24.



## \_\_ نصيحة معصومية

وردت الكثير من الأحاديث الشريفة التي تبين أن الدنيا ملعونة وذو عاقبة وخيمة إذا اتخذها الإنسان همّاً دون الآخرة وهي كما يلي:

1\_\_ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«مَنْ أَصْبَحَ وَالدُّنْيَا أَكْبَرُ هَمِّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ وَالرِّمَّ قَلْبُهُ أَرْبَعِ خِصَالٍ: هَمًّا لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ أَبَدًا، وَشَدًّا غَلًّا لَا يَنْفَرُجُ مِنْهُ أَبَدًا، وَفَقْرًا لَا يَبْلُغُ غِنَاهُ أَبَدًا، وَأَمَلًا لَا يَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ أَبَدًا».(1)

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«مَنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَالدُّنْيَا أَكْبَرُ هَمِّهِ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَشَتَّتْ أَمْرَهُ وَلَمْ يَنْلُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ هَمِّهِ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْغِنَى فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ أَمْرَهُ».(2)

2\_\_ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الدنيا ملعونة وملعون ما فيها، إلا ما ابتغى به وجه الله عز وجل».(3)

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«ألا إن الدنيا دارٌ لا يُسَلَّمُ منها إلا فيها (بالزهد)، ولا يُنْجَى بشيءٍ كان لها، ابتلى الناس بها فتنةً فما أخذوه منها لها أخرجوا منه وحوسبوا عليه، وما أخذوه منها لغيرها قدّموا عليه وأقاموا فيه».(4)

وعن الإمام الصادق عليه السلام \_\_ في زيارة الحسين عليه السلام عند الوداع \_\_ قال:

1- تنبيه الخواطر: ج 1، ص 130. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1222، ح 5942.

2- الكافي: ج 2، ص 319، ح 15. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1222، ح 5939.

3- كنز العمال: 6088. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1194، ح 5755.

4- نهج البلاغة: الخطبة 63. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1194، ح 5758.

«ولا تشغلنى عن ذِكْرِكَ بِإِكْثَارِ عَلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا تُلْهِبُنِي عَجَائِبُ بَهْجَتِهَا وَتَقْتَتِي زَهْرَاتُ زِينَتِهَا، وَلَا بِإِقْلَالِ يُضِرُّ بِعَمَلِي كَدُّهُ وَيَمْلَأُ صَدْرِي هَمُّهُ، أَعْطِنِي مِنْ ذَلِكَ غِنَىً عَنِ أَشْرَارِ خَلْقِكَ، وَبَلَاغاً أَنَالُ بِهِ رِضَاكَ»(1).

وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«فَارْفِضِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ حُبَّ الدُّنْيَا يُعْمِي وَيُصِمُّ وَيُكِمُّ وَيُذِلُّ الرَّقَابَ»(2).

وعنه عليه السلام قال:

«حُبُّ الدُّنْيَا يُفْسِدُ الْعَقْلَ، وَيُصِمُّ(3) الْقَلْبَ عَنِ سَمَاعِ الْحِكْمَةِ، وَيُوجِبُ أَلِيمَ الْعِقَابِ»(4).

3\_\_ حبها يورث البعد عن الله تعالى ويحرم القلب اللذات المعنوية كما جاء في حديث المعراج:

(قال الله تبارك وتعالى: يا أحمد، لو صدّ لى العبدُ صلاةَ أهلِ السماءِ والأرضِ، ويصومُ صيامَ أهلِ السماءِ والأرضِ، ويَطْوِي عن الطَّعامِ مِثْلَ الملائكةِ، ولَبَسَ لباسَ العابدينَ، ثُمَّ أَرَى فِي قَلْبِهِ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا دَرَّةً، أَوْ سَمْعَةً، أَوْ رِئَاسَةً، أَوْ صِدْقَةً، أَوْ زِينَةً، لَا يُجَاوِزُنِي فِي دَارِي، وَلَا نَزْعَنِّي مِنْ قَلْبِهِ مَحَبَّتِي (وَلَا ظَلَمَنِّي قَلْبُهُ حَتَّى يَنْسَانِي، وَلَا أَذِقُهُ حَلَاوَةَ مَحَبَّتِي)) (5).

4\_\_ يحذر أهل البيت عليهم السلام العقلاء من الاغترار بالدنيا لما في ذلك من آثار وعواقب وخيمة كما في قوله عليه السلام:

1- بحار الأنوار: ج 101، ص 281، ح 1. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1194، ح 5759.

2- الكافي: ج 2، ص 136، ح 23. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1202، ح 5826.

3- فى المصدر (ويهمُّ) والصحيح ما أثبتناه كما فى طبعة النجف وبيروت.

4- غرر الحكم: 4878. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1202، ح 5827.

5- مستدرک الوسائل: ج 12، ص 36، ح 13446. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1204، ح 5845.

«أَحَدَرَكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا دَارُ شُحُوصٍ، وَمَحَلَّةٌ تَنْغِيصٍ، سَاكِنُهَا ظَالِمٌ، وَقَاطِنُهَا بَاطِنٌ»(1).

وعنه عليه السلام قال:

«احذروا الدنيا فإن في حلالها حساب (أ)، وفي حرامها عقاب (أ)، وأولها عناء، وآخرها فناء»(2).

وعن الإمام على بن أبي طالب عليه السلام أيضا:

«احذروا الدنيا الحذر كُله، وضَعُوا عَنْكُمْ ثِقَلَ هُمُومِهَا لِمَا تَيَقَّنْتُمْ لَوْشَكِ زَوَالِهَا، وَكُونُوا أَسْرًا مَا تَكُونُونَ فِيهَا، أَحَدَرَ مَا تَكُونُونَ لَهَا»(3).

وهناك الكثير من الأحاديث في هذا الباب فراجع.

5\_\_ للجهل آثار وخيمة تفسد الدنيا وتوجب عذاب الآخرة ومن هذه الآثار الاغترار بالدنيا كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا يُعَايِنُ مِنْ سُوءٍ تَقْلُبُهَا جَهْلٌ»(4).

6\_\_ يرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الدنيا من مسؤولية الاغترار بها ويلقى اللوم على المغرور فيها بقوله:

«حَقًّا أَقُولُ: مَا الدُّنْيَا عَرَّتَكَ، وَلَكِنْ بِهَا اغْتَرَّتْ، وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتِ وَأَذَنَّتَكَ عَلَى سَوَاءٍ، وَلَهِيَ بِمَا تَعْرُدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجَسَمِكَ وَالتَّقْصِصِ (التَّقْصِصِ) فِي قُوتِكَ أَصْدَقُّ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَعْرِكَ»(5).

1- نهج البلاغة: الخطبة 196. ميزان الحكمة: ج3، ص 1210، ح 5867.

2- بحار الأنوار: ج78، ص23، ح88. ميزان الحكمة: ج3، ص1210، ح5869.

3- بحار الأنوار: ج73، ص109، ح109. ميزان الحكمة: ج3، ص1210، ح5872.

4- غرر الحكم: 2037. ميزان الحكمة: ج3، ص1214، ح5895.

5- نهج البلاغة: الخطبة 223. ميزان الحكمة: ج3، ص1215، ح5902.

7\_\_ يرشد الإمام على عليه السلام أهل النظر الثاقب والنباهة والكياسة إلى ضرورة التحلى بصفات الزاهدين عندما ينظرون إلى الدنيا فيقول:

«أوصيكم بالرّفْضِ لهذه الدنيا التاركة لكم، وإن لم تُحِبُّوا تَرَكَها... فلا تَنافَسُوا في عِزِّ الدنيا وفَخْرِها، ولا تَعَجَّبُوا بزِينَتِها ونعيمِها، ولا تَجَزَعُوا مِن صَرَائِها وبُؤْسِها، فإن عِزَّها وفَخْرَها إلى انقِطاعٍ، وإن زِينَتِها ونعيمِها إلى زوالٍ، وصَرَائِها وبُؤْسِها إلى نَفادٍ (نفاذٍ)»(1).

8\_\_ حَقَّرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا فينبغي الاقتداء به في رؤيته الحكيمة لندة القذارة لاسيما بعد الاطلاع على قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا بنَ جُنْدَبٍ، إن أَحَبَبْتَ أن تُجاوِرَ الجليلَ في دارِهِ وتَسْكُنَ الفِرْدَوْسَ في جِوارِهِ فلتَهُنْ عَلَيكَ الدنيا»(2).

9\_\_ نهى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عن تعظيم الآخرين لما لديهم من مال أو جاه أو منصب طمعا فيما لا يهم بل لا بد أن يكون التوقير والتعظيم للتقوى والأخوة في الله تعالى فلذا ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ عَظَّمَ صاحِبَ دُنْيا وأَحَبَّهُ لَطَمَعَ دُنْياهُ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ»(3).

10\_\_ أكد أهل البيت عليهم السلام على الصبر عندما يصاب المرء بما يلاقيه من ألم الدنيا فإنه قد خور له في الآخرة وهذا ما يدل عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول:

«مَرارَةُ الدنيا حَلالَةٌ والآخِرَةُ»(4).

1- نهج البلاغة: الخطبة 99. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1217، ح 5915.

2- بحار الأنوار: ج 78، ص 282، ح 1. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1225، ح 5964.

3- بحار الأنوار: ج 76، ص 360، ح 30. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1226، ح 5965.

4- غرر الحكم: 9793. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1227، ح 5983.

## صور حوارية ومواعظ

خلق الله تعالى الخلق وهو غنى عن طاعتهم ومنيع عن ضرر معصيتهم لما يتصف به من صفات الألوهية إلا أنه سبحانه لم يدع خلقه هملاً دون إرشاد وشريعة ومنهاج بل سن لهم السنن ونهج لهم المناهج ليصلوا إلى كمالهم، ومما أرشد إليه مدبر الأمور وخالق الخلق سبحانه أن نزهد في هذه الدنيا الدنية ونرفض زخرفها ونبتعد عن زبرجها وهذا ما التزم به سادة الخلق وقادة العباد محمد وآله الأطهار صلوات الله عليهم وسلم تسليماً كثيراً الصورة الأولى فعندما نتأمل هذه الصورة الرائعة التي نقلها عمر بن الخطاب بقوله:

(استأذنتُ على رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله وسلم فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي مَشْرَبَةِ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ، وَإِنَّهُ لَمُضْطَجِعٌ عَلَى خَصْفَةٍ وَإِنَّ بَعْضَهُ عَلَى التُّرَابِ وَتَحْتَ رَأْسِهِ وَسَادَةٌ مَحْشُوءَةٌ لِيَفَاءً، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَصَفْوَتُهُ وَخَيْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَكَسْرَى وَقِصْرُ عَلَى سُرْرِ الذَّهَبِ وَفُرْشِ الدِّيَاجِ وَالْحَرِيرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«أَوْلَيْكَ قَوْمٌ عَجَلَتْ طَبِيبَاتُهُمْ وَهِيَ وَشَيْكَةُ الْإِنْقِطَاعِ، وَإِنَّمَا أُخِّرَتْ لَنَا طَبِيبَاتُنَا» (1).

نجد عبراً ومواعظ تسر القلوب وتقر بها الأعين وهي كالاتي:

1\_ إن اضطجاع النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم (على خصفة) أي فراش من سعف النخيل دون أن يكون عليها شيء يحمي جسده الشريف من غظلتها دليل على تجسد التواضع في هذا الوجود المقدس، وبرهان على افتخار الزهد إذ صار لباساً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

2\_ وقول عمر (وإن بعضه على التراب...) يشير إلى علاقة المقدسين بأصلهم إذ

1- مجمع البيان: ج9، ص133. ميزان الحكمة: ج3، ص1228، ح5990.

يرون أن أجسادهم من التراب وعلى التراب وإلى التراب رغم أن أرواحهم فى عليين، فلا يرون ترفعا عن التراب ولا يشعرون بالتقدير منه كما يفعل المتكبرون الجهلة ذلك.

3\_\_ وقوله (وتحت رأسه وسادة محشوة ليفا) ألا يدل ذلك على عدم استخدام النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لولايته التكوينية فى مثل هذه الأمور التافهة؟ وإلا لو شاء لتصرف بهذه الوسادة وجعلها من حرير وديباج دون تعب أو نصب إلا أنه أثر أن يعيش وفق الأسباب والمسببات، ولعله أراد أن يعطى رسالة لعمر أو لغيره بأن الدنيا لا تستحق أن تكون هما نعيشه كل يوم، ولا تستحق أن يعصى الله تعالى لأجلها.

4\_\_ وردّ النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على عمر بقوله (أولئك قوم عجلت طبياتهم وهى وشيكة الانقطاع، وإنما أخرت لنا طبياتنا) فيه الكثير من الحكم والمواعظ:

منها: أن من أخذ نصيبه فى الدنيا ليس له نصيب فى الآخرة.

منها: أن العباد الصالحين لا يتأملوا من الدنيا راحة وسعادة لخلانهم معها ولأنهم لم يتخذوها أمأ لهم كما أنها لم تعتبرهم أولادا لها.

منها: أن الدنيا بما فيها من اللذائذ والحلاوة لا بد أن تنتهى فى يوم ما فيلقى أولادها ما ينغصم ويذيقهم المرارة بدل الحلاوة التى يتلذذون بها.

منها: أن الطيبات الفانية ليست لذينة وإنما اللذة فى الطيبات الباقية.

## الصورة الثانية

فاطمة الزهراء عليها السلام وما أدراك ما فاطمة هى بضعة النبى المصطفى وروحه التى بين جنبيه وهى لحمه ودمه وجزء لا يتجزأ منه فلذا نجدها لا تختلف عن أيها بصفة من صفاته، فلقد جاء عن جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه أنه قال:

(رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَعَلَيْهَا كِسَاءٌ مِنْ أَجَلَّةِ الْإِبْلِ وَهِيَ تَطْحَنُ بِيَدَيْهَا وَتُرْضِعُ وَلَدَهَا، فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

«يَا بِنْتَاهُ، تَعْجَلِي مَرَاةَ الدُّنْيَا بِحَلَاوَةِ الْآخِرَةِ».

فَقَالَتْ:

«يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَائِهِ وَالشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَى آلَائِهِ».

فَأَنْزَلَ اللَّهُ:

(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) (1)(2).

أرجو إعادة القراءة لهذه الرواية وأرجو أن تتصورها في خيالك لتدمع عيناك كما دمعت عين الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وبعد تأمل هذه الصورة تخرج بالمواعظ التالية:

منها: فاطمة سيدة نساء العالمين تلبس كساءً من أحلة الإبل لتعطي رسالة لكل النساء الواعيات أن لا يلهن وراء الأزياء والموديلات، وأن لا يكلفن أزواجهن فوق طاقتهم لكي يلبسن ما غلا ثمنه، فالبساطة في العيش لا تعد نقصاً كما لا يحق لأحد أن يسخر من صاحبه لاسيما في مجتمع النساء.

منها: أن هذه السيدة الكبرى والصديقة الطاهرة هي بنت سيد الكائنات وزوجة سيد الأوصياء وأم سيدي شباب أهل الجنة ومع ذلك تطحن بيديها لأسرتها وتعين بعلمها على شظف العيش، وتقول لنا لا بد من التكافل بين الرجل والمرأة لتسير الحياة الزوجية بهدوء وطمأنينة وسعادة، وتقول للنساء لا تبحتن عن الشائنة مع أزواجهن

1- سورة الضحى، الآية: 5.

2- نور الثقلين: ج5، ص594، ح10، أنظر أيضا: ص595، ح11. ميزان الحكمة: ج3، ص1228، ح5991.

طالما رضيتن بهم أزواجاً، فأنا بنت سيد الكائنات وخاتم الأنبياء والرسل ولا أستتكف من العمل فى بيتى وخدمة أسرتى.

منها: عند رضاعتها ولدها ترشدنا إلى ضرورة رضاعة الأم لولدها لما فى ذلك من فائدة صحية لهذا الوليد إذ إن حليب الأم يغذى الولد مادياً ومعنوياً، وتبين بأن هذه الرضاعة لهذا الطفل الصغير عمل صالح تنال الأم به ثواب الله عز وجل.

منها: قول رسول الله لا يبتته (يا بنتاه تعجلى مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة) لا يختلف عما بينه فى الصورة الأولى من أن الدنيا فانية ومرارتها منتهية والآخرة باقية وحلاوتها ولذتها دائمة.

منها: وقولها عليها السلام (يا رسول الله الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه....) دليل على الرضا التام بعطاء الله تعالى، وتصريح بأن هذه البساطة من العيش هى نعمة إلهية تحتاج إلى شكر المنعم عليها، كما أنها أكدت على عدم جواز التبرم من هذه الحياة البسيطة.

### الصورة الثالثة

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (عندما سأله يزيد بن سلام: لما سُميت الدنيا دُنْياً؟ قال:

«لأنَّ الدنيا دَنِيَّةٌ خُلِقَتْ مِنْ دُونِ الآخِرَةِ، وَلَوْ خُلِقَتْ مَعَ الآخِرَةِ لَمْ يَفْنَ أَهْلُهَا كَمَا لَا يَفْنَى أَهْلُ الآخِرَةِ».

قال: فأخبرنى لِمَ سُمِّيَتْ الآخِرَةُ آخِرَةً؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لأنَّها متأخِّرةٌ تَجِيءُ مِنْ بَعْدِ الدُّنْيَا، لَا تُوصَفُ سِنِينُهَا، وَلَا تُحْصَى أَيَّامُهَا، وَلَا يَمُوتُ سُكَّانُهَا»(1).

1- بحار الأنوار: ج 57، ص 356، ح 2. ميزان الحكمة: ج 3، ص 1192، ح 5740.



هذه الصورة تبين مرتبة الدنيا وكونها فانية بحلوها أو بمرها فإذا كانت حلوة بحسب الظاهر فلا تبطر فيها فتكون سببا لدخولك النار، وإن كانت مرة فاغتنم مرارتها لتكون سببا في دخولك الجنة.

### الصورة الرابعة

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (عندما رأى جابر بن عبد الله، وقد تنفس الصعداء فقال:

«يا جابر، علام تنفسك؟ أعلى الدنيا؟!».

فقال جابر: نعم، فقال له الإمام عليه السلام:

«يا جابر، ملاء الدنيا سبعة: المأكول، والمشروب، والملبوس، والمنكوح والمركوب، والمشموم، والمسموع.

فألذ المأكولات العسل وهو بصق من ذبابة، وأحلى المشروبات الماء وكفى يباحته وسد باحته على وجه الأرض، وأعلى الملابس الديباج وهو من لعاب دودة، وأعلى المنكوحات النساء وهو مبال في مبال ومثال لمثال، وإنما يراد أحسن ما في المرأة لأقبح ما فيها، وأعلى المركوبات الخيل وهو قوادل، وأجل المسمومات المسك وهو دم من سرة دابة، وأجل المسموعات الغناء والترنم وهو إثم، فما هذه صفتة لم يتنفس عليه عاقل».

قال جابر بن عبد الله: فوالله ما خطرت الدنيا بعدها على قلبي (1).

أراد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يوصل لنا رسالة واضحة عن أصل لذائذ هذه الدنيا التي يتنافس بل يتقاتل عليها أهلها، فأكد أن هذه اللذائذ التي ترونها جميلة فهي كخضراء الدمن في منبت السوء فلا يغتر أحد بها ولا يتهافت عاقل على نيلها.

1- بحار الأنوار: ج78، ص11، ح69. ميزان الحكمة: ج3، ص1209، ح5863.

## الصورة الخامسة

عن سويد بن غفلة قال: (دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بعدما بُويع بالخلافة وهو جالس على حصيرٍ صغيرٍ وليس في البيت غيره، فقلت: يا أمير المؤمنين، بيدك بيت المال ولست أرى في بيتك شيئاً مما يحتاج إليه البيت؟! فقال عليه السلام:

«يا بن غفلة، إن اللبيب لا يتأثت في دار الثقلة، ولنا دار أمنٍ قد نقلنا إليها خير متاعنا، وإننا عن قليلٍ إليها صائرون» (1).

يا لها من صورة مليئة بالعبء والمواعظ، فإذا تأملها العاقل لابد أن يرى ما يلي:

- 1\_ إن المنصب هو خدمة للناس وليس وسيلة للثراء والرفاه والاستحواذ.
- 2\_ الإمام عليه السلام لم يضع في البيت ما هو ضروري فضلاً عن الكماليات.
- 3\_ يتعامل الإمام عليه السلام مع الدنيا تحت عنوان (نجا المخفون) فلم يثقل نفسه بحطام الدنيا ولم يملأ بيته من زبرجدها.
- 4\_ يشير بقوله (وإننا عن قليلٍ إليها صائرون) إلى فناء الدنيا وقلة مدتها.

## بحث عقائدي

### الرضا بقضاء الله تعالى

من نعم الله تعالى أن منحنا عقلاً نزن به الأشياء ونميز به بين الحق والباطل ونستدل من خلاله على الخير فنفعله وعلى الشر فتجتنبه، وبهذه النعمة الإلهية التي لا تضاهيها نعمة إلا الإيمان نعرف أن الله تعالى هو خالقنا ومدير أمرنا ورحيم بنا أرحم من أمهاتنا بل أرحم من أنفسنا بأنفسنا، وهو الحكيم الذي لا خطأ ولا خلل في فعله، وهو العادل الذي لا يجورد في قضائه، المعصوم الذي لا يخطأ في تقديره، والعالم المحيط

1- بحار الأنوار: ج70، ص321، ح38. ميزان الحكمة: ج3، ص1219، ح5924.س

بكل شيء فلا يفوته شيء، يعلم بما ينفعنا وما يضرنا وما يصلحنا وما يفسدنا، والقادر المطلق الذي يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير، فإذا عرفنا ذلك وأيقنت به أنفسنا وأقرب به عقولنا لابد لنا من التسليم والانقياد له والتوكل عليه في جميع ما يهمننا والرضا والقبول بكل ما يقضى ويقدر، إذ إن عدم الرضا بقضائه وقدره يدل على جهلنا وعدم معرفتنا به ونقصان توحيدنا.

### أسئلة مهمة

### إشارة

السؤال: ما هو الرضا الذي ينبغي أن نعيشه في حياتنا؟

الجواب: الرضا: هو القبول بل التسليم والانقياد وعدم الاعتراض على ما يقضى سبحانه ويقدر.

السؤال: ما هي فوائد وثمرات الرضا؟

الجواب: للرضا مجموعة من الآثار والفوائد والثمرات وهي كما يلي:

1\_\_ يوجب القرب الإلهي كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ، فَإِنْ صَبَرَ اجْتَبَاهُ، وَإِنْ رَضِيَ اصْطَفَاهُ»(1).

2\_\_ يوجب الأجر العظيم في يوم لا ينفع فيه مال لا بنون وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«أَعْطُوا اللَّهَ الرِّضَا مِنْ قُلُوبِكُمْ تَظْفَرُوا بِثَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ فَرَّقَكُمْ وَالْإِفْلَاسِ»(2).

3\_\_ يوجب القناعة والشعور بالكفاية كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

1- بحار الأنوار: ج82، ص142، ح26. ميزان الحكمة: ج4، ص1476، ح7306.

2- مستدرک الوسائل: ج2، ص412، ح2331. ميزان الحكمة: ج4، ص1476 \_\_ 1477، 7307.

«مَنْ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَكْفِيهِ كَانَ أَيْسَرُ مَا فِيهَا يَكْفِيهِ» (1).

4— يوجب استجابة الدعاء وتحقيق ما تتمنى كما ورد ذلك عن الإمام الحسن عليه السلام:

«أَنَا الصَّامِنُ لِمَنْ لَا يَهْجِسُ فِي قَلْبِهِ إِلَّا الرِّضَا أَنْ يَدْعُو اللَّهَ فَيَسْتَجَابَ لَهُ» (2).

5— يوجب الشعور بالغنى والتتزه عما فى أيدى الناس كما قال الإمام الصادق عليه السلام:

«أَرْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ غَنِيًّا» (3).

6— يوجب الشعور بالاطمئنان والراحة كما ورد فى الحديث الشريف عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام:

«الرَّوْحُ وَالرَّاحَةُ فِي الرِّضَا وَالْيَقِينِ، وَالْهَمُّ وَالْحُزْنُ فِي الشَّكِّ وَالسَّخَطِ» (4).

7— يمنع وقوع الحزن ويرفعه عن صاحبه كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام:

«مَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ، لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ» (5).

وعنه عليه السلام أنه قال:

«الرِّضَا يَنْفِي الْحُزْنَ» (6).

السؤال: ما هى الآثار السلبية والنتائج الوخيمة لعدم الرضا؟

- 1- بحار الأنوار: ج 77، ص 169، ح 6. ميزان الحكمة: ج 4، ص 1477، ح 7311.
- 2- بحار الأنوار: ج 71، ص 159، ح 75. ميزان الحكمة: ج 4، ص 1477، ح 7308.
- 3- بحار الأنوار: ج 69، ص 368، ح 4. ميزان الحكمة: ج 4، ص 1477، ح 7312.
- 4- بحار الأنوار: ج 71، ص 159، ح 75. ميزان الحكمة: ج 4، ص 1477، ح 7316.
- 5- نهج البلاغة: الحكمة 349. ميزان الحكمة: ج 4، ص 1478، ح 7319.
- 6- غرر الحكم: 410. ميزان الحكمة: ج 4، ص 1478، ح 7320.

1— من لم يرض بما أعطاه الله تعالى وقع في فخ الشك ونسب الظلم إلى الله تعالى كما أكد ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«مَنْ لَمْ يَرْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، اتَّهَمَ اللَّهَ تَعَالَى فِي قَضَائِهِ» (1).

2— يؤدي عدم الرضا إلى صيرورة الأعمال هباء منثورا كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله:

«مَنْ رَضِيَ الْقَضَاءَ أَتَى عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَهُوَ مَا جُورُ وَمَنْ سَخِطَ الْقَضَاءَ أَتَى عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَأَحْبَطَ اللَّهُ أَجْرَهُ» (2).

السؤال: هل أن الرضا يعني ترك السعى في الأسباب؟

الجواب: لا يقول بذلك أحد بل أن القول على خلاف ذلك، إذ يحثنا الشرع على السعى والسبب في الأسباب كما في قوله تعالى:

«هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» (3).

وقوله عز وجل:

«إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَاتَّبَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا» (4).

وما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام صريح في التسبب كما في قوله عليه السلام:

1- بحار الأنوار: ج 78، ص 202، ح 33. ميزان الحكمة: ج 4، ص 1478، ح 7324.

2- بحار الأنوار: ج 71، ص 139، ح 26. ميزان الحكمة: ج 4، ص 1478، ح 7325.

3- سورة الملك، الآية: 15.

4- سورة الكهف، الآية: 84.

«أبَى اللّهُ أَنْ يُجْرِيَ الْأَشْيَاءَ إِلَّا بِأَسْبَابٍ، فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا شَرِحًا، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا عِلْمًا، وَجَعَلَ لِكُلِّ عِلْمٍ بَابًا نَاطِقًا، عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ، وَجَهَلَهُ مَنْ جَهَلَهُ، ذَاكَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ» (1).

فإذا عرفنا هذا يتبين لنا أن الرضا هو التسليم والقبول بكل ما يصيبنا بعد أن نؤدى تكليفنا الشرعى ألا وهو السعى فى الأسباب الشرعية المقبولة عند الله تعالى دون أسباب الشيطان، ولا شك فى الفرق بين سبل وأسباب الله تعالى وبين سبل وأسباب غيره المعوجة المفضية إلى عاقبة سيئة.

السؤال: كيف نميّز بين سبل الله تعالى وأسبابه وبين سبل وأسباب غيره؟

الجواب: هذا أمر بديهى لا لبس فيه، فكل ما هو موافق للشرع فهو سبب وسبيل إلهى وكل ما هو مخالف للشرع فهو غير ذلك.

السؤال: كيف نميّز أن المكروه الذى أصابنا من الله تعالى أو من غيره؟

الجواب: فى مقام الجواب عن هذا السؤال لابد من الوقوف على ما يأتى:

1\_ إذا أصابنا مكروه دون أن تتسبب به، كوقوع زلزال أو غيره من الكوارث فهو من الله تعالى ولا يريد به إلا نفعنا فلذا لا يحمد على مكروهه سواه.

2\_ إذا أصابنا مكروه بسبب جننا، فهو منّا والله تعالى برىء منه كما فى كثير من الأسباب التى تؤدى إلى عواقب وخيمة فلذا قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«سَبَبُ فَسَادِ الْيَقِينِ الطَّمَعُ» (2).

وقال عليه السلام:

1- الكافى: ج 1، ص 183، 7. ميزان الحكمة: ج 4، ص 1652، ح 8166.

2- غرر الحكم: 5513. ميزان الحكمة: ج 4، ص 1652، ح 8172.

«سَبَبُ فَسَادِ الْعُقْلِ الْهَوَى» (1).

وعنه عليه السلام:

«سَبَبُ الْفِتَنِ الْحَقْدُ» (2).

وقال عليه السلام:

«سَبَبُ الشَّحْنَاءِ كَثْرَةُ الْمِرَاءِ» (3).

وعنه عليه السلام أيضا:

«سَبَبُ الْفَقْرِ الْإِسْرَافُ» (4).

وقال عليه السلام:

«سَبَبُ الْفِرْقَةِ الْإِخْتِلَافُ» (5).

وقال عليه السلام أيضا:

«سَبَبُ الْفُجُورِ الْخَلْوَةُ» (6).

وعنه عليه السلام:

«سَبَبُ زَوَالِ النَّعْمِ الْكُفْرَانُ» (7).

وقال عليه السلام:

«سَبَبُ الْهَلَائِكِ الشُّرْكُ» (8).

---

1- غرر الحكم: 5515. ميزان الحكمة: ج4، ص1653، ح8174.

2- غرر الحكم: 5522. ميزان الحكمة: ج4، ص1653، ح8181.

3- غرر الحكم: 5524. ميزان الحكمة: ج4، ص1653، ح8183.

4- غرر الحكم: 5529. ميزان الحكمة: ج4، ص1653، ح8188.

5- غرر الحكم: 5530. ميزان الحكمة: ج4، ص1653، ح8189.

6- غرر الحكم: 5532. ميزان الحكمة: ج4، ص1653، ح8192.

7- غرر الحكم: 5517. ميزان الحكمة: ج4، ص1653، ح8176.





**\_\_ نصيحة يجب أن تسمعها**

إذا ادعى أحد أنه عبد لله تعالى يجب أن يصدق المدعى بالتلبس بثوب العبودية وألا يلزم من دعواه الكذب والنفاق، وليعلم العبد أن المولى لا يريد له إلا الخير ولا راد لما يريد، وعليه أن يعرف أن السبل غير سبيل الله تعالى تؤدي إلى الفشل والتبع وعدم الاطمئنان بل قد تؤدي إلى ذل في الدنيا، وحبط الأعمال وحرمان الثواب ووقوع الخزي والعذاب في الآخرة، وهذا ما يمكن استنباطه من حديث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول:

«أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود تُرِيدُ وَأُرِيدُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا أُرِيدُ، فَإِنْ أَسَلَمْتَ بِمَا أُرِيدُ أُعْطَيْتَكَ مَا تُرِيدُ، وَإِنْ لَمْ تُسَلِّمْ لِمَا أُرِيدُ أَتَعَبْتُكَ فِيمَا تُرِيدُ، ثُمَّ لَا يَكُونُ إِلَّا مَا أُرِيدُ» (1).

**\_\_ التزود بالأعمال الصالحة**

قرن الإيمان بالله تعالى وبأنبيائه ورسله وملائكته واليوم الآخر بالعمل الصالح ولولا هذا العمل الصالح لما صح أن يقال للإيمان إيمان لأن الإيمان هو العمل قبل كل شيء وهذا ما أكدته المحاوراة بين الإمام الصادق عليه السلام والزييري إذ سأله (عن أفضل الأعمال عند الله: ما لا يقبل الله شيئاً إلا به، قلت: وما هو؟ قال عليه السلام:

«الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو، أعلى الأعمال درجةً وأشرفها منزلةً وأسنها حظاً».

قال، قلت: ألا تُخبرني عن الإيمان، أقول هو وعمل، أم قول بلا عمل؟ فقال عليه السلام:

1- التوحيد للصدوق: ص 337. ميزان الحكمة: ج 4، ص 1478، ح 7327.

«الإيمانُ عَمَلٌ كُلُّهُ، والقَوْلُ بَعْضُ ذَلِكَ الْعَمَلِ» (1).

فمن هذا اتضح أن الإيمان والعمل متحدان لا ينفك أحدهما عن الآخر وإلا لفسدا وفقدنا عنوانهما الحقيقي، وعند إحصاء وتأمل الآيات الكريمة التي ورد فيها الإيمان مقروناً بالعمل الصالح يظهر لنا مدى أهمية العمل الصالح ونتيقن أن الإيمان لا فائدة فيه بل لا يتقوم إلا بالعمل الصالح، فلذا جاءت موعظة الإمام الحسين عليه السلام في خطبة:

«فتزودوا فإن خير الزاد التقوى».

وتتالت الأحاديث الشريفة التي تؤكد على أهمية القول الصالح وعلى دوره في حياة الإنسان وآخرته، إذ إن الإيمان والعمل الصالح بمثابة الجناحين اللذين يعرج بهما المؤمن إلى لقاء الله تعالى.

### \_\_ العمل مفتاح السعادة

كلنا ينشد السعادة ويعمل لنيلها، وكلنا يتمنى الحياة الطيبة الخالية من الهم والغم والحزن، إلا أن ذلك لا ينال إلا بالعمل الصالح المقرون بالإيمان التام المبني على العلم والمعرفة، فمن رام الدرجات الرفيعة وحلم بالسعادة الدنيوية فليؤمن ويعمل صالحاً، ومن رغب بما عند الله تعالى من الرضا والرضوان والفوز بالجنان فليؤمن ويعمل صالحاً، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى:

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (2).

1- الكافي: ج 2، ص 33، ح 1. ميزان الحكمة: ج 7، ص 2826، ح 14328.

2- سورة النحل، الآية: 97.

وصرحت به الآية الأخرى فى قوله تعالى:

(وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمَلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى) (1).

ولكى يتضح لنا كيف يكون العمل الصالح مفتاحا للسعادة لابد من الوقوف على آثاره الدنيوية والأخروية.

## آثار وثمرات العمل الصالح فى الدنيا

### إشارة

1\_\_ العمل الصالح يوجب الرفعة والدرجة الراقية التى تجعل صاحبها سيداً فى الدنيا والآخرة، كما أكد ذلك أمير المؤمنين بقوله:

«الشَّرْفُ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِحُسْنِ الْأَعْمَالِ، لَا بِحُسْنِ الْأَقْوَالِ» (2).

2\_\_ يصل بك العمل الصالح إلى هدفك السامى كما فى قول الإمام على عليه السلام:

«الْعِلْمُ يُرْشِدُكَ، وَالْعَمَلُ يَبْلُغُ بِكَ الْغَايَةَ» (3).

3\_\_ يوجب مدح الناس وثناءهم كما صرح بذلك سيد المتقين وأمير المؤمنين بقوله:

«إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرَى اللَّهُ لَهُمْ عَلَى السُّنَنِ عِبَادِهِ، فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الدَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ» (4).

4\_\_ للعمل الصالح أثر صالح على عامله وعلى ذريته، وحفظ له وللمن حوله من الناس كما بين ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

1- سورة طه، الآية: 75.

2- غرر الحكم: 1924. ميزان الحكمة: ج7، ص2816، ح14260.

3- غرر الحكم: 2060. ميزان الحكمة: ج7، ص2816، ح14261.

4- نهج البلاغة: الكتاب 53. ميزان الحكمة: ج7، ص2817، ح14277.

«إِنَّ اللَّهَ لِيُصِّحَّ بِصَلَاحِ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ وُلْدَهُ، وَوُلْدَ وُلْدِهِ، وَيَحْفَظُهُ فِي دَوَائِرِهِ، وَدَوَائِرِ حَوْلِهِ، فَلَا يَزَالُونَ فِي حِفْظِ اللَّهِ لِكِرَامَتِهِ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْغُلَامَيْنِ، فَقَالَ:

(وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) (1).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ شَكَرَ صَالِحَ أَبِيهِمَا لَهُمَا؟! (2).

5\_ العمل الصالح يوجب القوة في البدن والنفس كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ يَعْمَلْ يَزِدُّ قُوَّةً، مَنْ يَقْصُرْ فِي الْعَمَلِ يَزِدُّ فَتْرَةً» (3).

6\_ العمل الصالح يؤدي أن يصلح الله دين العبد كما في قول الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ» (4).

### \_\_ آثار العمل الصالح في الآخرة

1\_ به ينال ما عند الله تعالى من الأجر كما في قول الإمام علي عليه السلام:

«بِالْعَمَلِ يَحْصُلُ الثَّوَابُ لَا بِالْكَسَلِ» (5).

2\_ من خلال العمل الصالح نشعر بقيمة العلم ونلمس فائدته وهذا ما أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

1- سورة الكهف، الآية: 82.

2- تفسير العياشي: ج 2، ص 337، ح 63. ميزان الحكمة: ج 7، ص 2833، ح 14370.

3- غرر الحكم: 7990 \_\_ 7991. ميزان الحكمة: ج 7، ص 2716، ح 14259.

4- نهج البلاغة: الحكمة 423. ميزان الحكمة: ج 7، ص 2834، ح 14380.

5- غرر الحكم: 4295. ميزان الحكمة: ج 7، ص 2816، ح 14262.

«بِحُسْنِ الْعَمَلِ تُجْنَى ثَمَرَةُ الْعِلْمِ لَا بِحُسْنِ الْقَوْلِ»(1).

3\_\_ يرفد صاحبه بالنعم الوفيرة كما فى قول الإمام الصادق عليه السلام:

«اعملوا قليلاً تتعموا كثيراً»(2).

4\_\_ يوجب حب الله تعالى ومن أحب الله فلا خوف عليه ولا يحزن من شىء وهو ما ذكره الإمام زين العابدين بقوله:

«إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَحْسَنُكُمْ عَمَلًا، وَإِنَّ أَعْظَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَمَلًا أَعْظَمُكُمْ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ رَغْبَةً».

5\_\_ العمل الصالح يهئى لصاحبه المكان المريح والحياة الهنيئة كما ذكر ذلك الإمام الباقر عليه السلام بقوله:

«إِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يَذْهَبُ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَمَهِّدُ لِصَاحِبِهِ كَمَا يَبْعَثُ الرَّجُلُ غُلَامَهُ فَيَقْرُسُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ:

(مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ)(3)»(4).

6\_\_ يرفد صاحبه بالثواب بعد وفاته وهذا ما أكدته الأحاديث الكثيرة كقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«سَبْعَةُ أَسْبَابٍ يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ ثَوَابُهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ: رَجُلٌ عَرَسَ نَخْلًا، أَوْ حَفَرَ بُئْرًا، أَوْ أَجْرَى نَهْرًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ كَتَبَ مُصْحَفًا، أَوْ وَرَّثَ عِلْمًا، أَوْ

خَلَّفَ وَلَدًا صَالِحًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ»(5).

1- غرر الحكم: 4296. ميزان الحكمة: ج7، ص2817، ح14268.

2- تنبيه الخواطر: ج2، ص183. ميزان الحكمة: ج7، ص2817، ح14272.

3- سورة الروم، الآية: 44.

4- بحار الأنوار: ج71، ص185، 46. ميزان الحكمة: ج7، ص2821، ح14286.

5- تنبيه الخواطر: ج2، ص110. ميزان الحكمة: ج7، ص2821 \_\_ 2822، ح14288.

## \_\_ نِصَائِح

1\_\_ لا تنال الآخرة ولا ينجو العبد إلا بالعمل الصالح وإن كان ذا مال ومنصب كما فى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّ لِأَحَدِكُمْ ثَلَاثَةَ أَخْلَاءَ: مِنْهُمْ مَنْ يُمَتِّعُهُ بِمَا سَأَلَ فَذَلِكَ مَالُهُ، وَمِنْهُمْ خَلِيلٌ يَنْطَلِقُ مَعَهُ حَتَّى يَلِجَ الْقَبْرَ وَلَا يُعْطِيهِ شَيْئاً وَلَا يَصَدِّحِبُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَأَوْلِيكَ قَرِيبُهُ، وَمِنْهُمْ خَلِيلٌ يَقُولُ: وَاللَّهِ أَنَا ذَاهِبٌ مَعَكَ حَيْثُ ذَهَبْتَ وَلَسْتُ مُفَارِقَكَ! فَذَلِكَ عَمَلُهُ، إِنْ كَانَ خَيْرًا وَإِنْ كَانَ شَرًّا»(1).

أو كان ذا نسب وحسب وهذا بعينه ما ذكره الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ (حَسَبُهُ)»(2).

2\_\_ ضرورة الاستمرار على عمل الخير وإن كان قليلا لما فى ذلك من أجر عظيم وفائدة كبرى، هذا ما ذكرته الأحاديث الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«الْمُدَاوِمَةُ عَلَى الْعَمَلِ فِي اتِّبَاعِ الْآثَارِ وَالسُّنَنِ وَإِنْ قَلَّ، أَرْضَى لِلَّهِ وَأَنْفَعُ عِنْدَهُ فِي الْعَاقِبَةِ مِنَ الْجِتْهَادِ فِي الْبِدَعِ وَاتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ»(3).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«الْمُدَاوِمَةُ الْمُدَاوِمَةُ! فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِعَمَلِ الْمُؤْمِنِينَ غَايَةً إِلَّا الْمَوْتَ»(4).

1- كنز العمال: 42759. ميزان الحكمة: ج7، ص281، ح14284.

2- نهج البلاغة: الحكمة 23، 389. شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى: ج18، ص134. ميزان الحكمة: ج7، ص2816، ح14263.

3- الكافي: ج8، ص8، ح1. ميزان الحكمة: ج7، ص2822، ح14293.

4- مستدرک الوسائل: ج1، ص130، ح177. ميزان الحكمة: ج7، ص2822، ح14292.

وعن الإمام الباقر عليه السلام بقوله:

«أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ، وَإِنْ قَلَّ» (1).

3\_ للمداومة على فعل الخير آثار حسنة يحتاجها الفرد والمجتمع هذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«أَمَّا الْمُدَاوِمَةُ عَلَى الْخَيْرِ فَيَسَّدُ عَنِّي مَنَّهُ: تَرَكَ الْفَوَاحِشَ، وَابْتَعَدَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَالتَّحَرَّجُ، وَالْيَقِينُ، وَحُبُّ النَّجَاةِ، وَطَاعَةُ الرَّحْمَنِ، وَتَعْظِيمُ الْبُرْهَانِ، وَاجْتِنَابُ الشَّيْطَانِ، وَالْإِجَابَةُ لِلْعَدْلِ، وَقَوْلُ الْحَقِّ، فَهَذَا مَا أَصَابَ الْعَاقِلَ بِمُدَاوِمَةِ الْخَيْرِ» (2).

4\_ العمل الصالح القليل أفضل من العمل الكثير الذى لا تطيقه النفس وتمل منه القلوب فلذا أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك بقوله:

«إِنَّ النَّفْسَ مَلُولَةَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَتَدْرَى مَا قَدْرُ الْمُدَّةِ، فَلْيَنْظُرْ مِنَ الْعِبَادَةِ مَا يُطِيقُ، ثُمَّ لِيُدَاوِمَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دِيمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ» (3).

5\_ انتبه إلى عملك وأحرص أن تكون له عاقبة حسنة ولذة دائمة، وهذا ما نبهنا إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«سَتَانِ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ: عَمَلٌ تَذْهَبُ لِدُّنْهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ، وَعَمَلٌ تَذْهَبُ مَوْوَنَّتُهُ وَيَبْقَى أَجْرُهُ» (4).

1- بحار الأنوار: ج 71، ص 219، ح 25. ميزان الحكمة: ج 7، ص 2822، ح 14295.

2- تحف العقول: ص 17. ميزان الحكمة: ج 7، ص 2824، ح 14306.

3- كنز العمال: 5312. ميزان الحكمة: ج 7، ص 2824، ح 14307.

4- نهج البلاغة: الحكمة 121. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 18، ص 310. ميزان الحكمة: ج 7، ص 2834، ح 14375.

**\_\_ أسئلة مهمة**

السؤال: لم نرى أن الجزاء على العمل أكبر وأضخم من العمل؟

الجواب: هناك بحث في بيان مدى الترابط بين العمل والجزاء وملخصه:

قبل بيان هذا الترابط لابد من توضيح السؤال أو الإشكال الوارد على العدل الإلهي ثم يتسنى لنا الجواب عنه.

الإشكال: إن الجزاء الأخرى في مقام العقاب لا يتناسب مع الذنب الذي يصدر عن العبد وهذا يدل على عدم عدل الله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، فمثلاً:

لو عبث إنسان في طريق العامة وأحدث فيه ما يعيبه لابد له من عقوبة جزاءً لما فعل، إلا أن هذه العقوبة خروج عن العدالة ومخالفة لها.

وهكذا لو صدرت عن الإنسان غيبة مثلاً فمات دون أن يتوب عنها لابد أن تكون لها عقوبة ولكن هذه العقوبة لابد أن تتناسب مع الفعل الحرام، إلا أننا نرى أن عقوبة فاعل الغيبة هي أن يكون طعاماً لكلاب النار، أليس هذه العقوبة قاسية وشديدة، ومن هذا المنطلق نرى أن العقوبة لا تناسب الذنب وهذا ما يخالف العدل الإلهي؟

الجواب: ورد الجواب عند أهل الاختصاص من خلال هذه المقدمات وهي كما يلي:

1\_\_ إن الآخرة عالم لا يشبه عالم الدنيا في كثير من قوانينه، وعلى سبيل المثال:

ألف: في عالم الدنيا يحصل التغيير والانتقال من مرحلة إلى أخرى كالإنسان يبدأ طفلاً رضيعاً ثم يكون صبياً ثم يصبح شاباً ثم يعرج على الكهولة فالشيخوخة، أما في عالم الآخرة لا طفولة ولا كهولة ولا شيخوخة بل لا موت ولا فناء.



باء: هذا العالم هو عالم الزراعة والآخرة عالم الحصاد وتحصيل الثمار، أى أن العمل هنا دون حساب، وهناك الحساب والجزاء فقط، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَإِنَّ غَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ» (1).

جيم: فى هذا العالم تستطيع أن تصحح الخطأ وتتوب عن الذنوب أما فى الآخرة ليس لك الحق فى ذلك.

2— إننا نؤمن أن ما يفعله الإنسان هنا هو الذى يحدد نوع المصير هناك وهذا ما أكده رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الأحاديث الشريفة التى لو تأملها المنصف يجد الجواب على سؤاله والحل لإشكاله وهى كما يلى:

جاء فى حديث عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«لَمَّا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فِي لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ شَاهَدْتُ مَلَائِكَةً يَبْنُونَ بُيُوتًا: بَعْضٌ مِنْ ذَهَبٍ وَآخَرٌ مِنْ فِصَّةٍ، وَأَحْيَانًا يَتَوَقَّفُونَ عَنِ الْعَمَلِ، فَسَأَلْتُهُمْ لِمَاذَا تَعْمَلُونَ أَحْيَانًا وَيَتَّقُونَ عَنِ الْعَمَلِ أَحْيَانًا؟ فَأَجَابُوا، حَتَّى تَصِلْنَا إِمْدَادَاتِ صَاحِبِ الْبِنَاءِ.

فسألت وما تقصدون بالإمدادات؟ قالوا: ذُكِرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا قَوْلُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ.

فَفِي كُلِّ وَقْتٍ يَقُولُ نَحْنُ بَنِي وَفِي كُلِّ وَقْتٍ يَتَوَقَّفُ نَحْنُ أَيْضًا نَتَوَقَّفُ» (2).

وجاء فى حديث آخر عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم:

«كُلُّ مَنْ يَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ يُغْرِسُ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً، وَكُلُّ مَنْ يَقُولُ الْحَمْدُ

1- موسوعة الإمام على بن أبى طالب عليه السلام فى الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري: ج4، ص122، ح1351.

2- وسائل الشيعة: ج4، ص1208. العدل الإلهي، الشهيد مرتضى المطهرى: ص254.

لِلَّهِ يُغْرَسُ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ، وَكُلُّ مَنْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُغْرَسُ لَهُ اللَّهُ شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ، وَكُلُّ مَنْ يَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ يُغْرَسُ اللَّهُ لَهُ شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ: إِذَنْ أَشْجَارُنَا فِي الْجَنَّةِ كَثِيرَةٌ، فَأَجَابَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

نَعَمْ، وَلَكِنْ حَازِرُوا أَنْ تَبْعَثُوا إِلَيْهَا نَارًا تُحْرِقُهَا عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهَا، وَكَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (1)(2).

مما تقدم نخلص إلى جواب وهو أن الأعمال تتجسم في الآخرة وكما يدل على ذلك قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

وقوله تعالى:

(وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) (3).

وهناك إضافة إلى ما تقدم من الجزاء هو أثر للعمل فلا يقال لماذا لا يتناسب الأثر مع العمل القبيح فمثلاً: لو شرب رجل سما في خمس دقائق وبسهولة ودون أن يؤذى أحداً فإنه يموت فلا يقال لماذا مات؟

1- سورة محمد، الآية: 33.

2- العدل الإلهي للشهيد مرتضى المطهري: ص 254.

3- سورة الكهف، الآية: 49.

وإذا زنى أحد وأصيب بمرض زهري مدى حياته فلا يقال لماذا لا يوجد تناسب بين الفعل الذى لم يستغرق إلا ساعة وبين نتيجة الفعل التى امتدت طوال عمر الفاعل، فإن هذه آثار لتلك الأعمال وهكذا فى الآخرة فإن للأفعال آثارا لا تناسب الفعل.

السؤال: ما هى العوامل التى تساعد على قبول الأعمال؟

الجواب: ذكرت الأحاديث الشريفة خصالاً كثيرة ينبغى أن يتصف بها العامل لكي يقبل عمله وهى كما يلي:

1\_\_ التقوى: ينبغى أن يتصف العامل بالتقوى والتلبس بالطاعات لأن الله تعالى لا يتقبل إلا من المتقين كما فى قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(1).

وأكد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى وصيته للصحابى الجليل أبى ذر رضى الله عنه على أن التقوى سبب فى قبول العمل وإن كان قليلا:

«يا أبا ذر، كُنْ بِالْعَمَلِ بِالتَّقْوَى أَشَدَّ اهْتِمَاماً مِنْكَ بِالْعَمَلِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ عَمَلٌ بِالتَّقْوَى، وَكَيْفَ يَقْبَلُ عَمَلٌ يُتَقَبَّلُ؟! يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(2).

2\_\_ العقل: هو الملاك الذى يمتاز به المكلف عن غيره والميزان الذى توزن به الأمور، والقوة التى تدرك بها العلوم والأشياء فلذا ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام:

«قَلِيلُ الْعَمَلِ مِنَ الْعَاقِلِ مَقْبُولٌ مُضَاعَفٌ، وَكَثِيرُ الْعَمَلِ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى وَالْجَهْلِ مَرْدُودٌ»(3).

1- سورة المائدة، الآية: 27.

2- مكارم الأخلاق: ج2، ص 375، ح 2661. ميزان الحكمة: ج7، ص 2827، ح 14333.

3- تحف العقول: ص 387. ميزان الحكمة: ج7، ص 2827، ح 14334.

3\_ الإخلاص: كل عمل لا يتصف بالإخلاص فهو رياء ومردود على صاحبه لأنه لم يرد به وجه الله تعالى يكله إلى من عمل له فإذا كان عمله لسمعة بين الناس أو تحصيل فائدة منهم فليأخذ أجره ممن عمل له وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«إِنَّكَ لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْ عَمَلِكَ إِلَّا مَا أَخْلَصْتَ فِيهِ» (1).

السؤال: ما هي الموانع التي تمنع قبول الأعمال؟

الجواب: تقدم ذكر العوامل التي تساعد على قبول الأعمال والآن لابد أن نحذر المؤمنين من موانع قبول الأعمال وهي كما يلي:

1\_ عدم الاتصاف بالورع عن المعاصي وافتقاد العامل للخلق الحسن الذي يعاشر به الناس وسرعة الانفعال والغضب هي ما تمنع قبول الأعمال كما في قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«ثَلَاثٌ مَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ لَمْ يَقُمْ لَهُ عَمَلٌ: وَرَعٌ يَحْجُزُهُ عَنِ مَعَاصِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخُلُقٌ يُدَارِي بِهِ النَّاسَ، وَحِلْمٌ يَرُدُّ بِهِ جَهْلَ الْجَاهِلِ» (2).

2\_ الاختلال في العقائد وانكار أصول الدين سبب مهم في منع قبول العمل، سوء الخلق مع الوالدين والتقصير معهما حاجبا لمنع العمل، والخيانة والهروب عند الجهاد مانع ثالث بمنع قبول الأعمال كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ثَلَاثَةٌ لَا يَنْفَعُ مَعَهُنَّ عَمَلٌ: الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَالْفِرَارُ مِنَ الرَّحْفِ» (3).

1- غرر الحكم: 3787. ميزان الحكمة: ج7، ص2828، ح14335.

2- الخصال: ص125، ح121. ميزان الحكمة: ج7، ص2828، ح14337.

3- كنز العمال: 43824، 43937. ميزان الحكمة: ج7، ص2828، ح14341.

3\_\_ إطلاق اللسان فيما حرم الله تعالى من الغيبة والنميمة والفحش بالقول والبذاءة والغناء وقذف المؤمنين وهجائهم والسخرية والاستهزاء بهم وغير ذلك من زلات اللسان لهو من أكبر الموانع لقبول العمل بل هو ينسف العمل نسفا كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما عملَ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ لِسَانَهُ»(1).

وكما في قول الإمام الصادق عليه السلام لعَبَاد بن كثير البصرى الصوفى:

«وَيَحَكَّ يَا عَبَادًا غَرَكَ أَنْ عَفَّ بَطْنُكَ وَفَرَجُكَ؟! إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ»(2).

اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْكَ شَيْئًا حَتَّى تَقُولَ قَوْلًا عَدْلًا»(3).

4\_\_ إخفاء الحقد والضغائن في القلب على المؤمنين سبب آخر يمنع قبول الأعمال كما ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ مُؤْمِنٍ عَمَلًا وَهُوَ مُضْمِرٌ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ سُوءًا»(4).

5\_\_ الاستمرار على المعصية بإصرار يعد من الكبائر التي لا يقبل معها أى طاعة كما ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام:

(لَا وَاللَّهِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ طَاعَتِهِ عَلَى الْإِصْرَارِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ مَعَاصِيهِ»(5).

السؤال: كيف نشخص العمل السيئ عند التباس الحق بالباطل؟

1- بحار الأنوار: ج 77، ص 85. ميزان الحكمة: ج 7، ص 2828، ح 14342.

2- سورة الأحزاب، الآيتان: 70 و 71.

3- الكافي: ج 8، ص 107، ح 81. ميزان الحكمة: ج 7، ص 2829، ح 14343.

4- الكافي: ج 2، ص 361، ح 8. ميزان الحكمة: ج 7، ص 2829، ح 14347.

5- الكافي: ج 2، ص 288، ح 3. ميزان الحكمة: ج 7، ص 2829، ح 14346.

لاشك أن الأعمال الصالحة معروفة واضحة وكذلك الأعمال السيئة إلا أن هناك ميزانا نوزن به العمل نعرف من خلاله قبح العمل أو حسنه، ويمكن تلخيص ذلك من خلال هذه النقاط المهمة:

1\_ إذا كان العمل مخجلاً يستحى منه فهو قبيح، كما هو في قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَحْذَرُ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ، وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ» (1).

2\_ إذا كان العمل يدعو للاعتذار فهو قبيح، كما ورد في قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَحْذَرُ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوْ اعْتَذَرَ مِنْهُ» (2).

3\_ إذا كان العمل مما ينكره صاحبه فهو قبيح، حيث قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِيَّاكَ وَكُلَّ عَمَلٍ إِذَا ذُكِرَ لِصَاحِبِهِ أَنْكَرَهُ» (3).

4\_ إذا كان العمل سبباً في تفرق الناس عنك أو يحط من مقامك، أو يوقع عليك ضرراً في الدنيا وإثماً في الآخرة، حيث ورد في قول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«إِيَّاكَ وَكُلَّ عَمَلٍ يُفْقَرُ عَنْكَ حُرّاً، أَوْ يُذِلُّ لَكَ قَدْرًا، يَجْلِبُ عَلَيْكَ شَرًّا، أَوْ تَحْمِلُ بِهِ إِلَى الْقِيَامَةِ وِزْرًا» (4).

1- نهج البلاغة: الكتاب 69. ميزان الحكمة: ج7، ص2829، ح14356.

2- ميزان الحكمة: ج7، ص2829، ح14357.

3- بحار الأنوار: ج71، ص369، ح19. ميزان الحكمة: ج7، ص2829، ح14358.

4- غرر الحكم: 2727. ميزان الحكمة: ج7، ص2831، ح14359.

**\_\_ نِصَائِحُ ضَرُورِيَّة**

دأب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام على إهداء النصائح إلى المؤمنين وإرشاد الأمة إلى طريق السعادة الدنيوية والأخروية، ومما يدخل تحت هذا العنوان ما ورد عنهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) من أحاديث تعد من نعم الله تعالى علينا وهي كما يلي:

1\_\_ أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بالتمسك بالعلم واتخاذَه في كل عمل يريدون عمله كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته لابن مسعود:

«يَا بَنَ مَسْعُودٍ، إِذَا عَمِلْتَ عَمَلًا فَأَعْمَلْ بِعِلْمٍ وَعَقْلٍ، وَإِيَّاكَ وَأَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا بَغَيْرِ تَدَبُّرٍ وَعِلْمٍ؛ فَإِنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ:

(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ غَزَلُهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَائِهَا) (1)» (2).

2\_\_ على كل من يعمل عملاً لا بد أن يضع نصب عينيه الثواب والعقاب لكي تستقيم أعماله وتكون عند الله تعالى مرضية مقبولة كما أكد ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«اعْمَلْ عَمَلًا مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَجَازِيهِ بِإِسَاءَتِهِ وَإِحْسَانِهِ» (3).

1- سورة النحل، الآية: 92.

2- مكارم الأخلاق: ج 3، ص 361، ح 2660. ميزان الحكمة: ج 7، ص 2831، ح 14360.

3- غرر الحكم: 2352. ميزان الحكمة: ج 7، ص 2831، ح 14361.

**الخطبة السادسة: وفيها يُذكر بفضائل أهل البيت عليهم السلام ويأمر باتّباعهم**

**إشارة**





حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي فقال:

### نص الخطبة

#### إشارة

(نَحْنُ حِزْبُ اللَّهِ الْغَالِبُونَ، وَعِترَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْأَقْرَبُونَ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ الطَّيِّبُونَ، وَأَحَدُ الثَّقَلَيْنِ الَّذِينَ جَعَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثَانِي كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، الَّذِي فِيهِ تَقْصِيصُ كُلِّ شَيْءٍ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَالْمُعَوَّلُ عَلَيْنَا فِي تَفْسِيرِهِ، لَا يُبْطِئُنَا تَأْوِيلُهُ، بَلْ نَتَّبِعُ حَقَائِقَهُ، فَأَطِيعُونَا فَإِنَّ طَاعَتَنَا مَفْرُوضَةٌ، أَنْ كَانَتْ بَطَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَفْرُوضَةً، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) (1).

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) (2).

وَأَحْذَرُكُمْ الْإِصْغَاءَ إِلَى هَتُوفِ الشَّيْطَانِ بِكُمْ فَإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، فَتَكُونُوا

1- سورة النساء، الآية: 59.

2- سورة النساء، الآية: 83.

كَأُولِيَّائِهِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ:

(لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ) (1).

فَتَلْقَوْنَ لِلسُّيُوفِ ضَرْبًا، وَلِلرِّمَاحِ وَزِدًا، وَلِلْعَمَدِ حَطْمًا، وَلِلسَّهَامِ غَرَضًا، ثُمَّ لَا يُقْبَلُ مِنْ نَفْسٍ إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا).

(نَحْنُ حِزْبُ اللَّهِ الْغَالِبُونَ، وَعِترَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْأَقْرَبُونَ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ الطَّيِّبُونَ، وَأَحَدُ الثَّقَلَيْنِ الَّذِينَ جَعَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثَانِي كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، الَّذِي فِيهِ تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَالْمَعْوَلُ عَلَيْنَا فِي تَفْسِيرِهِ، لَا يُبْطِئُنَا تَأْوِيلُهُ، بَلْ تَتَّبِعُ حَقَائِقَهُ، فَاطِيعُونَا فَإِنَّ طَاعَتَنَا مَقْرُوضَةٌ، أَنْ كَانَتْ بَطَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَقْرُوضَةً، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ).

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ...).

يشير بضمير الجمع إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويعرفهم بأنهم الجماعة القوية الصلبة القاهرة والفائزة التي ترتبط بالله تعالى، ونسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعشيرته الأقربون، وأهل بيته الأزكياء الطاهرون أو أحد الشيتين

العظيمين النفيسين الذين جعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجهة المقابلة للقرآن الكريم، هذا الكتاب الذي فيه بيان أجزاء كل شيء، لا- يأتيه الباطل أى لا يقع منه ما يخالف الحق أو ما يخالف الصحيح من أمامه أو من وراء ظهره، والمعتمد علينا فى توضيح وشرح القرآن الكريم، ولا يتأخر علينا إرجاعه إلى أصله وحقيقته وباطنه، بل نطلب خالصه وكنهه، فانقادوا لنا فإن الانقياد لنا أمر واجب من الله تعالى، لأن طاعتنا ملازمة ومصاحبة لطاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، قال الله عز وجل:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) (1).

(وَأَحْذَرُكُمْ لِإِصْغَاءِ إِلَى هَتُوفِ الشَّيْطَانِ بِكُمْ فَإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، فَتَكُونُوا كَأُولِيَاءِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ:

(لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ) (2).

فَتَلْقَوْنَ لِلسُّيُوفِ ضَرْبًا، وَلِلرِّمَاحِ وَزِدًا، وَلِلْعَمَدِ حَطْمًا، وَلِلسَّهَامِ غَرَضًا، ثُمَّ لَا يَقْبَلُ مِنْ نَفْسٍ إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا).

وأخوفكم من الاستماع إلى صياح الشيطان بكم فإنه لكم عدو ظاهر، فإذا استمتعتم إلى هتوفه ستكونوا كأتباعه فتطرحون للسيف الصوارم لتصيبيكم، وتكونون مكانا لدخول الرماح، مكانا لتحطم وتكسر الأعمدة، وهدفا لرمى السهام، ثم بعد ذلك لا يرضى عنكم إذا لم تكونوا مؤمنين قبل هذا اليوم أو أنكم مؤمنون غير عاملين بالخير والمعروف.

1- سورة النساء، الآية: 59.

2- سورة الأنفال، الآية: 48.

## \_\_ فضل أهل البيت عليهم السلام

تختلف مقامات البشر ورتبهم تبعاً لاختلاف ذواتهم من حيث الخصائص والصفات الذاتية والمؤهلات النفسية، وحيث إن بعض هذه الصفات والمؤهلات ما هو ظاهر فيعرف بها صاحبها، وبعضها منها يبقى باطنا فلا يحيط بها إلا خالقها سبحانه، ولذا صار المدح دليلاً على مقام الممدوح وعلو رتبته، والذم دليلاً على دنو رتبته وتسافله، إلا أننا نواجه سؤالاً مهماً في طرحنا هذا وهو: مَنْ له الحق في تقييم البشر وإعطائهم الرتبة التي تناسب خصائصهم ومؤهلاتهم؟ ومن البديهي أن يكون الجواب كالآتي:

أن من له القدرة على معرفة الخصائص والمؤهلات معرفة تامة دون الوقوع في الاشتباه أو الالتباس هو صاحب الحق في تقييم هؤلاء، وهذا لا ينطبق إلا على المعصوم في الرؤيا والتقييم، وهذا لا يكون إلا ممن له إحاطة تامة بهؤلاء البشر وهو ليس إلا خالقهم سبحانه بناءً على أن العلة عالمة بمعلولها.

فإذا تبين أن الله تعالى هو من له الحق في تقييم خلقه يلزم منه أن ما صدر من مدح إلهي في حق فرد أو مجموعة هو المعيار في تقديم وتفضيل هذا الفرد أو هذه المجموعة على غيرهم وهذا ما صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى:

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (1).

فهو مدح إلهي صريح لفرد من أفراد البشر وهو الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم كما مدح غيره من الأنبياء في آيات كثيرة، وقوله تعالى:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (2).

1- سورة القلم، الآية: 4.

2- سورة الأحزاب، الآية: 33.

هو أيضا مدح صريح لمجموعة من الأفراد وهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا صار لأهل بيت العصمة عليهم السلام فضل على غيرهم فضلهم الله تعالى به، وهناك أحاديث كثيرة وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فنقف عليها ليتضح فضلهم وحقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على الناس.

## \_\_ فضلهم فى القرآن الكريم

وردت الآيات الكريمة الكثيرة التى تبين فضل أهل البيت عليهم السلام عن طريق مصادر أهل السنة وهى كما يلي:

1\_\_ آية تبين طهارة وعصمة أهل البيت عليهم السلام كما فى قوله تعالى:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا).

ورد فى صحيح مسلم (فى كتاب فضائل الصحابة، فى باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسنده عن صفية بنت شيبه قالت:

قالت عائشة: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن على فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء على فأدخله ثم قال:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»(1).

1- فضائل الخمسة: ج 1، ص 270. (أقول) ورواه الحاكم أيضا فى مستدرک الصحيحين: ج 3، ص 147، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ورواه البيهقى أيضا فى سننه: ج 2، ص 149. ورواه ابن جرير أيضا فى تفسيره: ج 22، ص 5، عن عائشة. وذكره السيوطى أيضا فى الدر المنثور فى تفسير آية التطهير فى سورة الأحزاب وقال: أخرجه ابن أبى شيبه وأحمد وابن أبى حاتم، وذكره الزمخشري فى الكشاف فى تفسير آية المبالغة بمناسبة وهكذا الفخر الرازى، وقال: واعلم أن هذه الرواية كالمتمفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث (انتهى).

وجاء فى سنن الترمذى (روى بسنده عن عمرو بن أبى سلمة ربيب النبى صلى الله عليه \_\_\_ وآله وسلم قال: لَمَّا نزلت هذه الآية على النبى صلى الله عليه \_\_\_ وآله \_\_\_ وسلم:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (1).

فى بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلى عليه السلام خلف ظهره فجللهم بكساء ثم قال:

«اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا».

قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبى الله؟ قال:

«أنت على مكانك وأنت على خير» (2).

2 \_\_\_ آية المبالغة التى تبين عصمة أهل البيت عليهم السلام على النصارى فضلا عن الأمة الإسلامية كما فى قوله تعالى:

(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (3).

ورد فى سنن الترمذى (روى بسنده عن عامر بن سعد بن أبى وقاص، عن أبيه، قال: لَمَّا أنزل الله هذه الآية (ندع أبناءنا وأبنائك) دعا رسول الله صلى الله عليه \_\_\_ وآله

1- سورة الأحزاب، الآية: 33.

2- فضائل الخمسة: ج 1، ص 271. سنن الترمذى: ج 2، ص 209. (أقول) ورواه أيضا فى: ج 2، ص 308، ثم قال: وفى الباب عن أم سلمة ومعتل بن يسار وأبى الحمراء وأنس. ورواه الطحاوى أيضا فى مشكل الآثار: ج 1، ص 335. ورواه ابن الأثير الجزرى أيضا فى أسد الغابة: ج 2، ص 12. ورواه ابن جرير الطبرى أيضا فى تفسيره: ج 22، ص 6 \_\_\_ 7، وقال عم أم سلمة.

3- سورة آل عمران، الآية: 61.

\_\_ وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال:

«اللهم هؤلاء أهلي» (1).

وروى الزمخشري في الكشاف والفخر الرازي في تفسيره الكبير، في ذيل تفسير آية المباهلة في سورة آل عمران، والشبلنجي في نور الأبصار واللفظ للأخير قال:

قال المفسرون: لما قرأ رسول الله صلى الله عليه \_\_ وآله \_\_ وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر في أمرنا ثم نأتيك غداً فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب \_\_ وكان كبيرهم وصاحب رأيهم \_\_ ما ترى يا عبد المسيح؟ قال: لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل ولئن فعلتم ذلك لنهلكن (وفي رواية) قال لهم: والله ما لآعن قوم قط نبياً إلا هلكوا عن آخرهم، فإن أبيتهم إلا- الإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فودعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه \_\_ وآله \_\_ وسلم وقد احتضن الحسن عليه السلام وأخذ بيد الحسين عليه السلام وفاطمة عليها السلام تمشي خلفه، وعلى عليه السلام يمشي خلفها، والنبي صلى الله عليه \_\_ وآله \_\_ وسلم يقول لهم:

«إذا دعوت فأمنوا».

فلما رأهم أسقف نجران قال: يا معشر النصارى إنى لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نباهلك وأن تتركك على دينك وتتركنا على ديننا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه \_\_ وآله \_\_ وسلم:

«فإن أبيتهم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلم وعليكم ما عليهم»

1- فضائل الخمسة: ج1، ص291. سنن الترمذى: ج2، ص166. (أقول) ورواه الحاكم أيضاً في مستدرک الصحيحين: ج3، ص150، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ورواه البيهقي أيضاً في سننه: ج7، ص63.



فأبوا ذلك فقال:

«إني أنابذكم».

فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة ولكننا نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا، وأن نؤدى إليك فى كل سنة ألفى حلة، ألفاً فى صفر وألفاً فى رجب (قال: وزاد فى رواية) وثلاثاً وثلاثين درعاً عادية وثلاثة وثلاثين بعيراً وأربعة وثلاثين فرساً غازية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك، وقال:

«والذى نفسى بيده إن العذاب تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسحوا قرده وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى ناراً ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر، وما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا».

(قال) أخرج الخازن وغيره(1).

3— سورة هل أتى تبين مقام ورتبة أهل البيت عليهم السلام عند ربهم كما فى:

(وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا)(2).

ورد فى أسد الغابة لابن الأثير الجزرى (فى ترجمة فضة النبوية، روى بسنده عن مجاهد، عن ابن عباس قال: فى قوله تعالى:

(يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (7) وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)(3).

قال: مرض الحسن والحسين عليهما السلام فعادهما جدتهما رسول الله صلى الله

1- فضائل الخمسة: ج1، ص291 \_\_ 292. نور الأبصار، الشبلنجى: ص100.

2- سورة الإنسان، الآيتان: 8 و9.

3- سورة الإنسان، الآيتان: 7 و8.

عليه \_\_\_ وآله \_\_\_ وسلم وعادهما عامة العرب، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك نذراً، فقال على عليه السلام:

«إن برئنا مما بهما صمت لله عزّ وجل ثلاثة أيام شكراً».

وقالت فاطمة عليها السلام كذلك، وقالت جارية \_\_\_ يقال لها فضة نوبية \_\_\_ إن برئنا سيداي صمت لله عزّ وجل شكراً فألب الغلامان العافية وليس عند آل محمد قليل ولا كثير.

فانطلق على عليه السلام إلى شمعون الخيري فاستقرض منه ثلاثة أصوع من شعير فجاء بها فوضعها فقامت فاطمة عليها السلام إلى صاع فطحنته واختبزه وصلى على عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه \_\_\_ وآله \_\_\_ وسلم ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من أولاد المسلمين أطمعوني أطمعكم الله عزّ وجل على موائد الجنة، فسمعه على عليه السلام فأمرهم فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلا الماء.

فلما كان اليوم الثاني قامت فاطمة عليها السلام إلى صاع وخبزه وصلى على عليه السلام مع النبي صلى الله عليه \_\_\_ وآله \_\_\_ وسلم ووضع الطعام بين يديه إذ أتاهم يتيم فوقف بالباب وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد يتيم بالباب من أولاد المهاجرين استشهد والدي أطمعوني فأعطوه الطعام فمكثوا يومين لم يذوقوا إلا الماء.

فلما كان اليوم الثالث قامت فاطمة عليها السلام إلى الصاع الباقي فطحنته واختبزه فصلى على عليه السلام مع النبي صلى الله عليه \_\_\_ وآله \_\_\_ وسلم ووضع الطعام بين يديه إذ أتاهم أسير فوقف بالباب وقال: السلام عليكم أهل بيت النبوة تأسرونا وتشدوننا ولا تطعموننا، أطمعوني فإني أسير فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا إلا الماء، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه \_\_\_ وآله \_\_\_ وسلم فرأى ما

بهم من الجوع فأنزل الله تعالى:

(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا (1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (4) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (5) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (7) وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا (1)).

ثم قال: أخرجها أبو موسى (2).

وذكر الواحدى فى أسباب النزول (فى بيان نزول قوله تعالى:

وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا).

فى سورة هل أتى قال: قال عطاء عن ابن عباس، وذلك أن على بن أبى طالب عليه السلام نوبة آجر نفسه يسقى نخلاً بشىء من شعير ليلة حتى أصبح وقبض الشعير وطحن ثلثه فجعلوا منه شيئاً لياكلوه يقال له الحريرة فلما تم إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثانى فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأله فأطعموه إياه، ثم عمل الثلث الباقى فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فأطعموه وطووا، يومهم ذلك، فأنزلت فيه هذه الآية (3).

1- سورة الإنسان، الآيات: 1 إلى 9.

2- فضائل الخمسة للسيد مرتضى الفيروز آبادى: ص 301 \_\_ 302. أسد الغابة لابن أثير: ج 5، ص 530.

3- فضائل الخمسة للسيد مرتضى الفيروز آبادى: ج 1، ص 302 \_\_ 303. أسباب النزول، الواحدى: ص 331. (أقول) وذكره المحب الطبرى أيضاً فى الرياض النضرة: ج 2، ص 227، وقال فيه: يقال له الحريرة دقيق بلا دهن وقال: هذا قول الحسن وقتادة إن الأسير كان من المشركين، وقال سعيد ابن جبیر: الأسير المحبوس من أهل القبلة. وذكره أيضاً فى ذخائره: ص 102.

4\_\_ آية المودة التي دعا الله تعالى فيها الأمة الإسلامية إلى محبة واحترام أهل البيت عليهم السلام، يفهم من هذه الآية الكريمة ما لهؤلاء الأطنار عليهم السلام من منزلة عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وآله وسلم:

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) (1).

ورد في تفسير ابن جرير الطبري:

(روى بسنده عن أبي إسحاق قال: سألت عمرة بن شعيب عن قول الله عز وجل:

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ).

قال: قربي النبي صلى الله عليه وآله وسلم) (2).

ورد عن السيوطي في الدر المنثور (وأخرج ابن مردويه من طريق ابن المبارك عن ابن عباس في قوله: (إلا المودة في القربى) قال \_\_ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

«تحفظوني في قرابتي» (3).

ورد أيضا عن السيوطي في الدر المنثور (وأخرج أبو نعيم والديلمي عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم \_\_ وآله

«(لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) أن تحفظوني في أهل بيتي وتودوهم بي» (4).

1- سورة الشورى، الآية: 23.

2- فضائل الخمسة، السيد مرتضى الفيروز آبادي: ج 1، ص 306. تفسير الطبري: ج 25، ص 17.

3- فضائل الخمسة، السيد مرتضى الفيروز آبادي: ج 1، ص 307. الدر المنثور للسيوطي.

4- المصدر السابق.

## \_\_ فضلهم عليهم السلام في السنة النبوية

بعد أن بينا فضلهم عليهم السلام في القرآن الكريم عن طريق مصادر أهل السنة صار من المناسب أن نقرن ذلك الذي بينا بيان ما جاء في فضلهم عليهم السلام على لسان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعن ذات الطريق ليكون حجة لنا على غيرنا وهو كالاتي:

1\_\_ حديث الثقلين الذي يصرح بفضل أهل البيت عليهم السلام ودورهم في قيادة الأمة ويبين حاجتها لهم كحاجتها لكتاب الله تعالى كما ورد ذلك في سنن الترمذي:

(حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُنْدِرِ \_\_ كُوفِيٌّ \_\_ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ، قَالَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَالْأَعْمَشُ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ \_\_ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ \_\_ وَآلِهِ \_\_ وَسَلَّمَ \_\_:

«إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخِرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا».

قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ(1).

2\_\_ وما ذكره صاحب مستدرک الصحيحين فيه بيان أن أهل البيت عليهم السلام هم المراجع الذي ترجع إليه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وهم الذين يرفعون الاختلاف الذي يقع فيها:

(عن سليمان الأعمش قال: ثنا حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع ونزل

غدير خم أمر بدوحات فقمين، فقال:

«كأنى قد دعيت فأجبت، إنى قد تركت فيكم الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى، وعترتى، فانظروا كيف تخلفونى فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»(1).

3\_\_ الروايات التى تذكر أن نسب أهل البيت عليهم السلام وحسبهم فوق كل نسب وحسب وأفضل من كل نسب وحسب فى الدنيا والآخرة كثيرة نذكر منها:

جاس فى الجامع الصغير للسيوطى:

«كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبى وصهرى»(2).

وجاء فى مسند أحمد: (عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنِ الْمِسْوَرِ قَالَ: بَعَثَ حَسَنُ بْنُ حَسَنِ إِلَى الْمِسْوَرِ يَخْطُبُ بِنْتًا لَهُ قَالَ لَهُ تُوَافِينِي فِي الْعَتَمَةِ فَلَقِيَهُ فَحَمِدَ اللَّهُ الْمِسْوَرُ فَقَالَ مَا مِنْ سَبِّ وَلَا نَسَبٍ وَلَا صِهْرٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَسَبِكُمْ وَصِهْرِكُمْ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«فَاطِمَةُ شَجَنَةٌ مِنِّي يَسْطُنِي مَا بَسَطَهَا وَيَقْبِضُنِي مَا قَبَضَهَا وَإِنَّهُ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَنْسَابُ وَالْأَسْبَابُ إِلَّا نَسَبِي وَسَبِّي».

وَتَحْتِكَ ابْنَتُهَا وَلَوْ رَوَّجْتُكَ قَبَضَهَا ذَلِكَ فَذَهَبَ عَاذِرًا لَهُ»(3).

4\_\_ هناك روايات متفرقة تشير إلى فضائل متعددة يقف المرء مذهولا أمامها وهى كالاتى:

1- المستدرک على الصحيحين للنيسابورى: ج10، ص377، ح4553، وج11، ص18، ح4694، باختلاف بسيط (إنى تارك فيكم

الثقلين، كتاب الله، وأهل بيتى، وإنما لن يفترقا حتى يردا على الحوض).

2- الجامع الصغير لجلال الدين السيوطى: ج2، ص288، ح6361.

3- مسند أحمد بن حنبل: ج38، ص392، ح18167.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا أيها الناس إني فرط لكم وإنكم واردون عليّ الحوضَ حوضَ أعرض ما بين صنعاء وبصرى فيه عدد النجوم قدحان من فضة وإني سألتكم حين تردون على عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا عترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

الطبراني ، وأبو نعيم في الحلية ، والخطيب عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد(1).

وجاء في مسند أحمد بن حنبل: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ شَدَّادِ أَبِي عَمَّارٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى وَائِلَةَ بِنِ الْأَسْتَعِ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَذَكَرُوا عَلِيًّا فَلَمَّا قَامُوا قَالَ لِي أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَا رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ بَلَى قَالَ أَنْتِ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَسْأَلُهَا عَنْ عَلِيٍّ قَالَتْ:

«تَوَجَّهَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدِهِ حَتَّى دَخَلَ فَأَذْنَى عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ فَأَجْلَسَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَجْلَسَ حَسَنًا وَحُسَيْنًا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى فَخِذِهِ ثُمَّ لَفَّ عَلَيْهِمْ ثَوْبَهُ أَوْ قَالَ كِسَاءً ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ:

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)(2).

وَقَالَ:

1- الجامع الكبير للسيوطي: ج 1، ص 2678، ح 677.

2- سورة الأحزاب، الآية: 33.

«اللَّهُمَّ هُوَ لِأَهْلِ بَيْتِي وَأَهْلِ بَيْتِي أَحَقُّ» (1).

نكتفى بهذا المقدار لعلنا أنه كاف لكل ذى لب، علما أن هناك فضائل لا يحيط بها أحد من الناس إلا الراسخون فى العلم.

## \_\_ بحث عقائدى

### \_\_ العدل الثانى

الحديث عن القرآن والوقوف على حقائقه وبواطنه لا يتسنى إلا للمعصوم الذى سدده الله تعالى ليكون حجة على الناس، وهذا أمر لا جدال فيه كما فى القرآن الكريم من غرائب وعجائب وعلوم وحكم عبر وأمثال محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وبلاغة وبيان وفصاحة وتحدى وانتصار وغيب وشهود وأدب وأخلاق وعقائد وسنن، ولخص كل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه للقرآن عندما قال:

«ترد على أحدهم القضية فى حكم من الأحكام، فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره، فيحكم فيها بخلاف قوله، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذى استقضاهم، فيصوب آراءهم جميعا وإلهمم واحد، ونبيهم واحد، وكتابهم واحد. فأمرهم الله بالاختلاف فأطاعوه، أم نهاهم عنه فعصوه، أم أنزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه، أم كانوا شركاء له، فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى، أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه يقول:

(مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) (2).

1- مسند أحمد بن حنبل: ج34، ص350، ح16374.

2- سورة الأنعام، الآية: 38.



وفيه تبيان كل شيء، وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضا، وأنه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه وتعالى:

(وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (1).

وإن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق» (2).

ولابد أن يكون القرآن الكريم هكذا لكي يصلح أن يكون منهاجاً للبشر إلى الكمال والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة.

ولكى نسلط الضوء على وصف القرآن الكريم لابد أن نطلع على أقوال محمد وآل محمد صلوات الله عليهم في وصف كتاب الله العظيم:

1\_\_ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قيل له: أَمَّا تَك سَتُقْتَنُ: ما المَخْرَجُ مِنْ ذَلِكَ، قال:

«كِتَابُ اللَّهِ الْعَزِيزُ، الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، مَنْ ابْتَغَى الْعِلْمَ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ» (3).

2\_\_ عن أمير المؤمنين عليه السلام في صفة القرآن قال:

«جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، وَرَبِيعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجَّ لَطُرُقِ الصُّلَحَاءِ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، وَنُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظِلْمَةٌ» (4).

وعنه عليه السلام أيضا:

«اعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَعْشُ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يَضِلُّ،

1- سورة النساء، الآية: 82.

2- نهج البلاغة، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ج1، ص54 \_\_ 55، ح18.

3- تفسير العياشي: ج1، ص6، ح11. ميزان الحكمة: ج8، ص3325، ح16411.

4- نهج البلاغة: الخطبة 198. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج10، ص199. ميزان الحكمة: ج8، ص3325، ح16412.

والمُحَدَّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ، وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ، زِيَادَةٍ فِي هُدًى، أَوْ نَقْصَانٍ مِنْ عَمَى» (1).

3\_\_ عن الإمام الحسن عليه السلام قال:

«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ فِيهِ مَصَابِيحُ النُّورِ وَشِفَاءُ الصُّدُورِ، فَلْيَجْلُ جَالٍ بِضَوِيِّهِ، وَلْيُلْجِمِ الصِّفَّةَ قَلْبُهُ فَإِنَّ التَّمَكِّيَرَ حَيَاةُ الْقَلْبِ الْبَصِيرِ كَمَا يَمْشِي الْمُسْتَتِيرُ فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ» (2).

4\_\_ عن الإمام الصادق عليه السلام لما سُئِلَ: مَا بَالُ الْقُرْآنِ لَا يَزْدَادُ عَلَى النَّشْرِ وَالدَّرْسِ إِلَّا غَضَاضَةً؟ قَالَ:

«لَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَجْعَلْهُ لِرِّمَانٍ دُونَ رِمَانٍ، وَلَا لِنَاسٍ دُونَ نَاسٍ، فَهُوَ فِي كُلِّ زَمَانٍ جَدِيدٌ، وَعِنْدَ كُلِّ قَوْمٍ غَضٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (3).

5\_\_ عن الإمام الرضا عليه السلام في صفة القرآن قال:

«هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَعُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَطَرِيقَتُهُ الْمُثَلَّى، الْمُؤَدَّى إِلَى الْجَنَّةِ، وَالْمُنْجَى مِنَ النَّارِ، لَا يَخْلُقُ عَلَى الْأُزْمَةِ، وَلَا يَعْثُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ، لِأَنَّهُ لَمْ يُجْعَلْ لِرِّمَانٍ دُونَ رِمَانٍ، بَلْ جُعِلَ دَلِيلَ الْبُرْهَانِ، وَالْحُجَّةَ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» (4).

بعد أن عرفنا وصف القرآن عن أهله صار تأكيد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على التمسك به هادياً ولازماً للأمة التي تبغى النجاة في الدنيا والسعادة في الآخرة.

1- نهج البلاغة: الخطبة 176. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 10، ص 18. ميزان الحكمة: ج 8، ص 3325 \_ 3326، ح 16413.

2- كشف الغمة: ج 2، ص 199. ميزان الحكمة: ج 8، ص 3329 \_ 3330، ح 16438.

3- بحار الأنوار: ج 92، ص 15، ح 8 و 9. ميزان الحكمة: ج 8، ص 3328، ح 16435.

4- عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج 2، ص 130، ح 9. ميزان الحكمة: ج 8، ص 3329، ح 16436.

ولكى نصل إلى معرفة من له القدرة على فهم القرآن الكريم لابد أن نقف على حقيقتهم:

1\_\_ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«ما أنزل الله عزَّ وجلَّ آيةً إلاَّ لها ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَكُلُّ حَرْفٍ حَدٌّ، وَكُلُّ حَدٍّ مُطَّلَعٌ»(1).

2\_\_ عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال:

«كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى الْعِبَارَةِ، وَالْإِشَارَةِ، وَاللَّطَائِفِ، وَالْحَقَائِقِ، فَالْعِبَارَةُ لِلْعَوَامِّ، وَالْإِشَارَةُ لِلْخَوَاصِّ، وَاللَّطَائِفُ لِلْأَوْلِيَاءِ، وَالْحَقَائِقُ لِلْأَنْبِيَاءِ»(2).

3\_\_ عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إِنَّ لِلْقُرْآنِ بَطْنَاً، وَلِلْبَطْنِ بَطْنَاً، وَلَهُ ظَهْرٌ، وَلِلظَهْرِ ظَهْرٌ... وَلَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، إِنَّ الْآيَةَ لَتَكُونُ أَوَّلَهَا فِي شَيْءٍ وَأَخْرُهَا فِي شَيْءٍ، وَهُوَ كَلَامٌ مِمَّنْ تَصِلُ يَتَصَرَّفُ عَلَى وَجْهِهِ»(3).

وبعد معرفة حقيقته اتضح لنا نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله الطاهرين عليهم السلام عن تفسير القرآن الكريم بالفهم الخاص والرأى والجهل كما فى قولهم (صلوات الله عليهم).

1\_\_ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: مَا آمَنَ بِي مَنْ فَسَّرَ بِرَأْيِهِ كَلَامِي»(4).

1- كنز العمال: 2461. ميزان الحكمة: ج8، ص3349، ح16570.

2- بحار الأنوار: ج92، ص20، ح18. ميزان الحكمة: ج8، ص3349، ح16571.

3- بحار الأنوار: ج92، ص95، ص48. ميزان الحكمة: ج8، ص3349، ح16572.

4- بحار الأنوار: ج92، ص107، ح1. ميزان الحكمة: ج8، ص3349، ح16575.

2\_ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بَغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (1).

3\_ عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ» (2).

4\_ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أَكْثَرُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي رَجُلٌ يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ يَضَعُهُ عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهِ» (3).

5\_ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ لَمْ يُوجَرْ، وَإِنْ أَخْطَأَ كَانَ إِثْمُهُ عَلَيْهِ» (4).

6\_ قال الإمام الباقر عليه السلام لِقَتَادَةَ بْنِ دِعَامَةَ:

«يَا قَتَادَةُ، أَنْتَ فَفِيهِ أَهْلُ الْبَصْرَةِ؟».

فقال: هَكَذَا يَزْعُمُونَ، فقال أبو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«بَلَّغْنِي أَنْكَ تَفْسِّرُ الْقُرْآنَ».

قال لَهُ قَتَادَةُ: نَعَمْ، فقال أبو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«بِعِلْمٍ تُفَسِّرُهُ أَمْ بِجَهْلٍ؟».

قال: لا، بَعِلْمٍ \_\_ إلى أن قال \_\_:

«يَا قَتَادَةُ إِنَّمَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مَنْ حُوطِبَ بِهِ» (5).

1- كنز العمال: 2958. ميزان الحكمة: ج 8، ص 3349، ح 16577.

2- بحار الأنوار: ج 92، ص 111، ح 20. ميزان الحكمة: ج 8، ص 3350، ح 16578.

3- منية المرید: ص 369. ميزان الحكمة: ج 8، ص 3350، ح 16580.

4- بحار الأنوار: ج 92، ص 110، ح 11. ميزان الحكمة: ج 8، ص 3349، ح 16576.

5- الكافي: ج 8، ص 311، ح 485. ميزان الحكمة: ج 8، ص 3350، ح 16582.

وبما تقدم من هذه الروايات الشريفة نصل إلى أن القرآن الكريم أهلاً يبينونه كما أمرهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وليس أولئك إلاّ عترة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم يتقدمهم أبوهم أمير المؤمنين عليه السلام، وبمجرد الوقوف على قول أمير المؤمنين عليه السلام في حق القرآن الكريم يتضح صدق دعوانا أن علياً وأولاده هم القادرون على حمل القرآن الكريم وفهمه ومعرفته — فيقول أمير المؤمنين:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَقْسَامٍ، كُلُّ مِنْهَا شَافٍ كَافٍ، وَهِيَ: أَمْرٌ، وَرَجْرٌ، وَتَرْغِيبٌ، وَتَرْهِيْبٌ، وَجَدَلٌ، وَمَثَلٌ، وَقُصَصٌ.

وَفِي الْقُرْآنِ نَاسِيخٌ وَمَنْسُوخٌ وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، وَخَاصٌّ وَعَامٌّ، وَمَعْدَمٌ وَمَوْخَرٌ، وَعَزَائِمٌ وَرُخَصٌ، وَحَلَالٌ وَحَرَامٌ، وَفَرَائِضٌ وَأَحْكَامٌ، وَمُنْقَطِعٌ وَمَعْطُوفٌ، وَمُنْقَطِعٌ غَيْرٌ مَعْطُوفٍ، وَحَرْفٌ مَكَانَ حَرْفٍ.

وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ خَاصٌّ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ عَامٌّ مُحْتَمِلُ الْعُمُومِ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ وَاحِدٌ وَمَعْنَاهُ جَمْعٌ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ جَمْعٌ وَمَعْنَاهُ وَاحِدٌ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ مَاضٍ وَمَعْنَاهُ مُسْتَقْبَلٌ، وَمِنْهُ مَا لَفْظُهُ عَلَى الْخَبَرِ وَمَعْنَاهُ حِكَايَةٌ عَنْ قَوْمٍ آخَرَ، وَمِنْهُ مَا هُوَ بَاقٍ مُحَرَّفٌ عَنْ جِهَتِهِ، وَمِنْهُ مَا هُوَ عَلَى خِلَافٍ تَنْزِيلِهِ، وَمِنْهُ مَا تَأْوِيلُهُ فِي تَنْزِيلِهِ، وَمِنْهُ مَا تَأْوِيلُهُ قَبْلَ تَنْزِيلِهِ، وَمِنْهُ مَا تَأْوِيلُهُ بَعْدَ تَنْزِيلِهِ.

وَمِنْهُ آيَاتٌ بَعْضُهُنَّ فِي سُورَةٍ وَتَمَامُهَا فِي سُورَةٍ أُخْرَى، وَمِنْهُ آيَاتٌ نَصَفَتْهَا مَنْسُوخٌ وَنَصَفَتْهَا مَتْرُوكٌ عَلَى حَالِهِ، وَمِنْهُ آيَاتٌ مُخْتَلِفَةُ اللَّفْظِ مُتَّفِقَةُ الْمَعْنَى، وَمِنْهُ آيَاتٌ مُتَّفِقَةُ اللَّفْظِ مُخْتَلِفَةُ الْمَعْنَى، وَمِنْهُ آيَاتٌ فِيهَا رُخْصَةٌ وَإِطْلَاقٌ بَعْدَ الْعَزِيمَةِ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يُؤْخَذَ بِرُخْصِهِ كَمَا يُؤْخَذُ بِعَزَائِمِهِ.

وَمِنْهُ رُخْصَةٌ صَاحِبِهَا فِيهَا بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ أَحَدٌ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهَا، وَمِنْهُ رُخْصَةٌ

ظَاهِرُهَا خِلَافٌ بَاطِنُهَا يُعْمَلُ بِظَاهِرِهَا عِنْدَ التَّعَبُّهِ وَلَا يُعْمَلُ بِبَاطِنِهَا مَعَ التَّعَبُّهِ، وَمِنْهُ مُخَاطَبَةُ لِقَوْمٍ وَالْمَعْنَى لِأَخْرَيْنَ، وَمِنْهُ مُخَاطَبَةُ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَمَعْنَاهُ وَقَعَ عَلَى أُمَّتِهِ، وَمِنْهُ لَا يُعْرَفُ تَحْرِيمُهُ إِلَّا بِتَحْلِيلِهِ، وَمِنْهُ مَا تَأَلَّفَهُ وَتَنْزِيلُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْنَى مَا أَنْزَلَ فِيهِ.

وَمِنْهُ رَدُّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَاحْتِجَاجٌ عَلَى جَمِيعِ الْمُحَلِّدِينَ وَالزَّنَادِقَةَ وَالذَّهْرِيَّةَ وَالشَّنَوِيَّةَ وَالْقَدْرِيَّةَ وَالْمُجَبَّرَةَ وَعَبْدَةَ الْأَوْثَانَ وَعَبْدَةَ النَّيْرَانَ، وَمِنْهُ احْتِجَاجٌ عَلَى النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَمِنْهُ الرَّدُّ عَلَى الْيَهُودِ، وَمِنْهُ الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ وَأَنَّ الْكُفْرَ كَذَلِكَ، وَمِنْهُ رَدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ لَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ وَقَبْلَ الْقِيَامَةِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ» (1).

فالابتعاد عن أمير المؤمنين عليه السلام وعترة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في فهم القرآن الكريم يقود إلى الهلاك وهذا ما صرح به الإمام على عليه السلام لما سئل عن تفسير المحكم والمتشابه من كتاب الله عز وجل:

«أَمَّا الْمُحْكَمُ الَّذِي لَمْ يَنْسَخْهُ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) (2).

وَإِنَّمَا هَلَكَ النَّاسُ فِي الْمُتَشَابِهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَقِفُوا عَلَى مَعْنَاهُ وَلَمْ يَعْرِفُوا حَقِيقَتَهُ، فَوَضَعُوا لَهُ تَأْوِيلَاتٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ بِأَرَائِهِمْ وَاسْتَعْنَوْا بِذَلِكَ عَنْ مَسْأَلَةِ الْأَوْصِيَاءِ... .

وَأَمَّا الْمُتَشَابِهُ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ الَّذِي انْحَرَفَ مِنْهُ، مُتَّفِقٌ اللَّفْظُ مُخْتَلِفٌ الْمَعْنَى، مِثْلُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

1- بحار الأنوار: ج93، ص4. ميزان الحكمة: ج8، ص3351 \_\_ 3352، ح16588

2- سورة آل عمران، الآية: 7.

(يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) (1).

فَنَسَبَ الضَّلَالَةَ إِلَى نَفْسِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَهَذَا ضِدَّ لِأَلْفِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ بِفِعْلِهِمْ، وَنَسَبَهُ إِلَى الْكُفَّارِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَنَسَبَهُ إِلَى الْأَصْنَامِ فِي آيَةٍ أُخْرَى (2).

ولكى نخلص إلى وجوب الابتعاد عن الضلال والهلاك علينا التمسك بعترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم العدل الثاني للقرآن الكريم كما جاء ذلك في حديث الثقلين الذي رواه جمع كبير من الصحابة.

وتأكيدا لصحة الحديث عند شيعة أهل البيت عليهم السلام نذكر الحديث من مصادر أهل السنة وهي كما يلي:

### 1\_ صحيح الترمذى

2980\_ عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (3).

### 2\_ القاموس المحيط

ومنه الحديث:

«إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي» (4).

1- سورة المدثر، الآية: 31.

2- بحار الأنوار: ج 93، ص 11، أنظر تمام الكلام. ميزان الحكمة: ج 8، ص 3352 \_ 3353، ح 16589.

3- صحيح الترمذى: ج 3، ص 227، ح 2980.

4- القاموس المحيط للفيروز آبادى: ج 3، ص 63.

**3\_ مسند أحمد**

10707\_ حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ طَلْحَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ عَنِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

إِنِّي أَوْشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأَجِيبَ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِثْرَتِي كِتَابَ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِثْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَاَنْظُرُونِي بِمَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا»(1).

**4\_ الطبقات الكبرى لابن سعد**

أخبرنا هاشم بن القاسم الكناني، أخبرنا محمد بن طلحة عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

«إني أوشك أن أدعى فأجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»(2).

**5\_ المعجم الكبير للطبراني**

4969\_ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حِيَانَ الْمَازَنِيُّ حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ يَحْيَى ثَنَا أَبُو كَثِيرِ بْنِ يَحْيَى ثَنَا أَبُو عَوَانَةَ وَسَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ سَلِيطِ الْحَنْفِيِّ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ عَمْرٍو بْنِ وَائِلَةَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَ: لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ حِجَّةِ الْوَدَاعِ وَنَزَلَ غَدِيرِ خَمٍّ أَمَرَ بِدَوْحَاتٍ فَقَمَّتْ ثُمَّ قَالَ فَقَالَ:

1- مسند أحمد بن حنبل: ج22، ص252، ح10707.

2- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج2، ص194.



«كأنى قد دعيت فأجبت إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تحلفونى فيهما؟ فانهما لن يفرعا حتى يردا على على الحوض».

ثم قال:

«إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن».

ثم أخذ بيد على فقال:

«من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

فقلت لزيد: أنت سمعته من رسول الله؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا قد راه بعينيه وسمعه بأذنيه(1).

## 6\_ جامع الأصول

6708\_ يزيد بن حيان، قال: انطلقت أنا وحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ وعمرُ بْنُ مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حُصَيْنُ: لقد لقيت يا زيدُ خيرا كثيرا رأيت رسولَ الله \_ صلى الله عليه (وآله) وسلم \_، وسمعتَ حديثه، حدَّثنا يا زيدُ ما سمعتَ من رسولِ الله \_ صلى الله عليه (وآله) وسلم \_، قال: يا ابنَ أخي، فما حدَّثتكم فأقبلوا، ومالا فلا تُكلِّفونيهِ، ثم قال:

قام رسولُ الله \_ صلى الله عليه (وآله) وسلم \_ يوما فينا خطيبا بماء يُدعى: حُمًّا، بين مكةَ والمدينةِ، فَحَمِدَ الله وأثنى عليه، ووعظ وذكَّر، ثم قال:

«أما بعدُ، ألا- أيُّها الناس، إنما أنا بشر، يُوشِكُ أن يأتى رسولُ ربي فأجيبَ، وإني تارك فيكم ثَقَلَيْنِ، أولُهما: كتابُ الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به».

فحثَّ على كتاب الله، ورغَّب فيه، ثم قال:

«وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي».

فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِّمِ الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل عليّ، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كلُّ هؤلاء حُرِّمِ الصدقة؟ قال: نعم).

زاد في رواية «كتابُ الله، فيه الهدى والنور، مَنْ اسْمَتَكَ \_ به \_ وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضلَّ»<sup>(1)</sup>.

### 7\_ مسند عبد بن حميد

267\_ عن يزيد بن حيان، قال: سمعت زيد بن أرقم، يقول: قام فينا رسول الله صلى الله عليه \_ وآله \_ وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أما بعد أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه، وإنى تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به».

فحث على كتاب الله، ورغَّب فيه، ثم قال:

«وأهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي ثلاث مرات».

فقال حصين: يا زيد، ومن أهل بيته؟ أليست نساؤه من أهل بيته؟.

قال: بلى، إن نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده.

قال: ومن هم؟ قال: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس.

1- جامع الأصول من أحاديث الرسول لابن الأثير: ج9، ص6708، ح6708.

قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم(1).

### 8\_ الدر المنثور

وأخرج أحمد عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه \_ وآله \_ وسلم:

«إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله عز وجل جبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي وأهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»(2).

### 9\_ الجامع الصغير

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«أما بعد ألا-أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي».

### 10\_ مصنف ابن أبي شيبة

30081\_ حدثنا زكريا قال حدثنا عطية عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه \_ وآله \_ وسلم قال:

«إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض»(3).

1- مسند عبد بن حميد: ج1، ص286، ح267.

2- الدر المنثور للسيوطي: ج2، ص401.

3- مصنف ابن أبي شيبة: ج6، ص133، ح30081.

**11 \_ المستدرک علی الصحیحین**

4553\_ حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم الحنظلي، ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي، ثنا يحيى بن حماد، وحدثني أبو بكر محمد بن بالويه، وأبو بكر أحمد بن جعفر البزار قالوا: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا يحيى بن حماد، ثنا صالح بن محمد الحافظ البغدادي، ثنا خلف بن سالم المخرمي، ثنا يحيى بن حماد، ثنا أبو عوانة، عن سليمان الأعمش قال: ثنا حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم قال:

لما رجع رسول الله صلى الله عليه \_ وآله \_ وسلم من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقمين، فقال:

«كأنى قد دعيت فأجبت، إنى قد تركت فيكم الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى، وعترتى، فانظروا كيف تخلفونى فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض(1)»(2).

**12 \_ كتاب السنة**

1335\_ (حدثنا أبو مسعود الرازي، حدثنا زيد بن عوف، حدثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم، قال:

لما رجع رسول الله صلى الله عليه \_ وآله \_ وسلم من حجة الوداع كان بغدير خم، قال:

«كأنى قد دعيت فأجبت، وإنى تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتى، فانظروا كيف تخلفونى فيهما، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض، وإن الله مولاي، وأنا ولي المؤمنين».

1- الحوض: نهر الكوثر.

2- المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری: ج10، ص377، ح4553.

ثم أخذ بيد علي رضي الله عنهما، فقال:

«من كنت وليه فعلي وليه(1)».

فقال: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه \_ وآله \_ وسلم؟ فقال: ما كان في الركاب إلا قد سمعه بأذنيه ورآه بعينه.

قال الأعمش: فحدثنا عطية، عن أبي سعيد، بمثل ذلك(2).

### 13\_ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

14962\_ (عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه \_ وآله \_ وسلم:

«إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض».

رواه الطبراني في الأوسط وفي إسناده رجال مختلف فيهم(3).

### الجامع الصغير بشرح المناوي

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إني تارك فيكم».

بعد موتي.

«خليفتي».

1- الولي والمولى: من المشترك اللفظي الذي يطلق على عدة معان منها الرَّبِّ، والسيد والمنعم، والمعتك، والناصر، والمحب، والتابع، والجار، وابن العم، والحليف، والعقيد، والصهر، والعبد، والمعتك، والمنعم عليه وكل من ولي أمراً أو قام به فهو وليه ومولاه.

2- السنة لابن أبي عاصم: ج4، ص72، ح1335.

3- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي: ج9، ص257، ح14962.

زاد فى رواية، أحدهما أكبر من الآخر.

«كتاب الله».

القرآن.

«حبل».

أى هو حبل.

«ممدود ما».

زائدة.

«بين السماء والأرض».

قيل أراد به عهده وقيل أراد به السبب الموصول لرضاه.

«وعترتى».

بمشناة فوقية.

«أهل بيتى».

تفصيل بعد إجمال بدلاً أو بياناً وهم أصحاب الكساء يعنى أن علمتم بالقرآن واهتديتم بهدى عترتى العلماء لم تضلوا.

«وإنهما لن يفترقا».

أى الكتاب والعتره.

«حتى يردا علىّ الحوض».

الكوثر يوم القيامة وقيل أراد به بعترته العلماء العاملين لأنهم الذين لا يفارقون القرآن أما نحو جاهل وعالم مخلط فلا وإنما ينظر للأصل والعنصر عند التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل فكما أن كتاب الله فيه الناسخ والمنسوخ المرتفع الحكم فكذا ترتفع القدوة بالمخذولين منهم.

## فيض القدير

2631\_ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إني تارك فيكم».

بعد وفاتي.

«خليفتين».

زاد في رواية أحدهما أكبر من الآخر وفي رواية بدل خليفتين ثقلين سماهما به لعظم شأنهما.

«كتاب الله».

القرآن.

«حبل».

أى هو حبل.

«ممدود ما بين السماء والأرض».

قيل أراد به عهده وقيل السبب الموصل إلى رضاه.

«وعترتى».

بمثناة فوقية.

«أهل بيتى».

تفصيل بعد إجمال بدلا أو بيانا وهم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وقيل من حرمت عليه الزكاة ورجحه القرطبي يعنى إن ائتمرت بأوامر كتابه وانتهيتم بنواهيها واهتديتم بهدى عترتى واقتديتم بسيرتهم اهتديتم فلم تضلوا.

قال القرطبي: وهذه الوصية وهذا التأكيد العظيم يقتضى وجوب احترام أهله وإبرارهم وتوقيرهم ومحبتهم وجوب الفروض المؤكدة التى لا عذر لأحد فى التخلف

عنها هذا مع ما علم من خصوصيتهم بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبأنهم جزء منه فإنهم أصوله التي نشأ عنها وفروعه التي نشأوا عنه كما قال:

«فاطمة بضعة مني».

ومع ذلك فقابل بنو أمية عظيم هذه الحقوق بالمخالفة والعقوق فسفكوا من أهل البيت دماءهم وسبوا نساءهم وأسروا صغارهم وخرّبوا ديارهم وجحدوا شرفهم وفضلهم واستباحوا سبهم ولعنهم فخالقوا المصطفى صلى الله عليه \_ وآله \_ وسلم في وصيته وقابلوه بنقيض مقصوده وأمنيته فوا خجلهم إذا وقفوا بين يديه ويا فضيحتهم يوم يعرضون عليه:

«وإنهما».

أى والحال أنهما وفي رواية أن اللطيف أخبرني أنهما.

«لن يفترقا».

أى الكتاب والعترة أى يستمرا متلازمين.

«حتى يردا علىّ الحوض».

أى الكوثر يوم القيامة.

زاد في رواية كهاتين وأشار بأصبعيه وفي هذا مع قوله أولا إني تارك فيكم تلويح بل تصريح بأنهما كتوأمين خلفهما ووصى أمته بحسن معاملتهما وإيثار حقهما على أنفسهما واستمسك بهما في الدين أما الكتاب فلأنه معدن العلوم الدينية والأسرار والحكم الشرعية وكنوز الحقائق وخفايا الدقائق وأما العترة فلأن العنصر إذا طاب أعان على فهم الدين فطيب العنصر يؤدي إلى حسن الأخلاق ومحاسنها تؤدي إلى صفاء القلب ونزاهته وطهارته(1).



**رواة حديث الثقلين (الصحابة)**

- 1\_\_ أمير المؤمنين عليه السلام.
- 2\_\_ الحسن السبط عليه السلام.
- 3\_\_ أبو ذر الغفارى.
- 4\_\_ سلمان الفارسى.
- 5\_\_ جابر بن عبد الله الأنصارى.
- 6\_\_ أبو الهيثم بن التيهان.
- 7\_\_ حذيفة بن اليمان.
- 8\_\_ حذيفة بن أسيد.
- 9\_\_ أبو سعيد الخدرى.
- 10\_\_ خزيمه بن ثابت.
- 11\_\_ عبد الرحمن بن عون.
- 12\_\_ طلحة.
- 13\_\_ أبو هريرة.
- 14\_\_ سعد بن أبى وقاص.
- 15\_\_ أبو أيوب الأنصارى.
- 16\_\_ عمرو بن العاص.
- 17\_\_ فاطمة الزهراء عليها السلام.
- 18\_\_ أم سلمة أم المؤمنين.
- 19\_\_ زيد بن ثابت.



**رواة حديث الثقلين (التابعين)**

- 1\_\_ سعيد بن مسروق الثوري.
- 2\_\_ سليمان بن مهران الأعمش.
- 3\_\_ محمد بن إسحاق، صاحب السيرة.
- 4\_\_ محمد بن سعد، صاحب الطبقات.
- 5\_\_ أبو بكر بن أبي شيبة، صاحب المصنف.
- 6\_\_ ابن راهويه، صاحب المسند.
- 7\_\_ أحمد بن حنبل، صاحب المسند.
- 8\_\_ عبد بن حميد، صاحب المسند.
- 9\_\_ مسلم بن الحجاج، صاحب الصحيح.
- 10\_\_ ابن ماجة القزويني، صاحب السنن.
- 11\_\_ أبو داود السجستاني، صاحب السنن.
- 12\_\_ الترمذي، صاحب السنن.
- 13\_\_ ابن أبي عاصم، صاحب كتاب السنة.
- 14\_\_ أبو بكر البزاز، صاحب المسند.
- 15\_\_ النسائي، صاحب السنن.
- 16\_\_ أبو يعلى الموصلي، صاحب المسند.
- 17\_\_ محمد بن جرير الطبري، صاحب التاريخ والتفسير.
- 18\_\_ أبو القاسم الطبراني، صاحب المعاجم.

- 19\_ أبو الحسن الدارقطني البغدادي.
- 20\_ الحاكم النيسابوري، صاحب المستدرک.
- 21\_ أبو نعيم الإصفهاني.
- 22\_ أبو بكر البيهقي، صاحب السنن.
- 23\_ ابن عبد البر، صاحب الاستيعاب.
- 24\_ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد.
- 25\_ محيي السنة البغوي، مصابيح السنة.
- 26\_ رزين العبدري، الجمع بين الصحاح الستة.
- 27\_ القاضي عياض، كتاب الشفاء.
- 28\_ ابن عساكر الدمشقي، تاريخ دمشق.
- 29\_ ابن الأثير الجزري، أسد الغابة.
- 30\_ الفخر الرازي، التفسير الكبير.
- 31\_ الضياء المقدسي، كتاب المختارة.
- 32\_ أبو بكر زكريا النووي، صاحب شرح صحيح مسلم.
- 33\_ أبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال.
- 34\_ شمس الدين الذهبي، صاحب تاريخ الإسلام \_ ميزان الاعتدال.
- 35\_ ابن كثير الدمشقي، التاريخ والتفسير.
- 36\_ نور الدين الهيثمي، مجمع الزوائد.
- 37\_ جلال الدين السيوطي، صاحب الدر المنثور.

38\_\_ شهاب الدين القسطلاني، رثا البخاري.

39\_\_ شمس الدين الصالحى دمشقى.

40\_\_ ابن حجر العسقلانى.

41\_\_ ابن طولوان دمشقى.

42\_\_ ابن حجر المكى، صاحب الصواعق.

43\_\_ صاحب كنز العمال.

44\_\_ على القارى الهروى، الأوقات فى شرح المكان.

45\_\_ المناوى، الجامع.

46\_\_ ا لحلبى، السيرة.

47\_\_ دحلان، صاحب السيرة.

48\_\_ منصور على ناصف، صاحب التاج.

49\_\_ النبهانى.

50\_\_ المبارك، شارح صحيح الترمذى.

## طاعة الشيطان

### إشارة

قوله عليه السلام:

(وَأَحْذَرُكُمْ إِصْغَاءَ إِلَى هَتُوفِ الشَّيْطَانِ بِكُمْ فَإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ، فَتَكُونُوا كَأُولِيَاءِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ).

(لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْ الْفِتْنَانِ نَكَّصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ) (1).

فَتَلْقَوْنَ لِلشَّيْطَانِ ضَرْبًا، وَلِلرَّمَاكِ وَزِدَا، وَلِلْعَمَدِ حَطْمًا، وَلِلسَّهَامِ غَرَضًا، ثُمَّ لَا يَقْبَلُ مِنْ نَفْسٍ إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا).

لا يحتاج المؤمن إلى بيان عداوة الشيطان ولا يحتاج إلى معرفة طرق النجاة منه بعد أن صرح القرآن الكريم بذلك ما في قوله تعالى:

(إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (1).

وقوله تعالى:

(قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (2).

وقوله تعالى:

(وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا) (3).

ولكن لا بأس في التذكير بعبادة الشيطان والتحذير من حباله لاسيما إذا عرفنا أن لإبليس طرقا خفية ومكائدا كثيرة وأفخاها متعددة يصطاد بها من يغفل عنه، ولكي نقف على تحذيرات أهل البيت عليهم السلام ونواهيهم عن اتباع الشيطان لابد من ذكر ما ورد عنهم (صلوات الله عليهم أجمعين):

1— ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يبين أن الشيطان عدو لا صلح معه ولا هدنة حينما يعظ ابن مسعود يقول:

1- سورة فاطر، الآية: 6.

2- سورة يوسف، الآية: 5.

3- سورة الإسراء، الآية: 53.

«يا بن مسعود، اتَّخِذِ الشَّيْطَانَ عَدُوًّا؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:

«إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ» (1)، (2).

2\_ وحذر أمير المؤمنين عليه السلام من الشيطان لما له من قدرة على اقتحام قلوب المؤمنين:

«احذَرُوا عَدُوًّا نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا، وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا» (3).

3\_ جاء عن الإمام الصادق عليه السلام ما يؤكد أن للشيطان أفضاخاً ومكائد كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَقَدْ نَصَبَ إبْلِسُ حَبَائِلَهُ فِي دَارِ الْغُرُورِ، فَمَا يَقْصِدُ فِيهَا إِلَّا أَوْلِيَاءَنَا» (4).

4\_ حذر أمير المؤمنين عليه السلام من فتن الشيطان دونك من خلال بيان هذه الفتن:

«الْفِتْنُ ثَلَاثٌ: حُبُّ النَّسَاءِ وَهُوَ سَيْفُ الشَّيْطَانِ، وَشُرْبُ الْخَمْرِ وَهُوَ فَخُّ الشَّيْطَانِ، وَحُبُّ الدِّينَارِ وَالذَّرْهَمِ وَهُوَ سَهْمُ الشَّيْطَانِ» (5).

5\_ ولشدة تأثير الشيطان على الإنسان يعلمنا الإمام السجاد عليه السلام في مناجاته كيف ندعو الله تعالى لينجيننا منه كما في قوله عليه السلام:

«إِلَهِي أَشَدُّ كُؤُوبِي إِلَيْكَ عَدُوًّا يُضِلُّنِي، وَشَيْطَانًا يُغْوِينِي، قَدْ مَلَأَ بِالْوَسْوَاسِ صَدْرِي، وَأَحَاطَتْ هَوَاجِسُهُ بِقَلْبِي، يُعَاضِدُنِي إِلَى الْهَوَى، وَيُزَيِّنُنِي لِي حُبَّ الدُّنْيَا، وَيَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ الطَّاعَةِ وَالزُّلْفَى» (6).

1- سورة فاطر، الآية: 6.

2- مكارم الأخلاق: ج2، 2354، ح2660. ميزان الحكمة: ج5، ص1919 \_ 1920، ح9369.

3- غرر الحكم: 2623. ميزان الحكمة: ج5، ص1920، ح9371.

4- تحف العقول: ص301. ميزان الحكمة: ج5، ص1920، ح9375.

5- كنز العمال: 30883. ميزان الحكمة: ج5، ص1921، ح9376.

6- بحار الأنوار: ج94، ص143، ح21. ميزان الحكمة: ج5، ص1920، ح9372.

بعد أن عرفنا مكائد الشيطان وحبائله وفتنه صار لزاماً علينا مجاهدة هذا المخلوق الذى لا هم له إلا إيقاعنا فى معصية الله تعالى، وهذا ما أكده الإمام الكاظم عليه السلام بقوله لَمَّا سُئِلَ عَنْ أَوْجِبِ الْأَعْدَاءِ مِجَاهِدَةً:

«أَقْرَبُهُمْ إِلَيْكَ وَأَعْدَاؤُهُمْ لَكَ... وَمَنْ يُحَرِّضُ أَعْدَاءَكَ عَلَيْكَ، وَهُوَ إِبْلِيسُ» (1).

فعدم الابتعاد عن الشيطان يوجب الوقوع فى معصية الله تعالى بل يوجب الوقوع فى شرك الطاعة وهذا الشرك هو أحد أنواع الشرك الذى قالت عنه الآية الكريمة:

(إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (2).

ولنوضح الأمر نقول: إن الأوامر تصدر من الله تعالى أو من قبل أنبيائه ورسله وأوليائه فلذلك قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (3).

وهذه الأوامر لا شك أنها تصب فى مصلحة الإنسان فى الدنيا وتكسبه الجنان فى الآخرة، إلا أن هناك طرفاً آخر يصدر أوامراً مخالفة للأوامر الإلهية بل يزين ويسوّل لنا لنطيعه فى هذه الأوامر ألا وهو إبليس، فإن أطعناه فى أوامره هذه وأطعنا الله تعالى فى أوامر أخرى تكون قد أشركنا فى طاعة الله تعالى أمراً آخر وخرجنا عن عنوان التوحيد فى الطاعة فلذا الحذر الحذر من الوقوع فى الشرك، وهذا لا يتم إلا من خلال مخالفة الشيطان والابتعاد عن المقدمات التى تقضى إلى معصية الله تعالى فضلاً عن نفس المعصية والتمسك بأوامر الله تعالى ونواهيته.

1- تحف العقول: ص 399. ميزان الحكمة: ج 5، ص 1920، ح 9370.

2- سورة لقمان، الآية: 13.

3- سورة النساء، الآية: 59.



**\_\_ آثار طاعة الشيطان**

لكل عمل أثر وضعى أو غير وضعى، وهكذا طاعة الشيطان فإن لها آثاراً وخيمة وضعية أو غير وضعية كما فى الزنا (على سبيل المثال) الذى يقع فيه الإنسان نتيجة وسوسة الشيطان وتزنيته للزانى والزانية، نلاحظ أن الأثر الوضعى هو فساد الحرث والنسل والسقوط عن أعين الناس وغيرها من الآثار الوخيمة وأما الأثر الشرعى فهو الجلد لغير المحصن والرجم للمحصن وغير ذلك من الأمثلة التى لها آثار وضعية أو شرعية أو غير ذلك.

ولكى يتضح الأمر جلياً لابد من التأمل فيما ورد عن أهل بيت الحكمة والعصمة عليهم السلام.

قبل أن أشير إلى آثار طاعة الشيطان التى وردت فى الروايات أريد أن أخص ذلك فى هذه العبارة المستقاة من الآيات والروايات ألا وهى (أن طاعة الشيطان توجب سحق الرحمن ودخول النيران فى الآخرة، وضنك العيش وعدم راحة القلب والشقاء فى الدنيا) وباختصار أكثر (طاعة الشيطان شقاء الدنيا والآخرة) ولكى نؤكد هذا المعنى لا بأس بالاطلاع على الآيات والروايات التى أشارت إليه وهى كما يلى:

1\_\_ قوله تعالى:

(يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)(1).

يبين لنا ما حصل لأبويننا رغم أنهما لم يطيعوه فى معصية، إذ إنهما خالفا الأمر الإرشادى الذى أمرهما الله تعالى به إلا أن طاعة الشيطان أخرجتهما عن الجنة وما فيها

من روح وريحان إلى دنيا الألم والعذاب والكد والتعب.

2\_\_ قوله تعالى:

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (3) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ)(1).

يوضح أن اتباع الشيطان يوصل إلى الضلال بل الهلاك في عذاب جهنم في الدنيا والآخرة.

3\_\_ قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(2).

يؤكد على أن الشيطان لا يريد للإنسان إلا أن يعيش قبيحا نجسا بعيداً عن كل ألوان الطهارة والحسن والجمال.

4\_\_ قوله تعالى:

(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)(3).

تشير هذه الآية الكريمة إلى خذلان الشيطان للإنسان الذي وقع في إغوائه، وتصرح بأن طاعته قد تؤدي إلى الخروج عن الدين في بعض الأحيان.

1- سورة الحج، الآيتان: 3 و4.

2- سورة النور، الآية: 21

3- سورة الحشر، الآية: 16.

5\_ طاعة الشيطان توجب الوقوع فى الزلل والخوض فى الباطل، بل تلغى شخصية المؤمن ويحل إبليس بدلا عنها فى أفعالها وأقوالها وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام فى دَمِّ أَتْبَاعِ الشَّيْطَانِ:

«اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَاً، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فى صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فى حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَرَكَّبَ بِهِمُ الرِّزْلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الخَطْلَ، فِعْمَلٌ مِّنْ قَدِّ شَرِكَةِ الشَّيْطَانِ فى سُلْطَانِهِ، وَنَطَقَ بِالبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ!» (1).

6\_ طاعة إبليس توجب الوقوع فى الجرائم والكبائر حتى تصل إلى درجة الكفر كما فى قول الإمام على عليه السلام:

«إِنَّ رَجُلًا كَانَ يَتَعَبَّدُ فى صَوْمِ عَمَةٍ، وَإِنَّ امْرَأَةً كَانَ لَهَا إِخْوَةٌ فَعَرَضَ لَهَا شَيْءٌ فَأَتَتْهُ بِهَا، فَزَيَّنَتْ لَهُ نَفْسُهُ فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَجَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ: أَقْتُلْهَا فَإِنَّهُمْ إِنْ ظَهَرُوا عَلَيْكَ افْتَضَحَتْ، فَقَتَلَهَا وَدَفَنَهَا، فَجَاؤُوهُ فَأَخَذُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَمْشُونَ إِذْ جَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ: إِنِّى أَنَا الذِّى زَيَّنْتُ لَكَ فَاسْجُدْ لى سَجْدَةً أَنُحِيكَ، فَسَجَدَ لَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:

(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِئٌ مِّنْكَ إِنِّى أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) (2)«(3).

7\_ طاعة إبليس توجب الاتصاف بكل رذيلة كالتكبر والحسد والبغى كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

1- نهج البلاغة: الخطبة 7. ميزان الحكمة: ج 5، ص 1922، ح 9381.

2- سورة الحشر، الآية: 16.

3- الدرّ المنثور: ج 8، ص 116. ميزان الحكمة: ج 5، ص 1922 \_ 1923، ح 9383.

«يَقُولُ إِبْلِيسُ لِحُنُودِهِ: أَلْقُوا بَيْنَهُمُ الْحَسَدَ وَالْبَغْيَ؛ فَاتَّهَمَا يَعْذِرَانِ عِنْدَ اللَّهِ الشُّرْكَ» (1).

8\_\_ أخطر ما يقع فيه الإنسان بعد طاعته للشيطان هو نسيان ربه ثم الوقوع في الخسران المبين كما في قوله تعالى:

(اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (2).

9\_\_ اتباع الشيطان يوجب ضرورة التابع من أوليائه وحزبه فينالهم الخوف كما في قوله تعالى:

(إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) (3).

### \_\_ أسئلة مهمة

السؤال: ما مقدار حدود سلطة الشيطان على الإنسان؟

الجواب: ليس للشيطان سلطة أكثر من التزيين والتسويل والوسوسة والنزغ، أى لا يجبر الإنسان على ارتكاب المعاصى ولا يسلبه الاختيار فى الأفعال وهذا ما جاء فى لسان الآيات والأحاديث التالية:

1\_\_ آية تشير إلى النزغ أى الإغراء بين الناس وحمل بعضهم على بعض كما فى قوله تعالى:

(وَإِذَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (4).

1- الكافى: ج2، ص327، ح2. ميزان الحكمة: ج5، ص1927، ح9393.

2- سورة المجادلة، الآية: 19.

3- سورة آل عمران، الآية: 175.

4- سورة الأعراف، الآية: 200.

2\_ آية تشير إلى إظهار القبيح حسنا فيتصوره الإنسان نفعا فيقع فيه كما في قوله تعالى:

(وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَزَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(1).

3\_ آية تشير إلى الوسوسة وأثرها القبيح كما في قوله تعالى:

(إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى)(2).

4\_ آية تشير إلى التسويل كما في قوله تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ أَزْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ)(3).

السؤال: ما هي الوسائل التي يتخذها الشيطان لإيقاع الإنسان في المعاصي أو الكفر؟

الجواب: الوسائل كثيرة وقد ذكر منها أمير المؤمنين عليه السلام ثلاث فتن هي بمثابة أصول الفتن ليفتن بها الإنسان فيقع في معصية الله تعالى:

«الْفِتْنَةُ ثَلَاثٌ: حُبُّ النِّسَاءِ وَهُوَ سَيْفُ الشَّيْطَانِ، وَشُرْبُ الخَمْرِ وَهُوَ فُحُّ الشَّيْطَانِ، وَحُبُّ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ وَهُوَ سَهْمُ الشَّيْطَانِ»(4).

السؤال: ما هو ردنا على الذي يلقي باللوم على الشيطان عند وقوعه في المعصية؟

1- سورة الأنفال، الآية: 48.

2- سورة طه، الآية: 12.

3- سورة محمد، الآية: 25.

4- كنز العمال: 30883. ميزان الحكمة: ج5، ص1921، ح9376.

الجواب: إن إلقاء اللوم على الشيطان هو هروب من المسؤولية وعدم الاعتراف بالتقصير، لما تقدم من أن إبليس ليس له إلا -التزيين والوسوسة دون الإجبار على الفعل كما أن الشيطان يتبرأ من فعل الإنسان السيئ ويلقى باللائمة عليه كما في قوله تعالى:

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (1).

ورد أمير المؤمنين عليه السلام على من يلعن الشيطان الذي أوقعه في المعاصي بقوله:

«لَا تَسِبَّ إبليس (الشَّيْطَان) فِي الْعَلَنِ وَأَنْتَ صَدِيقُهُ فِي السِّرِّ» (2).

السؤال: ما هو ردنا على من يقول أن شيطانه تغلب عليه فأوقعه في المعصية؟

الجواب: هذا تبرير يدل على التنصل من المسؤولية ودفع التقصير عن النفس حيث إن الشيطان لا قدرة له على المؤمن القوى لسببين هما:

ألف. ضعف كيد الشيطان كما في قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (3).

1- سورة إبراهيم، الآية: 22.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 20، ص 329، ح 767.

3- سورة النساء، الآية: 1.

باء. إن المؤمن القوى هو الذى يجاهد الشيطان فينتصر عليه، وأمّا من يضعف أمام الشيطان ويستسلم له لا يعد من المؤمنين الأقوياء (والمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف) ولذلك ينصحنا الإمام الكاظم عليه السلام فى وصيته لهشام:

«فَلَهُ (أى لإبليس) فَلْتَشِدَّ عِدَاوَتَكَ، وَلَا يَكُونَنَّ أَصْبَرَ عَلَى مَجَاهَدَتِهِ لِهَلَاكَتِكَ مِنْكَ عَلَى صَبْرِكَ لِمَجَاهَدَتِهِ؛ فَإِنَّهُ أَضْعَفُ مِنْكَ رُكْنًا فِي قُوَّتِهِ، وَأَقْلُّ مِنْكَ ضَرَرًا فِي كَثْرَةِ شَرِّهِ، إِذَا أَنْتَ اعْتَصَمْتَ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيتَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (1).

وفى رواية عن الإمام الكاظم عليه السلام لما سُئِلَ عن أوجب الأعداء مجاهدة قال:

«أَقْرَبُهُمْ إِلَيْكَ وَأَعْدَاهُمْ لَكَ... وَمَنْ يُحَرِّضُ أَعْدَاءَكَ عَلَيْكَ، وَهُوَ إِبْلِسُ» (2).

السؤال: لماذا ترك الله تعالى الشيطان يعبد بعباده؟

الجواب: نعلم أن هذه الدنيا هى دار امتحان واختبار ولكى يتحقق الثواب والعقاب فلا بد من فتنة يفتتن بها المؤمن لكى يستحق أحد الأمرين من الثواب أو العقاب وهذا هو عين العدل الإلهى كما فى قوله تعالى:

«وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ» (3).

السؤال: ما هى الطريقة المثلى للتخلص من فتن الشيطان؟

1- تحف العقول: ص 400. ميزان الحكمة: ج 5، ص 1925، ح 9387.

2- تحف العقول: ص 399. ميزان الحكمة: ج 5، ص 1920، ح 9370.

3- سورة سبأ، الآية: 21.

الجواب: الأمر واضح لكل ذى لب وهو أن الالتجاء إلى الله تعالى والتمسك بحبله والاستعاذة به خير الطرق المنجية من الشيطان الرجيم كما فى قوله تعالى:

(وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ) (1).

وقوله تعالى:

(فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (2).

وقوله تعالى:

(فَلَمَّا وَصَّوَّعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَصَّوَّعْتُهَا أَنْتَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَصَّوَّعْتَ وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (3).

وقوله تعالى:

(وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (4).

وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«أحمدُ الله وأستعينُهُ على مَدَاحِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ (مَزَاجِرِهِ)، وَالْأَعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ» (5).

السؤال: من هو الذى ينجو من إبليس؟

الجواب: لا ينجو منه إلا العباد الذين يخشون الله تعالى ويعبدونه كأنما يرونه وهذا ما أشار إليه قوله تعالى:

1- سورة المؤمنون، الآيتان: 97 و98.

2- سورة النحل، الآية: 98.

3- سورة آل عمران، الآية: 36.

4- سورة الأعراف، الآية: 200.

5- نهج البلاغة: الخطبة 151.



(إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (1).

وقوله تعالى:

(إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) (2).

وهذه العبادة التي يجب أن يتصف بها من يريد النجاة من إبليس بينها الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«قال إبليس: حَمْسَةٌ (أشياء) لَيْسَ لِي فِيهِنَّ حِيلَةٌ وَسَائِرُ النَّاسِ فِي قَبْضَتِي: مَنْ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ عَنِ نِيَّةٍ صَادِقَةٍ وَاتَّكَلَّ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَمَنْ كَثُرَ تَسْبِيحُهُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَمَنْ رَضِيَ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ بِمَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجْزَعْ عَلَى الْمُصِيبَةِ حِينَ تُصِيبُهُ، وَمَنْ رَضِيَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ وَلَمْ يَهْتَمَّ لِرِزْقِهِ» (3).

وكما أشار الإمام الباقر عليه السلام إلى ضرورة الخوف من الله تعالى خوفا حقيقيا بقوله:

«تَحَرَّزْ مِنْ إِبْلِيسَ بِالْخَوْفِ الصَّادِقِ» (4).

وهناك طريقة سهلة يتبعها العبد ليسلم من براثن إبليس أشار إليها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«أَكْثِرِ الدُّعَاءَ تَسْلَمُ مِنْ سَوْرَةِ الشَّيْطَانِ» (5).

السؤال: إذا لم يكن لإبليس سلطانٌ على الذين آمنوا كما تصرح به الآية الكريمة:

1- سورة النحل، الآية: 99.

2- سورة الحجر، الآية: 42.

3- الخصال: ص 285، ح 37. ميزان الحكمة: ج 5، ص 1928، ح 9401.

4- بحار الأنوار: ج 78، ص 164، ح 1. ميزان الحكمة: ج 5، ص 1928، ح 9402.

5- بحار الأنوار: ج 78، ص 9، ح 64. ميزان الحكمة: ج 5، ص 1928، ح 9403.

(إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (1).

كيف نفسر تعرض بعض المؤمنين لأضرار إبليس؟

الجواب:

إن سلطة إبليس محصورة بالجانب المادى أى لا يستطيع أن يلحق الضرر إلا بالجنبه المادية من الإنسان دون الجنبه المعنوية، أى أن دينه وعقائده مصنونه من قبل الله سبحانه وتعالى وهذا ما يصرح به الإمام الصادق عليه السلام:

«يُسَلِّطُ وَاللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ عَلَى بَدَنِهِ وَلَا يُسَلِّطُ عَلَى دِينِهِ، قَدْ سَلَّطَ عَلَى أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَشَوَّهَ خَلْقَهُ وَلَمْ يُسَلِّطْ عَلَى دِينِهِ» (2).

### \_\_ وقفة تأمل

أمرنا الله سبحانه أن نتدبر القرآن الكريم لكى نقف على روائعه الأدبية وحقائقه العلمية وبواطنه وأسراره الغيبية، وبما أننا غير معصومين من الخطأ أو الاشتباه لابد أن نستعين بمن هو معصوم من ذلك لكى يدلنا على ما هو صائب وصحيح، ولذا عند تأملنا وتدبرنا لقوله تعالى:

(إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) (3).

لابد أن نستعين بقول الإمام الصادق عليه السلام لنقف على حدود سلطان الشيطان على الإنسان فيقول الإمام عليه السلام:

«يُسَلِّطُ وَاللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ عَلَى بَدَنِهِ وَلَا يُسَلِّطُ عَلَى دِينِهِ، قَدْ سَلَّطَ عَلَى أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَشَوَّهَ خَلْقَهُ وَلَمْ يُسَلِّطْ عَلَى دِينِهِ».

1- سورة النحل، الآية: 99.

2- الكافي: ج 8، ص 288، ح 433. ميزان الحكمة: ج 5، ص 1929، ح 9405.

3- سورة الحجر، الآية: 42.

وبعد معرفة حدود سلطة الشيطان يتضح لنا أن الشيطان لا يتسلط إلا على الجانب المادى للمؤمن بإذن الله تعالى لحكمة يريد بها سبحانه، وأما الجانب المعنوى لا يصل إليه إبليس.

فلذا أقول: ... الخ.

إن العباد على رتب متفاوتة فى العبودية فمنهم من هو خطأ ومنهم من هو معصوم، والمعصومون فضل بعضهم على بعض كما فى قوله تعالى:

(وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا) (1).

فلا سلطة لإبليس على المعصومين مطلقاً، كما لا سلطة له إلا على بعض العباد الذين اتبعوه باختيارهم، فزاد فى غوايتهم بتسلطه عليهم فصاروا أتباعاً له بل صار بعضهم من جنده الذين يستخدمهم لإغواء الناس، وهناك شرح مفصل موكول إلى كتب التفسير فراجع.



ص: 341

الخطبة السابعة

اشارة



وفيها يصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويوتِّخ معاوية، ويستنكر عليه ظلمه، ويدحض أباطيله، ويحذره سوء منقلبه.

## نص الخطبة

### إشارة

(أما بعد، يا معاوية! فلن يُؤدِّي القائل وإن أظنَّ في صفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جميع جُزءاً، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من إيجاز الصفة والتتُّب عن إسهاب البلاغ البيعة، وهيئات هيهات يا معاوية! فضح الصُّبح فحمة الدجى وبهرت الشمس أنوار الشرح، ولقد فضلت حتى أفرطت، واسه تأثرت حتى أجهفت، ومنعت حتى بخلت، وجرت حتى جاورت، ما بدلت لدى حق من أتم حقه بنصيب حتى أخذ الشيطان حظَّه الأوفر، ونصيبه الأكمل، وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص وقد دلَّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند

التحارش، والحمام السبق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاحى، تجده ناصراً، ودع عنك ما تحاول.

فَمَا أَغْنَاكَ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ جَوْرَ هَذَا الْخَلْقِ بِأَكْثَرِ مِمَّا أَنْتَ لَافِيهِ، فَوَاللَّهِ مَا بَرِحْتَ تَقْدِرُ بَاطِلًا فِي جَوْرِ، وَحَقًّا فِي ظُلْمٍ، حَتَّى مَلَأْتَ الْأَسْقِيَةَ، وَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَوْتِ إِلَّا غَمَضَةٌ، فَتَقْدِمَ عَلَى عَمَلٍ مَحْفُوظٍ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ، وَلَا تَ حِينَ مَنَاصٍ، وَرَأَيْتَكَ عَرَضْتَ بِنَا بَعْدَ هَذَا الْأَمْرِ، وَمَنْعَتْنَا عَنْ آبَائِنَا، وَلَقَدْ لَعَمْرُ اللَّهِ أَوْرَثْنَا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وِلَادَةً، وَجِئْتَ لَنَا بِمَا حَجَجْتُمْ بِهِ الْقَائِمَ عِنْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ، فَأَذَعَنْ لِلْحُجَّةِ بِذَلِكَ، وَرَدَّهَ الْإِيمَانَ إِلَى النَّصْفِ، فَرَكِبْتُمْ الْأَعَالِيلَ، وَفَعَلْتُمْ الْأَفَاعِيلَ، وَقُلْتُمْ: كَانَ وَيَكُونُ، حَتَّى أَتَاكَ الْأَمْرُ يَا مُعَاوِيَةَ مِنْ طَرِيقٍ كَانَ فَصَدُّهَا لِعَيْرِكَ، فَهَنَّاكَ فَاعْتَبِرُوا يَا أَوْلَى الْأَبْصَارِ، وَذَكَرْتَ قِيَادَةَ الرَّجُلِ الْقَوْمَ بِعَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَأْمِيرَهُ لَهُ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَلِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ يَوْمَ يَزِيدُ فَضِيلَةَ بِصُدْحَةِ الرَّسُولِ وَيَبْعَثَهُ لَهُ، وَمَا صَارَ لِعَمْرٍو يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَنْفَ الْقَوْمِ إِمْرَتَهُ، وَكَرَهُوا تَقْدِيمَهُ، وَعَدُّوا عَلَيْهِ أفعالَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لَا جَرَمَ مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ لَا يَعْمَلُ عَلَيْكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ غَيْرِي.

فَكَيْفَ تَحْتَجُّ بِالْمَنْسُوخِ مِنْ فِعْلِ الرَّسُولِ فِي أَوْكِدِ الْأَحْوَالِ وَأَوْلَاهَا بِالْمُجْمَعِ عَلَيْهِ مِنَ الصَّوَابِ؟ أَمْ كَيْفَ صَاحَبْتَ بِصَاحِبٍ تَابِعٍ وَحَوْلُكَ مَنْ لَا يُؤْمِنُ فِي صِدْقِيهِ، وَلَا يُعْتَمَدُ فِي دِينِهِ وَقَرَابَتِهِ، وَتَخَطَّاهُمْ إِلَى مُسْرِفٍ مَقْتُونٍ، تُرِيدُ أَنْ تَلْبَسَ النَّاسَ شُبُهَةً يَسْعُدُ بِهَا الْبَاقِي فِي دُنْيَاهُ، وَتَشْقَى بِهَا فِي آخِرَتِكَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْحَسْرَانُ الْمُبِينُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ).



## المعنى العام

(أَمَّا بَعْدُ، يَا مُعَاوِيَةَ! فَلَنْ يُؤَدِّيَ الْقَائِلُ وَإِنْ أَطْنَبَ فِي صِيْفَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَمِيعِ جُزْءٍ، وَقَدْ فَهَمْتُ مَا لَبِسْتَ بِهِ الْخَلْفَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ إِيجَازِ الصِّفَةِ وَالتَّنَكُّبِ عَنِ اسْتِبْلَاحِ الْبَيْعَةِ، وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ يَا مُعَاوِيَةَ! فَضَحَ الصُّبْحُ فَحَمَةَ الدُّجَى وَبَهَرَتِ الشَّمْسُ أَنْوَارَ السُّرُجِ، وَلَقَدْ فَضَّلْتَ حَتَّى أَفْرَطْتَ، وَأَسَّ تَأَثَّرْتَ حَتَّى أَجْحَفْتَ، وَمَنَعْتَ حَتَّى بَخِلْتَ، وَجُرْتَ حَتَّى جَاوَزْتَ، مَا بَدَّلْتَ لِيذَى حَقٍّ مِنْ أُمَّ حَقَّهُ بِنَصِيْبٍ حَتَّى أَخَذَ الشَّيْطَانُ حَظَّهُ الْأَوْفَرَ، وَنَصِيْبَهُ الْأَكْمَلَ، وَفَهَمْتُ مَا ذَكَرْتَهُ عَنْ يَزِيدَ مِنْ اِكْتِمَالِهِ وَسِيَّاسَتِهِ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ، تُرِيدُ أَنْ تُوْهِمَ النَّاسَ فِي يَزِيدَ، كَأَنَّكَ تَصِفُ مَحْجُوبًا، أَوْ تَنْعَتُ غَائِبًا، أَوْ تُخْبِرُ عَمَّا كَانَ مِمَّا اخْتَوَيْتَهُ بِعِلْمٍ خَاصٍّ وَقَدْ دَلَّ يَزِيدَ مِنْ نَفْسِهِ عَلَى مَوْجِعِ رَأْيِهِ، فَخَذَ لِيَزِيدَ فِيمَا أَخَذَ بِهِ مِنْ أَسِّ تَقْرَائِهِ الْكِلَابِ الْمُهَارِشَةَ عِنْدَ التَّحَاوُشِ، وَالْحَمَامِ السَّبْقِ لِأَتْرَابِهِنَّ، وَالْقَيْنَاتِ ذَوَاتِ الْمَعَارِفِ، وَضُرُوبِ الْمَلَاهِي، تَجِدُهُ نَاصِرًا، وَدَعَّ عَنكَ مَا تُحَاوِلُ).

أما بعد: أمر يقال في الخطبة.

يا معاوية: اسم لكلبة عوت، فلن يوصل الواصف وإن بالغ وأكثر في نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جزءاً من صفاته، وقد علمت وعرفت ما سترت به يزيد من اختصار النعت والتتحي عن إيصال البيعة، هيهات هيهات يا معاوية، كشف الصبح سواد الليل وظلمته، وأضاءت الشمس أنوار المصابيح، ولقد رجحت حتى جاوزت الحد، وخصصت نفسك دون غيرك حتى أوقعت الضرر الشديد غيرك، وحرمت حتى حرصت أن لا تنفق، وظلمت حتى تعديت الحدود، وما أعطيت لصاحب حق حقه وحصته حتى أخذ الشيطان نصيبه الأكبر، وحصته الأكثر وعرفت ما ذكرته

عن يزيد من كماله وقابليته وإدارته وتدبيره لأمة محمد، تريد أن تشبهه على الناس في يزيد، كأنك تنعت شخصا غير ظاهر، أو تصف غير حاضر، أو تخبر عن شخص أحطته بعلم خاص وقد أظهر يزيد من نفسه على مكانة عقله وقوة رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من تتبعه الكلاب المقاتلة عند التهييج، والحمام التي تسابق مثيلاتهن، والجواري ذوات الدفوف والطبول وأنواع اللهو، تجده جديراً بذلك، واترك محاولة تجميله وإظهاره بالمظهر اللائق للخلافة.

(فَمَا أَغْنَاكَ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ جَوْرَ هَذَا الْخَلْقِ بِأَكْثَرِ مِمَّا أَنْتَ لَاقِيهِ، فَوَ اللَّهُ مَا بَرِحْتَ تَقْدُرُ بِاطِلًا فِي جَوْرِ، وَحَقًّا فِي ظُلْمٍ، حَتَّى مَلَأْتَ الْأَسْقِيَةَ، وَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَوْتِ إِلَّا غَمَصَةٌ، فَتَقْدِمَ عَلَى عَمَلٍ مَحْفُوظٍ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ، وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ، وَرَأَيْتَكَ عَرَضْتَ بِنَا بَعْدَ هَذَا الْأَمْرِ، وَمَنْعَتْنَا عَنْ آبَائِنَا، وَلَقَدْ لَعَمْرُ اللَّهِ أَوْرَثْنَا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَاذَةً، وَحِثَّتْ لَنَا بِهَا مَا حَجَجْتُمْ بِهِ الْقَائِمَ عِنْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ، فَادْعَنَ لِلْحُجَّةِ بِذَلِكَ، وَرَدَّهُ الْإِيمَانَ إِلَى النَّصْفِ، فَكَرِهْتُمْ الْأَعَالِيلَ، وَفَعَلْتُمْ الْأَفَاعِيلَ، وَقُلْتُمْ: كَانَ وَيَكُونُ، حَتَّى أَتَاكَ الْأَمْرُ يَا مُعَاوِيَةَ مِنْ طَرِيقٍ كَانَ قَصْدُهَا لِغَيْرِكَ، فَهَنَّاكَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ، وَذَكَرْتَ قِيَادَةَ الرَّجُلِ الْقَوْمِ بِعَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَأْمِيرَهُ لَهُ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَلِعَمْرُوبْنِ الْعَاصِ يَوْمَئِذٍ فَضِيلَةٌ بِصَحْبَةِ الرَّسُولِ وَبِيعْتِهِ لَهُ، وَمَا صَارَ لِعَمْرٍو يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَنْفَ الْقَوْمِ إِمْرَتَهُ، وَكَرَهُوا تَقْدِيمَهُ، وَعَدُّوا عَلَيْهِ أَفْعَالَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لَا جَرَمَ مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ لَا يَعْمَلُ عَلَيْكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ غَيْرِي).

وأنت غنى عن أن تلقى الله تعالى بظلم هذه الأمة أكثر مما أنت فيه من الظلم، فيقسم الإمام عليه السلام بالله تعالى ويقول إنك ظللت تُهَيء ما هو غير صحيح أصلاً في ميل عن العدل، وغيظاً شديداً في ظلم، حتى ملأت آواني السقى كناية عن أكل

الحرام، وما يفصلك عن الموت إلا- انطباق الجفن، فتأتى يوم القيامة مع عملك المحفوظ والموثق، ولا ملجأ ولا مفر حينئذ من قباحة الأعمال، ويخاطب الإمام عليه السلام معاوية قائلاً: إنك ظهرت بنا أى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماذا قال؟ ومع ذلك حجبنا عن وراثته أبينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى نسبنا إليه ولادة فسمانا أبنيه.

### \_\_ صفات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

لا يمكن للقلم أن يوصف كمال وجمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يمكن للعقل أن يدرك مقام ورتبة من كان قاب قوسين أو أدنى من ربه، لقد وصفه القرآن الكريم بصفة لا يحاط بها ولا يجدها أحد فقال عز من قائل:

(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (1).

إلا- أننا لا نستغنى عن ذكر كمال وجمال وجلال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خلال ذكر ما ورد فى حقه من الآيات الكريمة والروايات الشريفة وباختصار شديد لما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حضور وظهور ووضوح وبيان:

### الآيات الكريمة

1\_\_ أية كريمة تؤكد أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هو سفير الله تعالى وواسطة فيضة كما فى قوله تعالى:

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ

الرُّزَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا(1).

2\_ آية أخرى تبين صفات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم التي فضل بها على غيره من البشر كما في قوله تعالى:

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)(2).

3\_ آية ثالثة ترشد إلى أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ليس إلهاً، بل هو بشر ركب فيه الغرائز والشهوات والعقل والروح إلا أنه رسمي وارتفع حتى صار حبيباً لربه وخليلاً لخالقه عز وجل كما ورد ذلك في قوله تعالى:

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)(3).

4\_ آية رابعة تشير إلى أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم له من المؤهلات بما جعله شاهداً على الناس مطلعاً على أعمالهم وأقوالهم ونياتهم، ثم مارس دوراً آخرأً ألا وهو دور من يدخل السرور على قلب البشر ودور من يزرع الخوف في ذلك القلب فقالت الآية:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)(4).

5\_ آية خامسة دلت وأبدت على أن هذا الوجود المقدس الذي اسمه (محمد)

1- سورة الفتح، الآية: 29.

2- سورة التوبة، الآية: 128.

3- سورة الكهف، الآية: 110.

4- سورة الأحزاب، الآية: 45.

صلى الله عليه وآله وسلم هو الداعى بالحق إلى الله تعالى بدليل قوله (بإذنه) وهو النور الذى يستعان به فى ظلمات الجهل والشرك والكفر فقالت:

(وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)(1).

وهناك آيات كثيرة لا يسمح المقام بذكرها.

### رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصف نفسه

1— عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

أنا أنسب به الناس بآدم، وإبراهيم أنسب به الناس بى خلقه وخلقه، وسدّمانى الله من فوق عرشه عشرة أسماء، ويبن الله وصفى، وبشّرنى على لسان كل رسول بعثه الله إلى قومه، وسدّمانى ونسّر فى التّوراة اسمى، وبثّ ذكرى فى أهل التّوراة والإنجيل، وعلمنى كتابه، ورفعنى فى سمائه، وشقّ لى اسماً من أسمائه، فسدّمانى محمّداً وهو محمود، وأخرجنى فى خير قرن من أمتى، وجعل اسمى فى التّوراة أحيّد(2)، فبالتّوحيد حرّم أجساد أمتى على النار.

وسدّمانى فى الإنجيل أحمد، فأنا محمود فى أهل السماء، وجعل أمتى الحامدين، وجعل اسمى فى الزّبور ماحى، ماح الله عزّ وجلّ بى من الأرض عبادة الأوثان، وجعل اسمى فى القرآن محمّداً، فأنا محمود فى جميع القيامة(3) فى فصل القضاء، لا يشفع أحد غيرى.

1- سورة الأحزاب، الآية: 46.

2- قال شارح الشفاء للقاضى عياض: أحيّد بضمّ الهمزة، وفتح المهملة، وسكون التّحتيّة، فдал مهملة، وقيل: بفتح الهمزة، وسكون المهملة، وفتح التّحتيّة، قال: سميت أحيّد لأنى أحيّد بأمتى عن نار جهنّم، أى أعدلّ بهم، انتهى. بحار الأنوار: ج16، ص93، ح27.

3- فى معانى الأخبار: ص50، ح1، جميع أهل القيامة.

وَسَمَانِي فِي الْقِيَامَةِ حَاشِرًا، يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَسَمَانِي الْمَوْقِفَ، أَوْقَفُ النَّاسَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسَمَانِي الْعَاقِبَ، أَنَا عَقِبُ النَّبِيِّينَ لَيْسَ بَعْدِي رَسُولٌ، وَجَعَلَنِي رَسُولَ الرَّحْمَةِ وَرَسُولَ التَّوْبَةِ وَرَسُولَ الْمَلَاحِمِ وَالْمُقْتَفَى (1)، فَفَيْتُ النَّبِيِّينَ جَمَاعَةً، وَأَنَا الْمُقِيمُ الْكَامِلُ الْجَامِعُ.

وَمَنْ عَلَيَّ رَبِّي وَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ فَقَدْ أُرْسَلْتُ كُلَّ رَسُولٍ إِلَى أُمَّتِهِ بِلِسَانِهَا، وَأُرْسَلْتُكَ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ مِنْ خَلْقِي، وَنَصَرْتُكَ بِالرُّعْبِ الَّذِي لَمْ أَنْصُرْ بِهِ أَحَدًا، وَأَحَلَلْتُ لَكَ الْغَنِيمَةَ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ، وَأَعْطَيْتُكَ لَكَ وَلَا أُمَّتِكَ كَنْزًا مِنْ كُنُوزِ عَرْشِي: فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، وَخَاتِمَةَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَجَعَلْتُ لَكَ وَلَا أُمَّتِكَ الْأَرْضَ كُلَّهَا مَسْجِدًا وَتُرَابَهَا طَهُورًا، وَأَعْطَيْتُ لَكَ وَلَا أُمَّتِكَ التَّكْبِيرَ، وَقَرَنْتُ ذِكْرَكَ بِذِكْرِي حَتَّى لَا يَذْكُرَنِي أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا ذَكَرَكَ مَعَ ذِكْرِي، فَطُوبَى لَكَ يَا مُحَمَّدُ وَلَا أُمَّتِكَ (2).

2— عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سأله يهودى عن وجه تسميته بمحمد وأحمد وأبى القاسم وبشير ونذير وداع قال:

«أَمَّا مُحَمَّدٌ فَأِنِّي مَحْمُودٌ فِي الْأَرْضِ، وَأَمَّا أَحْمَدُ فَأِنِّي مَحْمُودٌ فِي السَّمَاءِ، وَأَمَّا أَبُو الْقَاسِمِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَتَسَمَّى يَوْمَ الْقِيَامَةِ قِسْمَةَ النَّارِ؛ فَمَنْ كَفَرَ بِي مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فَفِي النَّارِ، وَيَتَسَمَّى قِسْمَةَ الْجَنَّةِ؛ فَمَنْ آمَنَ بِي وَأَقْرَبُ بُنُوتِي فَفِي الْجَنَّةِ.

وَأَمَّا الدَّاعِي فَأِنِّي أَدْعُو النَّاسَ إِلَى دِينِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا النَّذِيرُ فَأِنِّي أَنْذِرُ بِالنَّارِ مَنْ عَصَانِي، وَأَمَّا الْبَشِيرُ فَأِنِّي أُبَشِّرُ بِالْجَنَّةِ مَنْ أَطَاعَنِي (3).

1- فى معانى الأخبار: ص 50، ح 1، المقفَى.

2- علل الشرائع: ص 127، ح 3. ميزان الحكمة: ج 10، ص 4198 \_ 4199، ح 19741.

3- معانى الأخبار: ص 52، ح 2. ميزان الحكمة: ج 10، ص 4199، ح 19742.

3\_\_ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«أنا أديبُ اللهِ وَعَلِيٌّ أديبِي»(1).

وعن الإمام على عليه السلام أنه قال:

«قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: هَلْ عَبَدْتَ وَتَنَأَقَطُ؟ قَالَ: لَا، قَالُوا: فَهَلْ شَرِبْتَ خَمْرًا قَطُّ؟ قَالَ: لَا، وَمَا زِلْتُ أَعْرِفُ أَنَّ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ كُفْرٌ وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا الْكَيْتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ»(2).

فلا يسعني أن أعلق على ما ورد عنه في نفسه الكريمة صلى الله عليه وآله وسلم.

## أمير المؤمنين عليه السلام

### إشارة

وصف أمير المؤمنين أخاه صلى الله عليه وآله وسلم وصفا يدل على جمال الظاهر بقوله:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أبيضَ اللونِ مُشَدَّراً حُمْرَةً، أذعَجَ العينِ، سدَّ بَطَّ الشَّعْرِ، كَثَّ اللَّحْيَةَ، سدَّ هَلَّ الخَدِّ، ذَا وَفْرَةٍ، دَقِيقَ المَسْرُوبَةِ، كَانَ عُنُقُهُ إِبْرِيقُ فِضَّةٍ، لَهُ شَعْرٌ مِنْ لَبَّيْهِ إِلَى سُرَّتِهِ يَجْرِي كَالْقَضِيبِ، لَيْسَ فِي بَطْنِهِ وَلَا صَدْرِهِ شَعْرٌ غَيْرُهُ، شَتْنُ الكَفِّ وَالْقَدَمِ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَدِرُ مِنْ صَدَبٍ، وَإِذَا قَامَ كَأَنَّمَا يَنْفَلِعُ مِنْ صَخْرٍ، إِذَا التَفَّتْ، التَفَّتْ جَمِيعاً، كَانَ عَرَقُهُ فِي وَجْهِهِ اللَّوْلُؤُ، وَلرِيحُ عَرَقِهِ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ الأذْفَرِ، لَيْسَ بِالقَصِيرِ وَلَا بِالتَّوِيلِ، وَلَا بِالعَاجِزِ وَلَا اللَّئِيمِ، لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»(3).

1- مكارم الأخلاق: ج1، ص51، ح19. ميزان الحكمة: ج10، ص4221، ح19786.

2- كنز العمال: 35439. ميزان الحكمة: ج10، ص4224، ح19818.

3- الطبقات الكبرى: ج1، ص410. ميزان الحكمة: ج10، ص4224، ح19821.

ووصفه وصفاً آخر يدل على كمال الباطن بقوله عليه السلام:

«طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطَبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَحْمَى (أَمْضَى) مَوَاسِمَهُ، يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبٍ عُمِيٍّ، وَأَذَانٍ صُمٍّ، وَالسِّنَةِ بِكُمْ، مُتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ، وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّقَابَةِ، فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، وَالصُّحُورِ الْقَاسِيَةِ» (1).

### \_\_ بعض كمالاته

1\_\_ ذكر صاحب المناقب بعضاً من كمالات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

(كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْمَبْعُوثِ مَوْصُوفًا بِعَشْرِينَ خِصَالًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، لَوْ أَنْفَرَدَ وَاحِدٌ بِأَحَدِهَا لَدَلَّ عَلَى جَلَالِهِ، فَكَيْفَ مَنِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ؟! كَانَ نَبِيًّا أَمِينًا، صَادِقًا، حَادِقًا، أَصِيلًا، نَبِيلًا، مَكِينًا، فَصِيحًا، نَصِيحًا، عَاقِلًا، فَاضِلًا، عَابِدًا، زَاهِدًا، سَخِيًّا، كَمِيًّا، قَانِعًا، مُتَوَاضِعًا، حَلِيمًا، رَحِيمًا، غَيُورًا، صَبُورًا، مُوَافِقًا، مُرَافِقًا، لَمْ يُخَالِطْ مُنْجَمًا وَلَا كَاهِنًا، وَلَا عَيْفًا) (2).

2\_\_ ذكر صاحب الطبقات الكبرى عن عائشة لما سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ قَالَتْ:

(كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَّفَحِّشًا، وَلَا صَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ) (3).

- 
- 1- نهج البلاغة: الخطبة 108. ميزان الحكمة: ج 10، ص 4228، ح 19835. ذكر السيد عبد الله شبر في كتابه (الأخلاق) وصفا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مأخوذاً من لسان الحديث فمن أراد المزيد فليراجع، ص 22 \_\_ 25.
- 2- المناقب لابن شهر آشوب: ج 1، ص 123. ميزان الحكمة: ج 10، ص 4245، ح 19897.
- 3- الطبقات الكبرى: ج 1، ص 365. ميزان الحكمة: ج 10، ص 4245، ح 19899.



3\_ ذكر صاحب الغارات عن إبراهيم بن محمد من ولد علي عليه السلام قال:

(كان علي عليه السلام إذا نعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«هُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، أَجُودُ النَّاسِ كَفًّا، وَأَجْرَأُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً وَأَوْفَى النَّاسِ ذِمَّةً، وَالْيَنَّهُمْ عَرِيكَةً، وَأَكْرَمُهُمْ عَشْرَةً، (مَنْ رَأَهُ بِدِيهَةٍ هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعِيَتُهُ: لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ)» (1).

### معاوية

(أما بعد، يا معاوية! فلن يودى القائل وإن أظن في صفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جميع جزاء، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من إيجاز الصفة والتكبر عن الله بتبليغ البيعة، وهيئات هيات يا معاوية! فضح الصبيح فحمة الدجى وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، والله تأثرت حتى أجهفت، ومنعت حتى بخلت، وجرت حتى جاوزت، ما بدلت لذي حق من أتم حقه بنصيب حتى أخذ الشيطان حظاً الأوفر، ونصيبه الأكمل، وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتوته بعلم خاص وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من الله بتقائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السبق لأثرايهم، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً، ودع عنك ما تحاول).

قبل الخوض في شخصية معاوية لا بأس أن نشير إلى بعض العوامل المحيطة بهذه

1- الغارات: ج1، ص364. ميزان الحكمة: ج10، ص4246، ح19903.

الشخصية التي شقت الأمة شقتين، شق بقى ثابتا مرابطا على الحق صابرا على إيذاء أصحاب الباطل، مستيقظا لألاعيهم ومكائدهم، وشق انطلت عليه تلك الحيل والألاعيب فانساق وراء الباطل رغم وضوحه وترك الحق الذي لا ريب فيه.

ومن العوامل التي كان لها الأثر الكبير في صنع هذه الشخصية القبيحة ما يلي:

## أولا: العامل التربوي

### إشارة

ورث معاوية من أبيه أبي سفيان الحقد والعداء للإسلام الذي أطاح بعروش المشركين وسيادة الجاهلية الأولى، وورث من أمه هند التحريض والدعوة إلى قتل النبي وبنى هاشم بل إلى قتل جميع المسلمين، ونشأ معاوية بين أحضان أسرة رجالها جردوا سيوفهم وألبوا الرجال على قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونساؤها حملت الحطب ودقت الدفوف للتحريض والمحاربة لنبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم ونهجه.

ولكى نضع الأمور جلية بين يدي القارئ الكريم لابد أن نعرض بعض الصور القبيحة لأسرة معاوية التي كان لها الأثر الأكبر على نشأته:

قال أبو سفيان: (يا بني أمية تلاقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار).

انطلق أبو سفيان إلى قبر سيد الشهداء حمزة، فركله برجله وقال: يا أبا عمار، إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس في يد غلماننا يتلعبون به(1).

### هند

يكفيها عارا أنها آكلة الأكباد، والمعرضة على الإسلام.

1- معاوية أمام محكمة الجزاء، الشيخ مهدي القرشي: ص 29 \_ 30.

## أم جميل

هي حمالة الحطب التي لعنها القرآن الكريم وبقيت ملعونة إلى يوم يبعثون.

## الحكم بن أبي العاص

يقول حويطب في حديث له مع مروان بن الحكم: (والله لقد ههمت بالإسلام غير مرة، كل ذلك يعوقني أبوك يقول: تضع شرفك، وتدع دين آبائك لدين محدث وتصيرنا بعار).

## أبو جهل

يقول:

(تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، حتى إذا تجانبا على الركب، وكنا كفرسى رهان، قالوا: منا نبى يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه، والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدقه)<sup>(1)</sup>.

## عتبة والوليد

قتلا بسيف الإسلام وتركنا هنذا ناقمة حاقدة على الإسلام وعلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

## ثانياً: العامل الاقتصادي

كان للعامل الاقتصادي السقيم دور في بناء شخصية معاوية إذ كانت الحياة الاقتصادية قائمة على الربا والغزو الاستغلال، فللربا دور كبير في سيادة بعض الأسر القرشية والتي منها أسرة معاوية.

---

1- تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: ج13، ص125. الدر المنثور للسيوطي: ج4، ص187.

فلذا جاء فى التاريخ (أن معاوية باع سقاية من ذهب أو فضة بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن مثل هذا، إلا مثلاً بمثل، فقال معاوية: ما أرى بمثل هذا بأساً، فاستأى أبو الدرداء من جراته على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورده لحكم من أحكام الإسلام، فاندفع يقول: من يعذرني من معاوية أنا أخبره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويخبرني عن رأيه، لا ساكنتك بأرض أنت بها، ثم ترك الشام وانصرف إلى يثرب)(1).

### ثالثاً: العامل الأخلاقى

#### إشارة

من العوامل الرئيسية فى تكوين شخصية الإنسان هو العامل الأخلاقى، فلقد كانت الحياة الأخلاقية فى العصر الجاهلى لاسيما فى مكة فى غاية السوء والابتعاد عن الطهارة والفضيلة لانتشار المنكر والفحشاء وتعاطى الخمر وإباحة الزنى والعدوان والظلم وإلى غير ذلك من الفساد مما لا يخفى على أحد، وفى هذه الأجواء نشأ معاوية فى أسرة لا تتورع عن مثل هذه الأمور كما هو مشهور عن أبى سفيان فى تعاطيه الزنا مع سمية أم زياد وغيرها بل أن هناك روايات تاريخية تشير إلى زنا هند أم معاوية، وهذا مما لا يخفى على قارئ منصف للتاريخ(2).

بعد هذا العرض الذى قدمناه بين يدي القارئ الكريم والذى تظهر من خلاله خسة هذه الشخصية الفاسدة التى غيرت الإسلام وشوهدت صورته الناصعة نرغب فى بيان رأى سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذى لا ينطق عن الهوى لكى نزداد بصيرة فى شخصية معاوية.

1- حياة الإمام الحسن عليه السلام: ج2، ص150. بحار الأنوار: ج34، ص383. السنن الكبرى للبيهقى: ج5، ص280.

2- معاوية أمام محكمة الجزاء، الشيخ مهدي القريشى: ص243.

**\_\_ القول القاصم**

لا يختلف اثنان في كون محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يشك امرء في أن هذا الرسول الكريم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، فقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو قول الله سبحانه وتعالى وحكمه حكم الله تعالى ومدحه وذمه هو مدح الله تعالى وذمه، ومن نال ذمماً من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم لا شك في هلاكه وخلوده في نار جهنم، ولكي تقف على رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقوله في معاوية نطلع على ما يلي:

1\_\_ رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا سفيان مقبلاً على حمار، ومعاوية يقوده، ويزيد ابنه يسوقه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله القائد والراكب والسائق»(1).

2\_\_ أقبلت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرادت التزويج بمعاوية فنهاها صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك وقال لها: «إنه صعولوك»(2).

3\_\_ قال صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه:

«إنه يطلع من هذا الفج رجل يحشر على غير ملتي، فتشوق إليه المسلمون، وإذا بمعاوية قد طلع منه»(3).

4\_\_ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على معاوية وابن العاص فقال:

«اللهم اركسهم في الفتنة ركسا، اللهم دعهم إلى النار دعاً»(4).

1- معاوية أمام محكمة الجزاء، الشيخ مهدي القريشي: ص18. تاريخ الطبري: ج11، ص357.

2- تاريخ الخميس: ج2، ص296.

3- تاريخ الطبري: ج11، ص357.

4- معاوية أمام محكمة الجزاء، الشيخ مهدي القريشي: ص18. وقعة صفين: ص246. مسند أحمد بن حنبل: ج4، ص421.

5\_ وهناك قول مشهور للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قال فيه:

«إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاضربوا عنقه»(1).

إلا أنّ، أهل التحريف والوضع حرّفوا الحديث إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنه مأمون أمين) ولا شك في سخافة هذا التحريف وما أسهل الرد عليهم وهو كما يلي:

ألف: إن شخصية معاوية ومساوئها تكذب أنه أمين مأمون.

باء: محاربتة لأمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام تكذب هذا الحديث.

جيم: لا يوجد داع أو مناسبة لكي يمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم معاوية، كما أن هناك من الصحابة من هو مأمون حقا وأمين صدقا وقد خطب في الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأبي ذر أو عمار ولم يقل في حقهما شيئا من ذلك.

دال: كيف يناقض قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعضه بعضا، لقد تقدم ذم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمعاوية وهو ذم لا يقبل التغيير، فكيف يغير النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قوله فيمتدح معاوية؟

### ندليس معاوية

قول الإمام الحسين عليه السلام:

«تُرِيدُ أَنْ تُوهِمَ النَّاسَ فِي يَزِيدَ، كَأَنَّكَ تَصِفُ مَحْجُوبًا، أَوْ تَنْعَتُ غَائِبًا، أَوْ تُخْبِرُ عَمَّا كَانَ مِمَّا احْتَوَيْتَهُ بِعِلْمٍ خَاصٍّ وَقَدْ دَلَّ يَزِيدٌ مِنْ نَفْسِهِ عَلَى مَوْقِعِ رَأْيِهِ، فَخَذَّ لِيَزِيدَ فِيمَا أَخَذَ بِهِ مِنْ أَسْتِ تَقْرَائِهِ الْكِلَابِ الْمُهَارِشَةَ عِنْدَ التَّحَارُشِ، وَالْحَمَامِ السَّبْقِ لِأَتْرَابِهِنَّ، وَالْقَيْنَاتِ ذَوَاتِ الْمَعَارِفِ، وَضُرُوبِ الْمَلَاهِي، تَجِدُهُ نَاصِرًا، وَدَعَّ

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج33، ص187. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج4، ص32.

عَنْكَ مَا تُحَاوِلُ».

يدل دلالة صريحة على تدليس معاوية بإظهار يزيد بمظهر حسن لكي ينال بذلك رضا الناس ومن ثم ينتزع بيعتهم له، إلا أن هذا التدليس لا يرفع من مقام يزيد شيئاً لما في يزيد من خصال قبيحة وردائل يندى منها جبين الإنسانية وهذا ما ورد في قول الإمام الحسين عليه السلام إذ يقول:

«وَقَدْ دَلَّ يَزِيدٌ مِنْ نَفْسِهِ عَلَى مَوْجِعِ رَأْيِهِ، فَخَذَ لِيَزِيدَ فِيمَا أَخَذَ بِهِ مِنْ أَسِّ تَقْرَائِهِ الْكِلَابَ الْمُهَارِشَةَ عِنْدَ التَّحَارُشِ، وَالْحَمَامِ السَّبْقِ لِأَثْرَابِهِنَّ، وَالْقَيْنَاتِ ذَوَاتِ الْمَعَارِفِ، وَضُرُوبِ الْأَمْلاهِى، تَجِدُهُ نَاصِرًا، وَدَعَّ عَنْكَ مَا تُحَاوِلُ».

يا لها من صفة شديدة على فم معاوية الذى أراد تزكية يزيد وترويقه، ويا له من قطع لسان لكل من تسول له نفسه أن يمتدح الفاسقين الظلمة يدلس على الناس حقيقتهم وقذارتهم.

### عمرو بن العاص

أراد معاوية أن يرفع من عمرو بن العاص ويعطيه شأنًا فالتجأ إلى ذكر صحبته مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيعتهم له، إلا أن الإمام عليه السلام قطع عليه الطريق بذكر ما حصل من شكوى ضد هذا الوزغ فجاء رد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سريعاً إذ قال للأَنْصَارِ:

«لا جرم معشر المهاجرين لا يعمل عليكم بعد اليوم غيرى».

ولكى نرفد القارئ الكريم بحقيقة عمرو بن العاص لا بد أن نطلع على هذه الشخصية الانتهازية المتذبذبة حسب مصالحها ومنافعها من خلال هذه الصور:

1\_ هذه الرواية التاريخية تبين أن عمرو بن العاص يبحث عن الدنيا وحب الظهور ولا يريد أن يكون أحد المسلمين بل يرى نفسه فوق ذلك.

(وقال جويرية بن أسماء: حدثني عبد الوهاب بن يحيى بن عبد الله بن الزبير: ثنا أشياخنا أن الفتنة وقعت، وما رجل من قريش له نباهة أعمى فيها من عمرو بن العاص، وقال: ما زال معتصماً بمكة ليس في شيء مما فيه الناس، حتى كانت وقعة الجمل، فلما فرغت بعث إلى ولديه عبد الله ومحمد، فقال: إني قد رأيت رأياً، ولستما باللذين ترداني عن رأيي، ولكن أشيراً عليّ، إني رأيت العرب صاروا عيرين يضطربان، وأنا طارح نفسي بين جداري مكة، ولست أرضى بهذه المنزلة، فإلى أي الفريقين أعمد؟ قال عبد الله: إن كنت لا بد فاعلا، فإلى عليّ، قال: إني إن أتيت عليّاً قال: إنما أنت رجل من المسلمين، وإن أتيت معاوية يخلطني بنفسه، ويشركني في أمره فأتى معاوية(1).

2\_ هذه الرواية فيها تصريح من عمرو بحب الدنيا والمصالح الخاصة.

(ثم إنَّ عمرًا قال: يا معاوية، أحرقت كبدى بقصصك، أترى أنا خالفنا علياً لفضل منا عليه، لا والله، إن هي إلا الدنيا نتكالب عليها، وأيم الله لتتظعن لى قطعة من دنياك، أو لأنا بذك، قال: فأعطاه مصر، يعطى أهلها عطاءهم، وما بقى فله(2).

3\_ حوار يكشف خباثة عمرو بن العاص ودوره في فتنة عثمان.

(قال جويرية بن أسماء أن عمرواً قال لابن عباس: يا بني هاشم، أما والله لقد تقلدتم لقتل عثمان قرم الإماء العوارك، أطعتم فساق أهل العراق في عتبه، وأجزرتموه مراق أهل مصر، وأويتم قتلته، فقال ابن عباس: إنما تكلم لمعاوية، وإنما تكلم عن رأيك، وإن أحق الناس أن لا يتكلم في أمر عثمان لأتتما، أمّا أنت يا معاوية، فزينت له ما كان يصنع، حتى إذا حُصر طلب منك نصرك، فأبطأت عنه، وأحببت قتله وتربصت

1- تاريخ الإسلام، الذهبي: ج2، ص267.

2- المصدر السابق.



به، وأما أنت يا عمرو، فأضربت المدينة عليه، وهربت إلى فلسطين تسأل عن أبنائه، فلما أتاك قتله أضافتك عداوة عليّ أن لحقت بمعاوية، فبعت دينك منه بمصر، فقال معاوية: حسبك يرحمك الله، عرضني لك عمرو، وعرض نفسه(1).

4\_\_ تصريحه بأنه من العصاة الذين ماتوا بأوزارهم:

(قال الزهري: عن حميد بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو أن أباه قال حين احتضر: اللهم أمرت بأمر ونهيت عن أمور، تركنا كثيراً مما أمرت، ووقعنا في كثير مما نهيت)(2).

5\_\_ عاقبة عمرو بن العاص سيئة كبدايته وهذا ما يظهر الحوار التالي:

(قال الطحاوي: ثنا المزني: سمعت الشافعي يقول: دخل ابن عباس على عمرو بن العاص وهو مريض، فقال: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وقد أصلحت من دنياي قليلاً وأفسدت من ديني كثيراً، فلو كان ما أصلحت هو ما أفسدت لفزت، ولو كان ينفعني أن أطلب طلبت، ولو كان ينجيني أن أهرب هربت)(3).

6\_\_ عمرو ينجو بكشف عورته أمام سيد أهل الحياء والمعروف أمير المؤمنين عليه السلام.

(فلما سمع عمرو شعره قال: والله لو علمت أنّي أموتُ ألف موتةٍ لبارزتُ عليّاً في أوّل ما ألقاه، فلما بارزه طعنه عليٌّ فصرعه، واتّقاء عمرو بعورته، فانصرف عليٌّ عنه.

وقال عليٌّ حين بدت له عورةٌ عمروٍ فصرف وجهه عنه(4):

1- تاريخ الإسلام، الذهبي: ج2، ص268.

2- تاريخ الإسلام، الذهبي: ج2، ص269.

3- تاريخ الإسلام، الذهبي: ج2، ص269.

4- وقعة صفين، نصير بن مزاحم المنقري: ص424.

ضربى ثبى الأبطال فى المشاغِب (1)

ضربُ الغلامِ البطلِ المُلاعِبِ

أين الضراب فى العجاجِ الثابِ

حين احمرارِ الحدقِ الثواقِبِ

بالسَّيْفِ فى تهتهةِ الكتائبِ (2)

والصبرِ فيه الحمدُ للعواقِبِ

وهناك الكثير من الصور القبيحة التى تبين شخصية عمرو بن العاص تركناها للاختصار.

## عاقبة الظالمين

### إشارة

قول الإمام الحسين عليه السلام:

(فَمَا أَغْنَاكَ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ جَوْرَ هَذَا الْخَلْقِ بِأَكْثَرِ مِمَّا أَنْتَ لَاقِيهِ، فَوَ اللَّهُ مَا بَرِحْتَ تُقَدِّرُ بَاطِلًا فِي جَوْرِ، وَحَقًّا فِي ظُلْمٍ، حَتَّى مَلَأْتَ الْأَسْقِيَةَ، وَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَوْتِ إِلَّا غَمَصَةٌ، فَتَقْدِمَ عَلَى عَمَلٍ مَحْفُوظٍ فِي يَوْمِ مَشْهُودٍ، وَلَا تَ حِينَ مَنَاصٍ، وَرَأَيْتَكَ عَرَضْتَ بِنَا بَعْدَ هَذَا الْأَمْرِ، وَمَنْعَتْنَا عَنْ آبَائِنَا، وَلَقَدْ لَعَمْرُ اللَّهِ أَوْرَثْنَا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَادَةً، وَحِثَّتْ لَنَا بِمَا حَجَجْتُمْ بِهِ الْقَائِمَ عِنْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ، فَأَذَعَنَ لِلْحُجَّةِ بِذَلِكَ، وَزَدَّهُ الْإِيمَانَ إِلَى النِّصْفِ، فَرَكِبْتُمُ الْأَعَالِيلَ، وَفَعَلْتُمُ الْأَفَاعِيلَ، وَقُلْتُمْ: كَانَ وَيَكُونُ، حَتَّى أَتَاكَ الْأَمْرُ يَا مُعَاوِيَةَ مِنْ طَرِيقٍ كَانَ فَصَدُّهَا لِغَيْرِكَ، فَهُنَاكَ فَاعْتَبِرُوا يَا أَوْلَى الْأَبْصَارِ، وَذَكَرْتَ قِيَادَةَ الرَّجُلِ الْقَوْمَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَتَأْمِيرَهُ لَهُ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ، وَلِعَمْرٍو بِنِ الْعَاصِ يَوْمَئِذٍ فَضِيلَةٌ بِصُحْبَةِ الرَّسُولِ وَيَبِعَتِهِ لَهُ، وَمَا صَارَ لِعَمْرٍو يَوْمَئِذٍ

1- الثبة: الجماعة، والعصبة من الفرسان. وثبى: هى تبين جمع ثبة، مع الجمع الملحق بالسالم، كمزين وعضين، وحذفت النون للإضافة: وفى الأصل: (ضرب ثبا)، والوجه ما أثبت.

2- التهتهة: مصدر قولهم تهته فى الشىء \_\_ بالبناء للمفعول: أى ردد فيه، وقد تكون: (نهتهة) بنونين، وهو الكف والزجر.

حَتَّىٰ أَنْفَ الْقَوْمِ إِمْرَتُهُ، وَكَرَهُوا تَقْدِيمَهُ، وَعَدُّوا عَلَيْهِ أفعالَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لَا جَرَمَ مَعَشَرَ الْمُهَاجِرِينَ لَا يَعْمَلُ عَلَيْكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ غَيْرِي.

فَكَيْفَ تَحْتَجُّ بِالْمَنْسُوحِ مِنْ فِعْلِ الرَّسُولِ فِي أَوْكَادِ الْأَحْوَالِ (الْأَحْكَامِ) وَأَوْلَاهَا بِالْمُجْمَعِ عَلَيْهِ مِنَ الصَّوَابِ؟ أَمْ كَيْفَ صَاحَبْتَ بِصَاحِبِ تَابِعٍ وَحَوْلِكَ مَنْ لَا يُؤْمِنُ فِي صُدْحِيَّتِهِ، وَلَا يُعْتَمَدُ فِي دِينِهِ وَقَرَابَتِهِ، وَتَحْتَظَاهُمْ إِلَى مُسْرِفِ مَفْتُونٍ، تُرِيدُ أَنْ تَلْبَسَ النَّاسَ شُبُهَةً يَسْعَدُ بِهَا الْبَاقِي فِي دُنْيَاهُ، وَتَشْقَى بِهَا فِي آخِرَتِكَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْحُسْرَانُ الْمُبِينُ).

الظلم كلمة واضحة المفهوم والمعنى نظريا وعمليا لكثرة من يتعاطها ولكثرة وقوعها يوميا، فلذا لا حاجة لنا في بيان معناها إلا أننا لابد أن نبين عاقبة الظلم وعاقبة الظالمين من خلال الآيات الكريمة والروايات الشريفة الآتية:

1\_ قوله تعالى:

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (1).

يشير إلى أن الظالم لا ينال شيئا من هدى الله تعالى وتوفيقاته بل يبقى في عماء وغيه.

2\_ قوله تعالى:

(وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (2).

1- سورة البقرة، الآية: 258.

2- سورة آل عمران، الآية: 57.

يشير إلى أن الظالمين حرموا من محبة الله تعالى الذى بيده كل شىء ومنه الخير الحقيقى والفوز الصادق.

3\_\_ قوله تعالى:

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)(1).

يشير بصراحة إلى عاقبة الظالمين التى هى الخسران المبين وإن كانوا بحسب الظاهر فائزين.

4\_\_ قوله تعالى:

(لِيَجْعَلَ مَا يُنْفِقِ الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)(2).

يشير إلى أن الظالمين فى شقاق بعيد.

5\_\_ قوله تعالى:

(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَفْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)(3).

### \_\_ آثار الظلم فى الدنيا

ورد فى الروايات والأحاديث الشريفة ما يشير إلى آثار الظلم وما يحل بالظالمين فى الحياة الدنيا قبل الحياة الآخرة نذكر منها ما يلى:

1\_\_ الظلم يوجب الخسران وضياع الجهد سدى لقول أمير المؤمنين عليه السلام:

1- سورة الأنعام الآية: 21.

2- سورة الحج، الآية: 53.

3- سورة هود، الآية: 44.

«الظُّلْمُ فِي الدُّنْيَا بَوَّازٌ، وَفِي الآخِرَةِ دَمَازٌ»(1).

2\_ الظلم يؤدي إلى الانزلاق إلى الهاوية والوقوع في الباطل ويزيل العطاء الإلهي ويقضى على الأمم مهما كانت قوية وشديدة كما في قول الإمام علي عليه السلام:

«الظُّلْمُ يُزِلُّ الْقَدَمَ، وَيَسْلُبُ النِّعَمَ وَيُهْلِكُ الْأُمَّمَ»(2).

3\_ الظلم يؤدي إلى مقت الناس وكرهيتهم ولعنتهم لأيام الظالم ولياليه كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِيَّاكَ وَالظُّلْمَ؛ فَمَنْ ظَلَمَ كَرِهَتْ أَيَّامُهُ»(3).

4\_ يؤدي الظلم إلى فساد القلوب وقساوتها كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ؛ فَإِنَّهُ يُخْرِبُ قُلُوبَكُمْ»(4).

5\_ يوجب الظلم ارتفاع النعم ونزول النقم بالظالم فلا يهنأ ولا يستقر كما ورد ذلك في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَّهِدِينَ (الْمُظْلَمِينَ)، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ»(5).

6\_ يؤدي إلى قصر العمر وسرعة الموت كما صرح بذلك سيد المتقين عليه السلام بقوله:

1- غرر الحكم: 1707. ميزان الحكمة: ج6، ص2334، ح11374.

2- غرر الحكم: 1734. ميزان الحكمة: ج6، ص2334، ح11375.

3- غرر الحكم: 2638. ميزان الحكمة: ج6، ص2335، ح11388.

4- كنز العمال: 7639. ميزان الحكمة: ج6، ص2336، ح11392.

5- نهج البلاغة: الكتاب 52. غرر الحكم: 7523. ميزان الحكمة: ج6، ص2336، ح11395.

«مَنْ ظَلَمَ قُصِمَ عُمُرُهُ» (1).

7 \_ الظلم يكون مرآة عاكسة لعيوب الظالم فيفتضح عند تتبع عيوبه وهذا ما أكده الإمام على عليه السلام بقوله:

«إِنَّ الْبَغْيَ وَالزُّورَ يُوتَغَانِ الْمَرْءَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَيُبْدِيَانِ خَلْلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ» (2).

8 \_ الظلم يوجب لعنة الله تعالى للظالم في حالات عبادة الظالم على وجه الخصوص كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيَّ: يَا أَخَا الْمُرْسَلِينَ، يَا أَخَا الْمُتَذَرِّينَ، أَنْذِرْ قَوْمَكَ أَنْ لَا يَدْخُلُوا بَيْتًا مِنْ بِيوتِي إِلَّا بِقُلُوبٍ سَدِّ لَيْمَةٍ وَأَلْسُنٍ صَادِقَةٍ، وَأَيْدٍ نَقِيَّةٍ، وَفُرُوجٍ طَاهِرَةٍ، وَلَا يَدْخُلُوا بَيْتًا مِنْ بِيوتِي وَلَا أَحَدٍ مِنْ عِبَادِي عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ظُلَامَةً فَإِنِّي أَلْعَنُهُ مَا دَامَ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيَّ يَصَدِّ لِي حَتَّى يَرُدَّ تِلْكَ الظُّلَامَةَ إِلَى أَهْلِهَا» (3).

### \_ آثار الظلم في الآخرة

1 \_ إذا حشر الله تعالى عباده سيحشر منهم على نورهم وفي نورهم فيبصرون فلا يكونوا من العمى، وهناك من يحشر في ظلمة لا يرى الحقيقة فلذا حذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الظلم لأنه يؤدي إلى العمى والظلمة فقال لِرَجُلٍ يُحِبُّ أَنْ يُحْشَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي التَّوْرِ:

«اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّهُ ظُلَمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (4).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

1- غرر الحكم: 7940. ميزان الحكمة: ج6، ص2336، ح11396.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج17، ص12.

3- كنز العمال: 43600. ميزان الحكمة: ج6، ص2343 \_ 2344، ح11443.

4- الكافي: ج2، ص332، ح11. ميزان الحكمة: ج6، ص2337، ح11406.

«لَا تَظْلِمُ أَحَدًا، تُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّوْرِ»(1).

2\_\_ عند الحساب ووضع الموازين ونشر الصحف تظهر ثلاث حالات من الظلم، ظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم يغفر وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقول:

«الدَّوَابُّ عِنْدَ اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: دِيْوَانٌ لَا يَعْْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا، وَدِيْوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا، وَدِيْوَانٌ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ فَالشَّرِكُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

«لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ»(2).

وأما الدِّيوان الذي لَا يَعْْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، مِنْ صَوْمٍ يَوْمٍ تَرَكَهُ، أَوْ صَدَقَةٍ تَرَكَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ ذَلِكَ وَيَتَجَاوَزُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وأما الدِّيوان الذي لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضَهُمْ بَعْضًا، الْقِصَاصُ لَا مَحَالَةَ»(3).

3\_\_ يؤكد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن ظلم الناس له عاقبة وخيمة لا يتحملها الإنسان كما جاء ذلك عنه عليه السلام بقوله:

أَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضَهُمْ بَعْضًا، الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ، لَيْسَ هُوَ جَرَحًا بِالمُدَى، وَلَا صَدْرًا بِالسَّيَاطِ، وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَصَدَّ عَرُ ذَلِكَ مَعَهُ»(4).

1- الكافي: ج2، ص332، ح11. ميزان الحكمة: ج6، ص2337، ح11409.

2- سورة المائدة، الآية: 72.

3- ميزان الحكمة: ج6، ص2339، ح11414. مسند أحمد: ج6، ص240. مستدرک الحاكم: ج4، ص576.

4- ميزان الحكمة: ج6، ص2339 \_ 2340. نهج البلاغة: ج2، ص95. مستدرک الوسائل: ج12، ص104.

4— يعيش الظالم يوم القيامة حسرة شديدة وندامة مرة تصل إلى حد أنه يعبر عنها بفعل حسي كما ورد ذلك في قوله تعالى:

(وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا)(1).

وأكدته أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«للظالم غداً يكفيه عَصُهُ يَدَيْهِ»(2).

---

1- سورة الفرقان، الآية: 27.

2- بحار الأنوار: ج 77، ص 397، ح 18. ميزان الحكمة: ج 6، ص 2344، ح 11446.



## المحتويات

مقدمة الشعبة الدراسات والبحوث

مقدمة المؤلف

الخطبة الأولى فى التوحيد

نص الخطبة

المعنى العام

التحذير من الفكر المنحرف

الشبه بين المارقين وبين الكافرين

ما هو التشبيه؟

التشبيه محال عقلاً

التشبيه لا يصح ولا يجوز فى القرآن الكريم

التشبيه لا يجوز ولا يصح نقلاً فى السنة النبوية

هل أن الله تعالى شىء؟

السميع البصير اسمان من أسمائه تعالى

الوصفان فى القرآن الكريم

السميع

البصير

الوصفان فى حديث أهل البيت عليهم السلام

السميع

سمعه لا كسمعنا

البصير

هل هما من صفات الذات؟

ص: 370

فى السمع

البصر

سؤال مهم

ألف

باء

لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار

امتناع الرؤية

الآيات الكريمة

الأحاديث الشريفة

الرؤية القلبية

ما هو سبب شبهة الرؤية؟

معنى الإدراك الإلهى

وهو اللطيف الخبير

اللطيف

الخبير

استخلص الوجدانية والجبروت

معنى الجبروت

المشيئة والإرادة

حقيقة الإرادة الإلهية

أسئلة مهمة فى الإرادة

قدرة الله تعالى

ألف: دليل الفطرة

باء: دليل النظام في الخلقة

جيم: قدرة المخلوق دليل على قدرة الخالق

أسئلة في القدرة

(وهو الواحد الصمد)

معنى الواحد

معنى الصمد

التصور والتصديق

الوهميات

الخطبة الثانية: وفيها يوصى بتقوى الله، وينذر من عقابه

نص الخطبة

المعنى العام

بحث أخلاقي

التقوى ميزان القرب الإلهي

آثار التقوى في الدنيا

آثار التقوى في الآخرة

التقوى ضرورة لا بد منها

رفع التوهم

مسألة: منزلة المتقين وصفاتهم

الطرق الموصلة إلى التقوى

ما يمنع التقوى

أسئلة مهمة

بحث أخلاقي

النصيحة علامة المحب

النصيحة لمن؟

فوائد

\_\_ لا تنسى نفسك

\_\_ أسئلة مهمة

\_\_ وقفة وتأمل

بحث عقائدى

الحياة البرزخية

أحوال البرزخ

أسئلة مهمة

تذكير

الخطبة الثالثة: فى مكارم الأخلاق

نص الخطبة

المعنى العام

بحث أخلاقى

صنع المعروف

لمن يبذل المعروف؟

إشكال وتوجيه

آثار فعل المعروف

الآثار فى الآخرة

فوائد

صفات أهل الفضل

الخطبة الرابعة: فى مكارم الأخلاق

نص الخطبة

بحث أخلاقى

مكارم الأخلاق شيمة المؤمنين

الخلق وعاء الدين

مكارم الأخلاق فى نظر أهل البيت عليهم السلام

— نصائح

أسئلة مهمة

ثمرات حسن الخلق

\_\_\_ سوء الخلق فى نظر أهل البيت عليهم السلام

آثار سوء الخلق

\_\_\_ الحلم

بحث عقائدى

غضب وحلم الله تعالى

الحلم فى نظر أهل البيت عليهم السلام

\_\_\_ آثار الحلم

\_\_\_ أسئلة مهمة

\_\_\_ الوفاء

\_\_\_ سؤال مهم

وقفة

\_\_\_ نصيحة معصومية

الاستكبار

\_\_\_ فوائد

\_\_\_ السفه

أسئلة مهمة

بحث عقائدى

\_\_\_ الغلو

الإمام الحسين عليه السلام يحذر من الغلو

\_\_\_ الشيعة براء من الغلو



— سؤال مهم

بحث أخلاقي

الفِسق

— الفسق والفاسق في نظر أهل البيت عليهم السلام

— آثار الفسق

الخطبة الخامسة: وفيها يذم الدنيا ويحذر منها

نص الخطبة

المعنى العام

بحث أخلاقي

ذم الدنيا

أسئلة مهمة

\_\_\_ نصيحة معصومية

صور حوارية ومواعظ

الصورة الثانية

الصورة الثالثة

الصورة الرابعة

الصورة الخامسة

بحث عقائدي

الرضا بقضاء الله تعالى

أسئلة مهمة

\_\_\_ نصيحة يجب أن تسمعها

\_\_\_ التزود بالأعمال الصالحة

\_\_\_ العمل مفتاح السعادة

آثار وثمرات العمل الصالح في الدنيا

\_\_\_ آثار العمل الصالح في الآخرة

— نصائح

— أسئلة مهمة

— نصائح ضرورية

الخطبة السادسة: وفيها يُذكر بفضائل أهل البيت عليهم السلام ويأمر باتّباعهم

نص الخطبة

\_\_ فضل أهل البيت عليهم السلام

\_\_ فضلهم في القرآن الكريم

\_\_ فضلهم عليهم السلام في السنة النبوية

\_\_ بحث عقائدي

\_\_ العدل الثاني

1\_ صحيح الترمذي

2\_ القاموس المحيط

3\_ مسند أحمد

4\_ الطبقات الكبرى لابن سعد

5\_ المعجم الكبير للطبراني

6\_ جامع الأصول

7\_ مسند عبد بن حميد

8\_ الدر المنثور

9\_ الجامع الصغير

10\_ مصنف ابن أبي شيبة

11\_ المستدرک على الصحيحين

12\_ كتاب السنة

13\_ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

الجامع الصغير بشرح المناوى

فيض القدير

رواة حديث الثقلين (الصحابه)

رواة حديث الثقلين (التابعين)

طاعة الشيطان

\_\_\_ آثار طاعة الشيطان

\_\_\_ أسئلة مهمة

\_\_\_ وقفة تأمل

ص: 376

الخطبة السابعة

نص الخطبة

المعنى العام

\_\_ صفات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

الآيات الكريمة

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصف نفسه

أمير المؤمنين عليه السلام

\_\_ بعض کمالاته

معاوية

أولاً: العامل التربوي

هند

أم جميل

الحكم بن أبي العاص

أبو جهل

عتبة والوليد

ثانياً: العامل الاقتصادي

ثالثاً: العامل الأخلاقي

\_\_ القول القاصم

تدليس معاوية

عمرو بن العاص

عاقبة الظالمين

\_\_\_ آثار الظلم فى الدنيا

\_\_\_ آثار الظلم فى الآخرة

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم  
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟  
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟  
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
اصبحان  
الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

